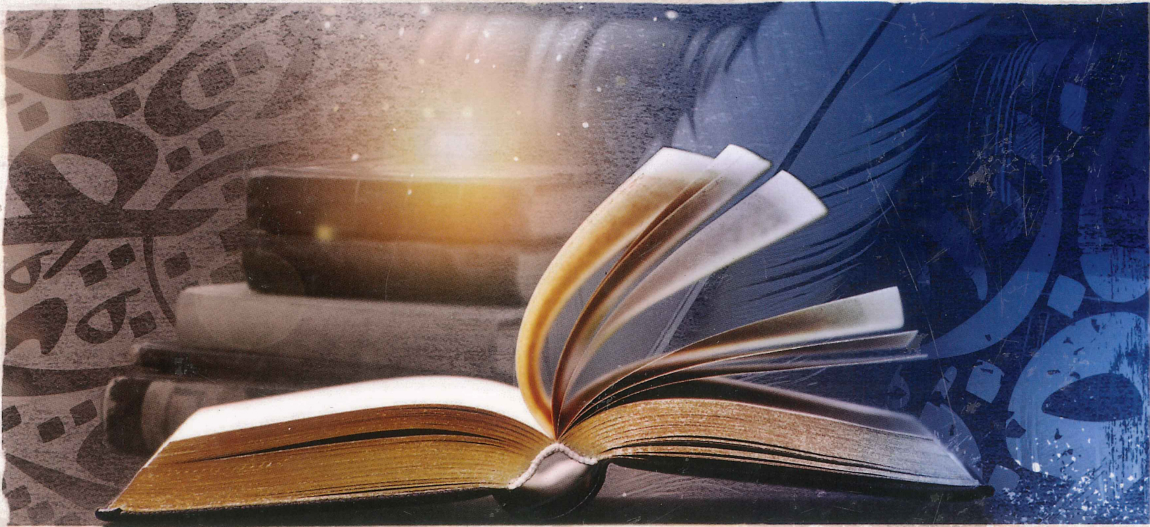
عجائب وأسرار

من سير العلماء مع العلم



تأليف

راشد بن عبد الرحمن بن ردن البداح

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

عجائب وأسرار
من سير العلماء مع العلم

ح راشد بن عبد الرحمن بن ردن البداح، ١٤٤٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
البداح، راشد بن عبد الرحمن بن ردن
عجائب من سير العلماء والمؤلفين./ راشد بن عبد الرحمن بن ردن البداح-ط١- الزلفي، ١٤٤٥ هـ.
١٧٣ص ؛١٨ x ٢٤ سم.
ردمك: ٤-٩٩٥٦-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع: ١٨٢٥١ / ١٤٤٥
ردمك: ٤-٩٩٥٦-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

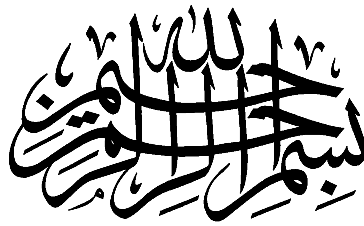
المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرق النفق
الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٩٦٦٥٦٥٦١١٥٠٠٥٨ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
القاهرة - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢ الإسكندرية - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١
البريد الالكتروني: d.alhijaz@gmail.com

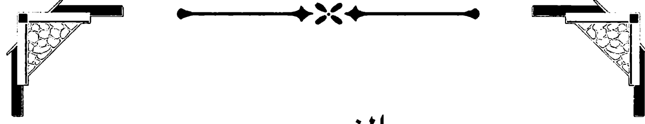
عجائب وأسرار
من سير العلماء مع العلم

تأليف

راشد بن عبد الرحمن بن ردن البداح

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع





الفهرس



المُقَدِّمَة

(الحمد لله الذي امتنَّ على العباد، بأن جعل في كل زمانِ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم .. وجعل قِصصهم هُدىً، وأخبر أنهم في منزلة رفيعة، وإن أصابتهم الوَضيعة)(١) والصلاة والسلام على ذي المكانة المَنيعة، وآله وصحبة ذوِي الاستجابة السريعة. أما بعد:

فإن العجائب والأسرار مما تنجذب له النفوس وتستلذُّه، فأما العجائب فأشياء تُبهِر، وأما الأسرار فأشياء تَستَتِر. وإن العلم كالبحر، مليٌء بالعجائب، مخبوءٌ بالأسرار، والعلماء في لُجَّجِهِ كالسُّفن الجواري، يُبحِرون في بحر العلم، ويُفتِّشون عن أسراره، حين يَمْخُرون عُبابَه، وهم في هذا مُقِلٌّ ومستكثِر. ولك أن تتمثل في هذا المقام قولَ ربك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

وكأنما أسرارَهم بعَجيبها ... دُرٌّ مَصُونٌ جَمَّلَ الأصدافَ

ففي سِيَر العلماء مع العلم أسرار مستجِنَّة، وعجائب مستحسنة، تخلُب العقول، وتسحر الألباب، وتدعو للتعجب من أعاجيبهم، وما استَتَرَ من أسرارهم.

فانظر في هذا الكتاب نظر العَجَب به، لا العَجَب منه؛ لأنه كالبستان يجمع أنواع الزَّهر، وكالبحر يضم أصناف الدُّرَر، وكالدهر يُجلِّي الأسرار، ويَجلب العجائب والاعتبار.

ولو أنَّ ما لاقيتُ منه أبثُّه ... لكان حديثي فيه أعجَبُ ما يُرْوَى(٢)

وأقول كما قال السابقون الأوَّلون: نسألُ اللهَ ألا يَجعلَ ما عَلِمْنا وَبَالًا علينا(٣).

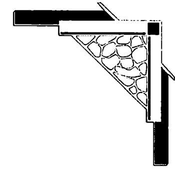
أخوك: راشد بن عبد الرحمن بن رِدْن البِداح
السعودية - الزلفي - ١٦/ ٦/ ١٤٤٥هـ

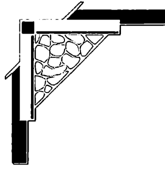
---

(١) جزء من خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسندها ابن وضاح في «البدع» (١/ ٢٦) وقد استفتح بها الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- مقدمة كتابه، الذي ألَّفه في السجن، وهو الرد على الجهمية والزنادقة (ص٥٥).

(٢) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان لابن الشعار الموصلي(٥/ ٣١٨).

(٣) هذا الدعاء العميق لهَجَ به عشرة من أئمة العلماء، ودوَّنوه في مَطالع كتبهم، منهم الغزالي وابن تيمية وابن رجب.





تمهيدات وتساؤلات بين يدي العجائب والأسرار

ما المقصود بالعجائب والأسرار في العلم؟!

أما العجائب، فهي جمعٌ للتعبير عن العَجَب من الشيء، والعَجَب يدعو إلى الإعجاب به. فأما العُجْب؛ فخُلُقٌ مذموم، خارج عن بابنا.

قال بعض الحكماء: أعجب من العَجَب ترك التعجُّب من العَجَب[١].

وقال ابن الأعرابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣٤٠هـ): العَجَب النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد[٢].

وقال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٠٢هـ): العَجَبُ والتَّعَجُّبُ: حالةٌ تَعرِض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، ويقال لما لم يُعْهَد مثله: عَجِيبٌ[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٥١هـ): «أعجبني الشيء» يراد به معنيان؛ أحدهما: سرَّني، وهو من الإعجاب، والثاني: بمعنى دعاني إلى التعجب منه .. قال كعب بن زهير:

لو كنتُ أَعجبُ من شيء لأعجبني سعْيُ الفتى وهو مخبوء له القَدَرُ

فأعجبني -هنا- من العَجَب، لا من الإعجاب[٤].

ولعل خلاصة المعنى يجمعها قول الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٩٣هـ): والعَجَب انفعال يَعرِض للنفس، عند مشاهدة أمر غير مألوف، مستلزم للاستحسان[٥].

---

(١) انظر: البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ١٦٢) والفاضل للمبرد (ص٦٨).

(٢) تاج العروس (٣/ ٣١٩).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص٥٤٧).

(٤) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢١).

(٥) التحرير والتنوير (٢/ ٢٦٦).

أما المراد بالأسرار؛ فهو ما خفي عن الأكثرين، من العلم وسِيَر العلماء، فالموضوع المجموع بين يديك يدعو للاهتمام، وطلبه يستدعي جُهدًا غير عادي.

ماذا في العلم والعلماء من عجائب وأسرار؟!

في العلم وسِيَر العلماء عجائب حفِيَّة، وأسرار خفية:

إنّما العلم بعيدٌ غَورهُ فخذوا من كل شيءٍ أحسنَهْ[١]

وهذه العجائب والأسرار ليست من نافلة العلم، بل منها ما هو من صُلبه، ومنها ما هو مُعين على أصوله.

قال جُماهر بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٦٦هـ): العلم دِراية، ورواية، وخبرٌ، وحكاية[٢].

فحكايات العلم والعلماء داخلة تحت العلم الذي يُطلب، ولكن تطَلُّبها يحتاج -كما أسلفت- إلى تنقيب طويل، وانتقاء جميل.

قال أبو سعيد الخزاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٧٧هـ): للعارفين خزائن، أودعوها علومًا غريبة، وأنباءً عجيبة[٣].

وهذا التنقيب والانتقاء يُثري العقل والفكر، ويَعود على صاحبه بالعوائد والفوائد النفيسة.

قال الجاحظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٥٥هـ): كثرة السماع للأخبار العجيبة، والمعاني الغريبة، مُشْحِذة للأذهان، وسبب للتفكير، وعلة للتنقير عن الأمور، وللعقول الصحيحة إليها النزاع القويّ[٤].

عِندي أعاجيبُ أرْوِيها بلا كَذِبِ عنِ العِيانِ فكَنُّوني أبا العجَبِ[٥]

لماذا العلماء بالذات؟!

حياة العلماء مليئة بالعجائب والأسرار؛ لأنهم ارتفعت هممهم لما عجز عن دَرْكها أكثر الخَلْق، ولأنهم كافحوا لتحصيل العلم، ثم نشره وتبليغه. وقد مرت بهم -لأجل التحصيل والتبليغ- مشاقُّ

---

(١) التمثيل والمحاضرة (ص١٦٥).
(٢) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص١٠٠).
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٢٤٧).
(٤) باختصار وتصرف من: الحيوان (٥/ ٨٦) والرسائل للجاحظ (٣/ ٢٣٩).
(٥) الشكوى والعتاب (ص١٥٨) ومقامات الحريري (ص٤٧١).

ومخاوِف، وفقر ومرض وضرَّاء، وحسدُ نُظَراء، وعِداءُ أعداء، وعَقَبة كأْدَاءُ. وهؤلاء العلماء قد راضُوا العلوم، حتى أعطتهم زِمامَها، ومارسوا الآداب، حتى ملَّكتهم خِطامَها.

ففي كل باب منه دُرٌّ مؤلَّفُ   كنظم عقود زيّنَتْها الجواهرُ[١]

وما دام العلماء بهذه المثابة، والهمة الوثابة، فإن سائر الناس محتاج إليهم، وإلى علومهم.

قال الآجُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٦٠هـ): والعلماء حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة .. جميع الخلق إلى عِلمهم محتاج .. لهم فضل عظيم في خروجهم لطلب العلم، وفي مُجالستهم لهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل، وفيمن تعلموا منه العلم لهم فيه فضل، وفيمن علَّموه العلم لهم فيه فضل، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة[٢].

كن للعلوم مصنّفًا أو جامعًا   يبقى لك الذِكر الجميل مخلَّدا
يُنسَى الأواخر والأوائل كلهم   إلا أخا العلم الذي حاز المَدَى[٣]

هل كانوا يتطلَّبون العجائب والأسرار، ويحرصون عليها؟

وللجواب عن هذا السؤال فيقال:

نعم؛ كانوا يتطلبونها جُهدَهم، بل إن طبيعة النفس متشوِّفة ومتشوِّقة للجديد الفريد، الذي يدعو للتعجب والإعجاب، والكشف عما غاب. وعلى ذلك جَبَلَ الله الأنبياء، وورثَتَهم العلماء، بل إن في القرآن وصحيح السنة شواهد تدعو لتطَلُّب العجائب والأسرار، والتنقيب عنها، لا سيما في غير مظانِّها. وإليك شواهدَ تعضُد ما قلتُ:

١- القرآن الكريم قد وصفه نفرٌ الجن بالقرآن العجَب، ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ [الجن: ١].

٢- من عجائب قصص القرآن التي حكاها قصة فتية الكهف، ووصفها ربنا بأنها قصة عَجَب، فقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

٣- أعجوبة أخرى من عجائب قصص القرآن، ألا وهي قصة موسى والخضر، فقد قال عن أحد مشاهدها، وهو إحياء الحوت: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾ [الكهف: ٦٣].

٤- من العجائب في القرآن ولادة مولود، من أبوين طاعنين في السن، ألا وهما إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) المستطرف في كل فن مستطرف (ص٧).
(٢) أخلاق العلماء للآجري (ص١٦ و٤١).
(٣) معجم الأدباء (١/ ٩).

وزوجه سارة. وقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت٦٨هـ): كانت سارة بنت تسعين سنة، وإبراهيم ابن مئة وعشرين سنة[(١)]. فقد تعجبت و﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ فأوحى الله للملائكة أن ترد عليها، فـ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٧٢-٧٣].

٥- قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنه كانت فيهم الأعاجيب»[(٢)].

٦- لما رجعَتْ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهاجِرة البحر، قال: «ألا تحدِّثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟!»[(٣)]

٧- قيل لأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٩٣هـ): يا أبا حمزة! حدِّثنا من هذه الأعاجيب شيئًا شهدْتَه؛ لا تُحَدِّثُه عن غيرك[(٤)].

٨- قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٩٥هـ): خرج إلينا ابن عمر، ونحن نرجو أن يحدِّثنا حديثًا عجيبًا[(٥)].

٩- كان مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٠٤هـ) لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب ينظر إليها، وذهب إلى حضرموت إلى بئر برَهُوت، وذهب إلى بَابِل[(٦)].

١٠- قال الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٢٤هـ) لرجل: ألا أحدِّثك بحديثين عجيبين؟ فحدَّثه بحديث الرجل الذي قال: إذا أنا مِتُّ فأحرقوني. وبقصة المرأة التي عُذبت في هرة حبَسَتْها[(٧)].

١١- في قصة عجيبة رواها البخاري، عن امرأة كانت تزور عائشة، وكانت تُردد هذا البيت:

ويومُ الوِشاح من أعاجيب ربنا ... ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني[(٨)]

١٢- غزوة «ذات الرقاع» كانت تسمى غزوة الأعاجيب؛ لكثرة ما صاحَبَها من المعجزات النبوية، والقصص العجيبة[(٩)].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤٠٤٢).
(٢) الزهد لابن حنبل (ص١٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٦٤٨٦).
(٣) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٤٠١٠).
(٤) مسند أحمد ط الرسالة (١٢٤١٢).
(٥) السنن الكبرى للنسائي (١٠٩٥٩).
(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٨٨).
(٧) صحيح مسلم (٢٧٥٦).
(٨) صحيح البخاري (٤٣٩).
(٩) المعجم الأوسط (٩١١٢).

١٣- لما قيل لشيخ؛ قد ذهب منه شهوة المأكل والمشرب والنكاح: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أعيش، وأسمع الأعاجيب[١].

القصص عن العلماء وما فيها من العجائب والأسرار

العلماء متفاوِتون في هذا الباب:

ولم أرَ أمثال الرجال تفاوَتَتْ ... إلى الفضل حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ[٢]

والسابقون الأولون أكثر وأعجبُ من الآخِرين -وفي كلٍ خير- وقد حفِظ العلماء سِيَرَ بعضهم عن بعض، فدوَّنوها في مصنفاتهم:

مات الذين لهم فضلٌ ومكرمةٌ ... وفي الدفاتر من أخبارهمْ أثرُ[٣]

وفي القصص المدوَّنة عن العلماء مَكامِن تدعو للعَجَب، ولأجل هذا احتفى العلماء بتلك القصص، ودوَّنوها، ونشَروها، وتَتَايَعَ المترجِمون على نقلها. وتأملْ حفاوَتَهم بها من خلال الأقوال التالية:

١- قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٥٠هـ): الحكايات عن العلماء، ومَحاسِنهم، ومُجالسَتهم، أحب إليَّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم[٤].

٢- قال لقمان الحكيم لابنه: يا بُني! جالِسِ الصالحين من عباد الله؛ فإنك تُصيب من مَحاسنهم خيرًا، ولعله أن يكون آخر ذلك أن تَنزل عليهم الرحمة، فتصيبَك معهم[٥].

٣- يبدو أن ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٩٨هـ) اقتبَسَ من عبارة لقمان الآنِفة فقال: كان يُقال: عند ذِكر الصالحين تنزل الرحمة. فقيل له: مَن ذَكَره؟ قال: بعض العلماء[٦]. ويفسِّر الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٠٥هـ) المقصود بنزول الرحمة قائلًا: ذِكر الصالحين يكفي في تغيير الطبع، فضلًا عن مشاهدتهم، بانبعاث الرغبة على الاقتداء بهم[٧].

---

(١) انظر: البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ١٦٢) والفاضل للمبرد (ص٦٨).

(٢) التمثيل والمحاضرة (ص٤٣٥).

(٣) المنصف للسارق والمسروق منه (ص٧٩٦).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٠٩) وانظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٢٣).

(٥) الزهد لأحمد بن حنبل (ص٨٨).

(٦) المصدر السابق (ص٢٦٤) ونسبها الخطيب لسفيان الثوري، كما في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١١٨).

(٧) باختصار وتصرف من إحياء علوم الدين (٢/ ٢٣١).

٤- الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٤١هـ) ذُكِر عنده أحد العلماء -وكان متكِئًا من عِلة- فاستوى جالسًا، وقال: لا ينبغي أن يُذكر الصالحون فيُتكأ[١].

٥- قال الجُنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٩٧هـ): الحكايات جند من جنود الله، يثبِّت الله بها قلوب أوليائه[٢].

٦- قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٦٢هـ): من لم يحفظ من أخبارهم إلا ما ندَرَ من بعضهم في بعض، على الحسد والهفوات، والغضب والشهوات، دون أن يُعنَى بفضائلهم، ويرويَ مناقبهم، حُرِم التوفيق، ودخل في الغيبة، وحادَ عن الطريق[٣].

٧- قال محمد بن يونس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت؟هـ): ما رأيتُ للقلب أنفع من ذكر الصالحين[٤].

وخلاصة القول: أن في سِيَرِ العلماء مع العلم عجائبَ مُبْهِرَة، وأسرارًا مُسْتَتِرة، وسيأتيك نبؤها مبثوثًا في سائر المباحث القادمة.



(١) تاريخ بغداد ت بشار (٧/ ١٣).
(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٣٥٤) كما نُسبت العبارة للكتاني، وهو تلميذ الجنيد. انظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (١/ ٢٢).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١١٨).
(٤) صفة الصفوة (١/ ١٨).

عجائب وأسرار من قصص للعلماء، رَوَوْها أو رَأَوْها

هذه القصص التي رَوَاها أو رَأَها العلماء، تشتمل على عجائب، وتدل على أسرار، وعددهنَّ سبعون قصة. وقد قسَّمتُها إلى قسمين:

* ستون قصة عجيبة مختارة في العلم؛ تعلُّمه وتعليمه.

* عشر قصص عجيبة مختارة، في عجائب الخلق المبهِرة.

١- عبد الله بن الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت٧٣هـ) كان له مئة غلام، يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى، فكان ابن الزبير يُكلم كل واحد منهم بِلُغَتِه.

فعلَّق عبد الحي الكتاني رَحِمَهُٱللَّهُ (ت١٣٨٢هـ) قائلًا: فهذا أعجبُ ما سمعتُ في معرفة اللغات وتعدادِها، عن الصحابة وتابعيهم[١].

٢- وهب بن منبِّه رَحِمَهُٱللَّهُ (ت١١٤هـ) بينما هو يحدِّث بالمسجد، إذ أقبل طائر له حَفيف، حتى وقع إلى جانب وهب في الحلقة، فسلَّم، فردَّ وهب عليه السلام، وعلِم أنه من الجن من مُسْلِميهم. قال وهب: فما حاجتك؟ قال: أوَتُنكر علينا أن نجالسكم، ونحمل عنكم العلم؟! إن لكم فينا رواة كثيرة، وإنا لنَحضركم في أشياء كثيرة، من صلاة وجهاد، وعيادة مريض وشهادة جنازة، وحج وعمرة، ونحمل عنكم العلم، ونسمع منكم القرآن. فقال له وهب: فأيُّ رواة الجن عندكم أفضل؟ قال: رواة هذا الشيخ. وأشار إلى الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ[٢].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٣٤) والتراتيب الإدارية للكتاني (١/ ١٨٨).

(٢) الهواتف = هواتف الجنان لابن أبي الدنيا (ص١٤٠).

٣- قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٥٠هـ): أخطأتُ في خمسة أبواب من المناسك، فعلَّمنيها حجَّام، وذلك أني حين أردت أن أحلق رأسي وقفت على حجام، فقلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: أعراقي أنت؟ قلت: نعم. قال: النسك لا يُشارَط عليه! اجلس. فجلست منحرفًا عن القبلة، فقال لي: حوِّل وجهك إلى القبلة. فحوَّلته، وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر، فقال: أدِرْ الشِّق الأيمن من رأسك. فأدَرْتُه، وجعل يحلق وأنا ساكت، فقال لي: كبِّر، فجعلت أكبِّر، حتى قمت لأذهب، فقال: إلى أين تريد؟ قلت: رَحلي. قال: صلِّ ركعتين، ثم امضِ. فقلت: ما ينبغي أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام. فقلت له: من أين لك ما أمرْتَني به؟ فقال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا(١).

٤- ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٩١هـ) تغرّب بضع عشرة سنة، قادمًا من مصر إلى المدينة؛ ليطلب العلم بين يدي الإمام مالك، وكان ترك زوجته حاملًا. ويحكي موقفَه العجيب قائلًا: بينما أنا عند مالك؛ إذ أقبل حاج مصر، فإذا شاب مُتلثِّم دخل علينا، فسلَّم على مالك. فقال أفيكم ابن القاسم؟ فأشير إليَّ، فأقبلَ يُقبِّل عيني، فإذا هو ابني!(٢).

٥- قال المحدث الفقيه الأديب أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٢٤هـ): كنت في تصنيف هذا الكتاب -كتاب غريب الحديث- أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال، فأضعها في موضعها من هذا الكتاب، فأبيت ساهرًا فرحًا مني بتلك الفائدة(٣).

٦- محمد بن سلَام البيكندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٢٥هـ) كان في منزله، فدُق بابُه، فخرج فقال: يا أبا عبد الله، أنا جِنيٌّ رسولِ ملك الجن إليك، يسلم عليك ويقول: لا يكون لك مجلس، إلا يكون منا في مجلسك أكثر من الإنس. قال الراوي: هذه حكاية عندنا مُسْتفيضة مشهورة(٤).

٧- قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٣٨هـ): ما سمعت شيئًا قط إلا حفظتُه، ولا حفظتُ شيئًا قط فنسيتُه. وقد أملى إسحاق أحد عشر ألف حديث من حِفظه، فما زاد حرفًا ولا نقص حرفًا(٥).

---

(١) البصائر والذخائر لأبي حيان (٥/ ١٣١) ومثير العزم الساكن لابن الجوزي (١/ ٣١٤).
تنبيه: بعض السنن المذكورة مفتقِرة للدليل، وليس هذا مجال بسط.

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٣/ ٢٥٠).

(٣) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٢٦١).

(٤) تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للذهبي (٨/ ١٢٧).

(٥) تاريخ بغداد ت بشار (٧/ ٣٦٢).

٨- أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٤١هـ) أدخلوه على الخليفة؛ لضرب عنقه في فتنة خلق القرآن، وعنده ابن أبي دؤاد وفقيه شافعي، فقال للفقيه: أيُّ شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟ قال ابن أبي دؤاد: انظروا رجلًا، هو ذا يقدَّم لضرب العنق؛ يناظِر في الفقه!. وقد مكث في السجن نحوًا من ثلاثين شهرًا، فكانوا يأتونه ويقرؤون عليه كتاب «الإرجاء» وغيره وهو محبوس(١).

ولو أنَّ ما لاقيت منه أبثُّه لكان حديثي فيه أعجب ما يُروَى(٢)

٩- هل تعرف «الحديث المسلسل بالعيد»؟! هذا حديث في إسناده ستة عشر رجلًا؛ كلهم يقول في روايته: حدثنا فلان في يوم عيد بين الصلاة والخطبة. حتى ينتهي الإسناد إلى ابن عباس(٣). فيا لله العَجَب! انهمكوا بالعلم حتى في الوقت الضيق القصير! وحتى في موسم الفرح؛ لأن العلم جلّاب الفرح، جلّاء الحَزَن!.

١٠- قال المحدث إبراهيم الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٨٥هـ): ضِقت مرةً، حتى عدِمْنا القوت، فقالت امرأتي: إن الصَبِيَين لا يصبران على ما نصبر عليه، فأعطِني شيئًا من كتبك نَبِعْه، فشحَّت نفسي بالكتب، وقلت لها: أمهليني بقية اليوم، فالله مرجوُّ الفرج، فما دخل الليل حتى دق الباب، فإذا رجل، فدخل، وقال: أطْفِ السراج. فوضع شيئًا إلى جانبي، وانصرف. فإذا هي أطعمة، وخمس مئة درهم، فقلت للمرأة: أنْبِهي الصبيَّينِ ليأكلا، وأَوفِي ما علينا من دَين(٤).

١١- قال ابن يونس الكُدَيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٨٦هـ): خرجت أنا وعلي بن المديني وسليمان الشاذَكُوني؛ نتنزَّه في بستان الأمير، فلما قعدنا وافَى الأمير، فقال: خذوهم. فبطَحُوني -وكنت أصغرهم- وقعدوا على أكتافي. قلت: أيها الأمير! اسمع مني. قال: هات. قلت: حدثنا الحميدي، [وساق الإسناد] عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الراحمون يرحمهم الله، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء». قال: أعِدْه علي، قال: فأعدتُه عليه، فقال لي: أنت تحفظ مثل هذا وأنت تخرج تتنزَّه؟! فكان الشاذَكُوني يقول لي: نفَعَك حديث الحميدي(٥).

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٩٤) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٤٤).
(٢) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان (٥/٣١٨).
(٣) الأحاديث العيدية المسلسلة للسلفي (ص١٩).
(٤) إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٩١).
(٥) تاريخ بغداد ت بشار (٤/٦٨٨).

١٢- قال أبو عمران التمار رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٤٦هـ): غدوتُ يومًا قبل الفجر إلى مجلس المقرئ الحسن الحفَري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجلست حتى صلى الصبح وتفرق الناس عنه، فقلت له: رأيت عجبًا اليوم! فقال: وما الذي رأيت؟ قلت: جئتُ قبل الفجر وأنت تدعو، وقوم يؤمِّنون على دعائك، ثم دخلتُ؛ فما رأيتُ في المسجد غيرك. فقال: أولئك جنٌ من أهل نصِّيبين، يشهدون معي ختمة القرآن كل ليلة جمعة، ثم ينصرفون[١].

١٣- من العجائب المُبْهِرة أن الجن لهم اعتناء بكتاب سيبويه! فقد قال أبو الحسن ابن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٩٩هـ): رأيت [بالمنام] جماعة من الجن، يتذاكرون الفقه، والحديث، والحساب، النحو، والشعر، فقلت لهم: أفيكم علماء؟ قالوا: نعم، فقلت -من هَمِّي في النحو-: إلى مَن تَميلون من النحويين؟ قالوا: إلى سيبويه[٢].

١٤- الحسن بن سفيان النسوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣٠٣هـ) اجتمعَ إليه طائفةٌ من طلابه، فأوصاهم قائلًا: قد علمنَا أنَّكم طائفةٌ من أبناء النِّعم، هجرتُم أوطانَكم، وفارقتم ديارَكم وأصحابكم في طلب العلم، فلا يخطرنَّ ببالكم أنَّكم قضيتم بهذا التجشُّم للعلم حقًّا، ولا أدَّيتم له من المشقَّة فرضًا، وأنا أحدِّثكم ببعض ما تحمَّلتُه من المَشَقَّة: ارتحلنَا إلى شيخٍ من أهل مصر، فأقمنَا نسمعُ عليه الحديثَ، فنفِدَت نفقاتُنا، وبعنَا جميع ثيابنا، وأفضَى بنا الحالُ إلى أنْ طوينَا ثلاثةَ أيامٍ بلياليهن، وأصبحنَا في اليوم الرابع، وليس بنا حَرَاكٌ من الجوع، ولم يبقَ حيلةٌ إلَّا الخروج إلى سؤال الناس، فكتبنا رقاعًا فيها أسامينا، واقترعنَا على من يتولَّى السؤال، فخرجتِ القرعةُ على اسمي، فتحيَّرتُ، ولم تسمح نفسي بذلك، فعدلتُ إلى زاويةٍ في المسجد الَّذي كنَّا فيه، وصلَّيتُ ركعتين، وسألتُ الله بأسمائه العظام، فلم أستتِمَّ دعائي، حتَّى دخل المسجدَ خادمٌ في يده منديل، فقال: مَن منكم الحسن بن سفيان؟ فرفعتُ رأسي من السجدة وقلت: أنا، فقال: إنَّ الأمير أحمد بن طولون يقرئكُم السلام. ووضع بين يدي كلِّ واحدٍ منَّا صُرَّةً فيها مئة دينار، وكنَّا ثلاثة، فقلت له: فما سببُ هذا؟ ومن أين يعرفنا الأمير؟! فقال: حدَّثني أنَّه أتاهُ البارحة في المنام فارسٌ وبيده رمحٌ، فوضعه على خاصرته، وقال: قم، فأدرِك الحسنَ بن سفيان وأصحابَه، فإنَّهم منذ ثلاث ما أكلوا،

(١) المجالسة وجواهر العلم (٢/ ٢٦٠) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ١٤٠).
(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (ص٥٦).

وهم في المسجد الفلاني"[١].

١٥- جَمعَتِ الرحلة والسُكنى بين محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ومحمد بن خزيمة (ت٣١١هـ) ومحمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ) ومحمد بن هارون الرُّوياني رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ (ت٣٠٧هـ) بمصر، لم يبقَ عندهم ما يَقُوتهم، فاتفق رأيهم على أن يستهِموا، فمَن خرجتْ عليه القُرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهِلوني حتى أصلي صلاة الخِيَرة. فاندفع في الصلاة، فإذا هم برجُلٍ من قِبل الوالي، يدُقُّ الباب، فدفَع لكل واحد صَرَّة، فيها خمسون دينارًا. ثم قال: إن الأمير كان قائلًا بالأمس، فرأى في المنام خيالًا قال: إن المَحامِد طَوَوا كَشْحَهم جياعًا، فأَنْفَذَ إليكم هذه الصِّرار، وأَقْسَمَ عليكم إذا نفدِتْ، فابعثوا إليَّ أُمِدُّكم[٢].

١٦- جزء حديثي طُبع مؤخرًا، اسمه «البيتوتة» للحافظ للسَّرَّاج الثقفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣١٣هـ) أتدري لِمَ سُمِّي هذا الجزء بـ «أحاديث البيتوتة»؟! لأن السرّاج ما كان يقرؤها إلا لمن ينام على باب داره ليلةً واحدة! وهي من العوالي؛ كان يَقصد بذلك إعزاز الحديث[٣].

١٧- سقط ببغداد ثلج كثير عام ٣١٤هـ فجمَدَ نهر دجلة، حتى عبرت الدواب عليه! وبرغم شدة البرْد والثلج إلا أن أبا زكرة المحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣٣٤هـ) جلس وطلابُه في وسط دجلة على الجَمْد، وكُتب عنه الحديث[٤]. أرأيت كيف يتلذذون بالعلم برغم المشاق؟!.

١٨- أبو طاهر الزيادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٤٠٠هـ) حين احتُضر سُئل عن ضمان الدَرَك -وكان في النزع- فقال: إنْ قُبض الثمن فيصح، وإلا فلا يصح. قال ابن الصلاح: إن هذه الحكاية من أعجب ما يُحكَى[٥].

أعـجَـبُ مـا فـي الأمـور عـنـدي ... إضـمـار مـا تـدعـي الـقـلـوبُ[٦]

---

(١) باختصار من تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/ ١٠٣).
(٢) تاريخ بغداد ت بشار (٢/ ٥٤٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢/ ١٩٣).
(٣) جزء البيتوتة للسراج. تحقيق أبي الأشبال الزهيري (مقدمة ص٩).
(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٣/ ٢٥٥).
(٥) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/ ٢٠٠) قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٠٤): سمي ضمان الدرَك؛ لالتزامه الغرامة عند إدراك المستحق عين ماله.
(٦) التكملة لكتاب الصلة (٢/ ١٧٥).

١٩- النحوي أبو نصر القيسي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٠١هـ) قال: كنا نختلف إلى أبي علي البغدادي، فبينما أنا ذات يوم من بعض الطريق؛ إذ أخذتني سحابة، فما وصلت إلى مجلسه إلا وقد ابتلَّتْ ثيابي كلها؛ فقال لي أبو علي: مهلًا يا أبا نصر! لا تأسف على ما عَرَض لك؛ فذا شيء يضمحِلّ عنك بسرعة، ولقد عرض لي ما أبقَى بجسمي نُدُوبًا، كنت أختلفُ إلى ابن مجاهد، فأدلجتُ، فلما انتهيت إلى الدرب رأيته مغلقًا، فقلت: أُبكِّر هذا البُكور وتفوتني النَّوبة؟! فنظرت إلى سَرَب هناك، فاقتحمته، فلما أن توسطته ضاق بي ونشبتُ، فاقتحمته أشد اقتحام، فنجوت بعد أن تخرقت ثيابي، وأثَّر السرَب في لحمي، حتى انكشف العظم، ومنَّ الله عليَّ بالخروج، فوافيتُ مجلس الشيخ على هذه الحال. فأين أنت مما عرض لي؟! وأنشدنا:

دبَبْتُ للمجد والساعون قد بلغوا ... جَهْدَ النفوس وألقَوا دونه الأُزُرا
وكابَدوا المجد حتى ملَّ أكثرهم ... وعانَق المجد من أوفَى ومن صبَرا
لا تحسبِ المجد تمرًا أنت آكلُه ... لن تبلغ المجد حتّى تلعق الصبِرا[١]

٢٠- إسماعيل الحيري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٣٠هـ) يقول عنه تلميذه الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٦٣هـ): خاطبته في قراءة «صحيح البخاري»، فأجابني إلى ذلك، فقرأتُ جميعه عليه في ثلاثة مجالس! كنت أبتدئ بالقراءة وقت صلاة المغرب، وأقطعها عند صلاة الفجر، ثم من ضحوة النهار إلى المغرب، ثم من المغرب إلى وقت طلوع الفجر! ففرغت من الكتاب، ورحل الشيخ في صبيحة تلك الليلة مع القافلة[٢].

يعني أن مدتها قرابة ٢٠ ساعة يوميًا! والأربع ساعات الباقية موزعة للصلاة والأكل والنوم! ولذا قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٤٨هـ): وهذا شيء لا أعلم أحدًا في زماننا يستطيعه[٣].

٢١- إشراق السويداء العَروضية رَحِمَهَا اللَّهُ (ت٤٥١هـ) أخذت العربية واللغة والآداب، عن مولاها أبي المطرف ابن غلبون، حتى فاقَته في كثير مما أخذته عنه، وكانت تحفظ «النوادر» لأبي علي، و«الكامل» للمبرد، وتتكلم عليهما[٤].

---

(١) أمالي القالي (١/ ١١٣) والصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص٦٢١).
(٢) تاريخ بغداد ت بشار (٧/ ٣١٧).
(٣) تاريخ الإسلام (٣١/ ٩٩).
(٤) التكملة لكتاب الصلة (٤/ ٢٥٠).

٢٢- «المبسوط» للسرخسي الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٨٣هـ) قد أملاه وهو رهن السجن، حيث يقول: سؤال بعض الخواص زمن حبسي، أن أُملي عليهم ذلك فأجبتهم إليه. وأسأل الله -تعالى- أن يجعل ما نويتُ فيما أمليت سببًا لخلاصي في الدنيا، ونجاتي في الآخرة.

* ثم يختم المجلد الرابع قائلًا: أملاه المحبوس عن الجُمَع والجماعات.

* وفي آخر الثامن قال -وقد مضت عليه سَنَتان محبوسًا-: إملاء المحصور المعاتَب، والمحبوس المعاقَب، وهو منذ حولينِ على الصبر مواظب. وقال: الممتحن بأنواع البلاء، يسأل من الله -تعالى- تبديل البلاء، والجلاء بالعز والعلاء؛ فإن ذلك عليه يسير.

* وعند ختم الكتاب بالمجلد الثاني عشر يقول -وقد قارب الحزن منتهاه-: بإملاء المحصور الممنوع، عن الأهل والولد والكتاب المجموع، الطالب للفرج بالدعاء والخشوع، في ظُلَم الليالي بالبكاء والدموع[١].

٢٣- عالم آخر كبير، يصير راعي إبل، إنه أبو المظفر السمعاني الحنفي ثم الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٨٩هـ) وقصته عجيبة، فقد حج على البرية، فأخذ من الأعراب، وجعلوه يرعَى جِمالهم، فاتفق أن أميرهم أراد أن يزوِّج بنته، فقالوا: نحتاج أن نرحل إلى الحضر؛ لأجل من يعقد لنا. فقال رجل: هذا الذي يرعى جِمالكم فقيه! يقول: فسألوني عن أشياء، فأجبتهم، وكلمتهم بالعربية، فخجلوا واعتذروا، فعقدتُ لهم العقد، وقُلْتُ الخطبة، ففرحوا، وسألوني أن أقبل منهم شيئًا، فامتنعتُ، فحملوني إلى مكة وسط العام[٢].

٢٤- مسألة عويصة قال عنها الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٠٥هـ): غلِطَ فيها أربع مئة قاضٍ، فضلًا عن غيرهم[٣].

٢٥- قال ابن طاهر القيسراني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٠٧هـ): ضاق بي الحال، ولم يبقَ معي غير درهم، وكنت في ذلك أحتاج إلى خبز، وأحتاج إلى كاغد، فكنت أتردد؛ إن صرفته في الخبز لم يكن لي كاغد، وإن صرفته في الكاغد لم يكن لي خبز، ومضى على هذا ثلاثة أيام ولياليهن لم أطعم فيها، فلما كان بكرة اليوم الرابع قلت في نفسي: لو كان لي اليوم كاغد لم يمكن أن أكتب فيه

(١) المبسوط للسرخسي (١/ ٤) و(٤/ ١٩٢) (٨/ ٨٠) و(٨/ ١٢٥) و(١٢/ ١٠٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤) وطبقات السبكي (٥/ ٣٣٦).
(٣) الوسيط في المذهب (٧/ ٤٨٨). وانظر تلك المسألة العويصة هناك.

شيئًا؛ لما بي من الجوع، فجعلت الدرهم في فمي، وخرجت لأشتري الخبز، فبلعته، ووقع عليَّ الضحك، فلقِيَني صاحب لي وأنا أضحك، فقال لي، ما أضحكك؟! فأخبرته. وأخذ بيدي، وأدخلني منزله(١).

٢٦- أبو بكر الأنصاري المعروف بالأبيض رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٢٠هـ) سئل عن لغة غريبة، فعجز عنها بمحضرِ مَن خجل منه، فأقسم أن يقيِّد رجليه بِقَيْد حديد، ولا ينزعه حتى يحفظ «الغريب المصنَّف» فدخلتْ عليه أمه في تلك الحال، فارتاعَتْ، فقال:

رِيْعَتْ عجوزي أن رأَتْني لابسًا حِلَقَ الحديد ومِثل ذاك يَرُوعُ
قالت: جُنِنتَ فقلت: بل هيَ هِمّةٌ هي عنصر العلياء والينبوعُ(٢)

وكتاب «الغريب المصنَّف» مجلدان، ألَّفه أبو عبيد في نحو أربعين سنة، وقد قال عنه مؤلفه: كتابي أحب إليَّ من عشرة آلاف دينار! وعدد شواهد الشعر فيه ألفٌ ومئتا بيت!(٣).

٢٧- ابن فطيمة البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٣٦هـ) كانت داره مجمع الفضلاء والعلماء. واتفق أن لحِقَتْه علة، فقُطعت أصابعه العشرة، ولم يبقَ له إلا الكفَّان فحسب، ومع هذا كان يأخذ القلم بكفيه، ويمسك الكاغد برجله، ويكتب بكفه خطًا حسنًا مقروءًا مبيَّنًا، وهذا عجيبُ ما رأيته(٤).

٢٨- قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٤٣هـ): سورة يوسف أملَينا فيها ألف مسألة(٥). وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟﴾ [المائدة: ٦] وقال بعض العلماء: إن فيها ألف مسألة. واجتمع أصحابنا بمدينة السلام، فتتبَّعوها، فبلَّغوها ثمان مئة مسألة(٦).

٢٩- أحمد بن أبي عَبِيدة الخزرجي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٨٢هـ) نُكِب نكبات، وامتُحن بالأسر، وألَّف وهو مأسور كتابه المسمى بـ «مقامع هامات الصلبان وروائع رياض الإيمان» وكان عمره إحدى وعشرين سنة، يردُّ به على بعض القسيسين، وتركه في نُسَخ بأيدي جماعة من المسلمين،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري (٣٥/ ١٧٨).
(٢) الغريب المصنف لأبي عبيد (١/ ٢٨٢) ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقّري (٣/ ٤٨٩).
فائدة: التعبير عن الأم بالعجوز يبدو من السياق أنه ليس من العقوق، بل هو مما جرَتْ به عادتهم من غير نكير. وفي الصحيحين أن أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صففتُ أنا، واليتيم وراءه، والعجوزُ من ورائنا (يقصد جَدَّته مُليكة).
(٣) الفهرست لابن النديم(ص٩٧).
(٤) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (ص٦٨٨).
(٥) العواصم من القواصم (ص٢٣٥).
(٦) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٢/ ٤٧).

المبتلَين بالأَسر هناك، لمَّا يسر الله في تَخلُّصه[(١)].

٣٠- فاطمة بنت الأمير الفقيه علاء الدين الكاساني الحنفي رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٥٨٧هـ) صاحب «تحفة الفقهاء»، كانت فقيهة جميلة، وقد حفظت «التحفة» وخطبها غير واحد من الملوك، فامتنع والدها، ولما فاق الكاساني عنده، وصنَّف «البدائع شرح التحفة» زوَّجه ابنته، وجعل مهرها منه ذلك، فقالوا: شرح «تحفته» وتزوج ابنته. وكانت تنقل المذهب، وربما وهِم الشيخ في الفتوى، فتنبُّهه على وجه الصواب، فيرجع الى قولها، وكانت الفتوى تأتي، فتخرج وعليها خطها، وخط أبيها، فلما تزوجت بـ «صاحب البدائع»، كانت الفتوى تخرج وعليها خطها، وخط أبيها، وخط زوجها[(٢)].

٣١- في أواخر القرن السادس للهجرة، وُجِدَت نُسخة من «صحاح الجوهري» بخط جميل لامرأة، وفيه: تقول كاتبته مريم بنت عبد القادر: أرجو مَن وجد فيه سهوًا أن يغفر لي خطئي؛ لأني بينما كنت أخط بيميني، كنت أهزُّ مَهْد ولَدي بشمالي[(٣)].

٣٢- الحافظ الشاطبي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت٥٩٠هـ) لما فرغ من تصنيف «منظومته الشاطبية» طاف بها حول الكعبة مئات المرات، وكلما جاء في أماكن الدعاء دعا بقوله: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربَّ هذ البيت العظيم، انفع بها كل من قرأها. يا رب إن كنتُ قصدتُ بها وجهك، فاكتب لها البقاء[(٤)].

وأعجوبة شاطبية أخرى قال عنها ابن الجزري رَحِمَهُٱللَّهُ (ت٨٣٣هـ): ومن أعجب ما اتفق للشاطبية في عصرنا هذا، أن به من بينه وبين الشاطبي باتصال التلاوة والقراءة رجلين، مع أن للشاطبي يوم تبييض هذه الترجمة مئتي سنة، وهذا لا أعلم أنه اتفق في عصر من الأعصار[(٥)].

٣٣- الطالقاني رَحِمَهُٱللَّهُ (ت٥٩٠هـ) حكى عن نفسه، أنه كان بَليد الذهن في الحفظ، وأنه كان عند شيخه، وكان من عادة شيخه أن يستعرض الفقهاء كل جمعة، ويأخذ عليهم ما حفِظوه،

---

(١) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (١/ ٤٢٠).

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص١٥٨) وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٨٩) وبغية الطلب في تاريخ حلب (٤٣٤٨/١٠).

(٣) مجلة لغة العرب العراقية (٧١٧/٦).

(٤) شرح الضباع على الشاطبية (مقدمة / ص٤٥).

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٢).

فمن وجده مقصِّرًا أخرجه، فوجد الطالقانيَ مقصرًا، فأخرجه فخرج في الليل، وهو لا يدري إلى أين يذهب، فنام في أَتُون حمَّام، فرأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتَفَلَ في فمه مرتين، وأمره بالعَود إلى المدرسة، فعاد ووجد الماضي محفوظًا، واحتدَّ ذهنه جدًا[1].

٣٤- ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٠٦هـ) كان مُحْظيًا عند الملوك، وتولى لهم المناصب الجليلة، فعرض له مرض في كَف يديه ورجليه، فانقطع في منزله، وترك المناصب، فحضر إليه بعض الأطباء، والْتزم بعلاجه، فلما قارب البُرء دفع إليه شيئًا من الذهب، فلامَه أصحابه على ذلك، وقالوا: هلّا أبقيته إلى حصول الشفاء؟! فقال لهم إنني: متى عوفيتُ طلبت المناصب، ودخلت فيها، وكُلِّفتُ قبولها، وأما ما دمتُ على هذه الحالة، فإني لا أصلح لذلك، فأصرف أوقاتي في تكميل نفسي، ومطالعة كتب العلم، ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم، والرزق لابد منه. فاختار عُطلةَ جسمه؛ ليحصل له بذلك الإقامة على العطلة عن المناصب. وفي تلك المدة ألَّف كتاب «جامع الأصول»، و«النهاية» وغيرهما[2].

٣٥- المقرئ ابن أبي الأزهر اللاحمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٠٧هـ) كان لا يَلحقه أحد في سرعة القراءة، ولقد قرأ في يوم واحد أربع ختمات إلا سُبُعًا! وهذا ثبت بمحضر جماعة من القراء، أُخذت خطوطهم بتلاوته، وهذا أمر عجيب جدًا![3].

٣٦- الحافظ المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٥٦هـ) كان ملازمًا لمدرسة دار الحديث، فلا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة، حتى إنه كان له ولد نجيب محدث فاضل، توفاه الله، فصلى عليه الشيخ داخل المدرسة، وشيَّعه إلى بابها؛ لئلا ينقطع عن الدرس، ثم دمعت عيناه، وقال: أودعتُك يا ولدي لله. وفارَقَه![4].

٣٧- الشيخ العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٦٠هـ) كان يخرج إلى المسجد يوم الأربعاء، ومعه كتاب «نهاية المطلب في دراية المذهب» في فقه الشافعية، للجويني، وهو اثنا عشر مجلدًا، فيمكث العز

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ٩) والأَتُون: مُستوقد النَّار تَحت الحمَّام، كما في تهذيب اللغة (١٥/ ٢٢٢).
(٢) الكشكول (١/ ٢٦).
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٥٢٦) وفي تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني (ص٢٧) قال: ولم يُخفِ شيئًا من قراءته، ولا فَتَرَ! وما سمعنا أن أحدًا قبله بلغ هذه الغاية.
(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٢٦٠).

بالمسجد يوم الأربعاء، ويوم الخميس، ويوم الجمعة إلى قبيل الصلاة، فيُنهِي في هذا الوقت النهاية. وقد عقَّب على هذه الحكاية العجيبة البُلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٥هـ) فقال: ولا أَستبعِد؛ لأن الشيخ عز الدين لا يُشكِل عليه منها شيء![١].

٣٨- القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٨٤هـ) استنبط شيئًا يبهر العقول، من بيت أنشده بعض الأفاضل، وهو:

ما يقول الفقيه أيده الله ... ولا زال عنده إحسانُ

في فتى علق الطلاق بشهر ... قبلَ ما قبلَ قبلَه رمضانُ

فقال العبقري القرافي: البيت الثاني -وإن كان بيتًا واحدًا إلا أنه- من نوادر الأبيات .. فيكون مشتملًا على سبع مئة وعشرين مسألة، من المسائل الفقهية!![٢] أما كيف ذلك؛ فاسأل القرافي، ولا تسألني!

٣٩- المكين الأسمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٩٢هـ) ابتدأ على شيخه الختمة بالقراءات السبع، من بعد صلاة المغرب، وعند طلوع الفجر إذ به يقول: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] فختم عليه الختمة، جَمْعًا بالقراءات السبع في ليلة واحدة[٣].

٤٠- الشيخة المفتية العابدة، فاطمة بنت عباس البغدادية الحنبلية الواعظة رَحِمَهَا ٱللَّهُ (ت٧١٤هـ) كانت تحضر مجلس ابن تيمية، وكان يتعجب من عملها، ويثني على ذكائها وبكائها. وكان يذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيرًا من «المغني» أو أكثره، وأنه كان يستعدُّ لها من كثرة مسائلها، وحسن سؤالاتها، وسرعة فهمها. وكانت تنكر أحوال أهل البدع، وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال، فكانت تصعد المنبر وتعظ النساء. قال ابن تيمية: بقي في نفسي منها شيء؛ لأنها تصعد المنبر، وأردتُ أن أنهاها، فنمتُ ليلة، فرأيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، فسألته عنها. فقال: امرأة صالحة[٤].

٤١- من أعجب ما وقع لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٢٨هـ) لما كان صبيًا، فقد أراد والده أن يخرج بأولاده يومًا الى البستان على سبيل التنزُّه: فقال له: يا أحمد! تخرج مع إخوتك؛ تستريح. فاعتلَّ عليه،

---

(١) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (ص١٣١).

(٢) الفروق للقرافي (١/ ٦٢) وقد ذكر ابن القيم بعض تلك المسائل، كما في بدائع الفوائد (٣/ ٢٤٤).

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٢٥).

(٤) البداية والنهاية (١٤ / ٨٢).

فألح عليه والده، فامتنع أشد الامتناع، فقال: أشتهي أن تعفيَني من الخروج. فتركه وخرج بإخوته، فظلوا يومهم في البستان، ورجعوا آخر النهار، فقال: يا أحمد! أوحشْتَ إخوتَك اليوم، وتكدر عليهم بسبب غَيبتك عنهم، فما هذا؟! فقال: يا سيدي! إنني اليوم حفظت هذا الكتاب -وهو «جَنة الناظر وجُنة المُناظر»- فقال: حفظتَه؟! كالمنكِر المتعجِب من قوله، فقال له: استعرِضه عليَّ. فاستعرَضه، فاذا به قد حفِظه جميعه، فأخذه وقبَّله بين عينيه، وقال: يا بُني! لا تخبر أحدًا بما قد فعلت؛ خوفًا عليه من العين[1].

ومن أعجب أخباره أنه لما أُخذ وسجن، وآل الأمر إلى أن مُنع من الكتابة والمطالعة، وما تركوا عنده كراسًا ولا دواة، وحِيل بينه وبين كتبه، صنَّف عدة كتب، صغارًا وكبارًا .. بديهة من حفظه؛ لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه، بل إن كثيرًا من تصانيفه صنَّفها في الحبس[2]. والكتب التي ألفها بالسجن ستة كتب، هي: ١- «الاستقامة» مجلدان ٢- «جواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية» أربع مجلدات ٣- «تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» في ست مجلدات كبار ٤- «المحنة المصرية» مجلدان ٥- «المسائل الإسكندرانية» مجلد ٦- «الفتاوى المصرية» سبع مجلدات.

هـو حـجـة لله قـاهـرةٌ هـو بـيـنـنـا أعـجـوبـة الـدهـرِ[3]

٤٢- قال الحافظ السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩١١هـ) عن شيخه محيي الدين الكافِيَجِي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٧٩هـ): ولزمتُه أربع عشرة سنة. قال لي يومًا: أعرب: «زيد قائم» فقلت: قد صِرنا في مقام الصغار، ونُسأل عن هذا! فقال لي: في «زيد قائم» مئة وثلاثة عشر بحثًا، فقلت: لا أقوم من هذا المجلس، حتى أستفيدها. فأملاها عليه[4].

٤٣- قال جلال الدين الدَّوَّاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩١٨هـ): ابتُليتُ عند الرافضة بالأَسْر، ومكثت عندهم قريبًا من ثماني سنين، وذلك عند سياحتي لطلب العلم. وعَلِم الله -وكفى به عليمًا- أني لا أستعين في ذلك بكتاب، بل بَديهةً[5].

---

(١) الرد الوافر (ص١٣٣) والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (ص٣٥٠).
(٢) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص٤٢) والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص٢٢).
(٣) البداية والنهاية ط هجر (١٨/ ٢٩٨).
(٤) بغية الوعاة (١/ ١١٨).
(٥) الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة (ص٦٨).

٤٤- المؤرخ ابن القاضي المكناسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٢٥هـ) رجع من الحج قافلًا لمصر؛ لأجل أخذ العلم عمّن فاته بمصر، فأَسَرَه الأسبان بالبحر، ولقي منهم البلاء العظيم؛ تجويعًا وتعذيبًا، وبقي أحد عشر شهرًا مأسورًا، حتى افتداه الخليفة -آنذاك- بمبلغ كبير جدًا من الذهب. وبالرغم من هذا البلاء؛ فقد كان ذلك سببًا في تأليفه أكثر كتبه واحدًا بعد الآخر(١).

٤٥- عبد الرؤوف المُناوي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٣٠هـ) كان قليل الطعام، كثير السهر، فكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة، وقد توالى عليه نقص في أطرافه وبدنه؛ من كثرة التداوي، ولما عجز صار ولده تاج الدين يَستملي منه التآليف، ويسطرها، حتى بلغت نحو ثمانين مصنفًا. ومما يَكسر الخاطر، ويجلب الرأفة والأسى قوله في ختام كتابه «فيض القدير»: علَّقته والخواطر كسيرة، وعين الفؤاد غير قريرة، والقرائح قريحة، والجوارح جريحة، من جنايات الأنام؛ تأديبًا من الله عن الركون إلى من سواه(٢).

٤٦- الشيخ العلامة عبد الحكيم السيالكوتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٣٦هـ) إذا كان على ظهر الفرس، وقت طعنةٍ أو نهضةٍ، رأيت الأجزاء في يده، وإذا كان يغتسل رأيت الأجزاء في يد خُدَّامه، يحاذونه وهو يطالعها، ويغتسل(٣).

٤٧- السيد الحسين بن الإمام القاسم بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٥٠هـ) ألَّف كتابه «الغاية» وهو يقود الجيوش، وله ملاحم تُذهِل المُشاهِد لبعضها، عن النظر في كتاب من كتب العلم، فكيف به وهو قائد الجيوش، وأمير العساكر؟!(٤).

٤٨- الأديب الشيخ إبراهيم بن محمد الحسني الإدريسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١١٨٧هـ) كان قلمه كلِسانه سيالًا، وربما شرع في كتابة سورة من القرآن، وهو يتلو سورة أخرى بقدرها، فلا يغلط في كتابته ولا في قراءته، حتى تتما معًا! فعلّق الجبرتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٣٧هـ) قائلًا: وهذا من أعجب ما سمعت!(٥).

---

(١) درة الحجال في أسماء الرجال (المقدمة/ ٢٥) و(١/ ٤) و(٢/ ٢٠٩) وإتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس (١/ ٣٢٦ - ٣٣٧).

(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٢/ ٤١٢) والإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية (ص٣) وفيض القدير (١/ ٢).

(٣) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٥/ ٥٦١).

(٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/ ٢٢٦).

(٥) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (١/ ٤٢٧).

٤٩- الشيخ عبد الله بن محمد الدخيِّل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٢٤هـ) كان يُدرِّس في حلقات العلم، فما شعر ذات يوم إلا وصوت يقول: يا شيخ! يا شيخ! والحضور لا يدرون مَن المتكلم، فقال الشيخ: نعم؛ ماذا تريد؟ فقال الجني: أصحابك هؤلاء، من أتى منهم رمى بعصاه، وهي لا تقع إلا علينا[1].

فيا أيها العالِم: احتسب عند الله، أنه يحضر درسك مع الإنس إخوانك من الجن! فاقْدُرهم قَدْرهم، وانوِ أن تعلمهم؛ فإنهم يرَونك من حيث لا تراهم، ويتعلمون منك، ويهتدون بهَدْيك وأنت لا تشعر.

٥٠- الشيخة حصة الحنيف رَحِمَهَا اللَّهُ (ت١٣٣٦هـ) زوجة قاضي الزبير، فقد رحلت بعد وفاة زوجها للتعليم في أقاصي الدنيا، فقد كان يقيم بالهند أحد تجار اللؤلؤ من أهل الزبير، فطلب منهم أن يختاروا امرأة طالبة علم؛ لكي تُدرِّس الصغار من أولاد التجار العرب في مبادئ العلوم الشرعية، والقراءة، فرشَّحوا الشيخة حصة، فاشترطت أن تذهب مع طفلها الوحيد، فرحَلَتْ، ومكثتْ تسع سنوات، ودرَّست ونفعَت أولاد المسلمين هناك[2].

٥١- د. محمد عبد الله درَّاز رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٧٨هـ) ألَّف كتابه الفذ «دستور الأخلاق في القرآن» طيلة أحد عشر عامًا، وقد قاسَى معاناةً فترةَ تأليفه، حيث اكتنفها سنوات حرب عصيبة، وما أثارته هذه الحرب من مشلات مادية ونفسية، كان يتحمل عِبئها، واضطر لقضاء أيام طويلة مع أسرته، في مَخبأ تحت الأرض، وكان يجمع أوراقه، ويشتغل بالبحث وسط صوت القنابل التي تدوِّي فوقه، وكان يقرأ على ضوء شمعة، أو مصباح خافِت[3].

حقًّا: إنهم قوم عظماء الهمم، وإن تكالبت عليهم الهموم، فلا يجدون إلا العلم متنفَّسًا، ولا يبغُون عن لذَّته بدلًا، وتراهم يتكيّفون مع الظروف القاسية، فيُحِيلونها نعيمًا مقيمًا:

إذا استوقفَتْني في الديار عشيةٌ ... تلذذتُ فيها جَيَّةً وذهابا[4]

---

(١) تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب للشيخ مقبل الوادعي (ص٣٦٥) وأما تسمية الشيخ باسمه فقد أفدتُها من مقطع مرئي لأحد طلبة العلم.

(٢) النجديون في الهند - إبراهيم المديهش (ص٣١٢).

(٣) مقدمة كتاب: دستور الأخلاق في القرآن (ص٦).

(٤) قلائد العقيان (ص٢٣٥).

٥٢- الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٩٢هـ) مرض وهو يجمع فتاوى ابن تيمية، فسافر للعلاج إلى بيروت، ثم باريس عن طريق القاهرة. يقول ابنه الشيخ محمد: وصلنا القاهرة، وقمنا بزيارة دار الكتب المصرية، ثم تصفحنا ما فيها من المجاميع .. وبينما هو يعالج في بيروت، ضحَّى براحته وحاجته، وضحى بمرافقة ابنه له؛ ليأمره بالسفر من بيروت إلى دمشق؛ للتنقيب والنسخ. فسبحان الفاتح المانح(١).

٥٣- خديجة العمودي رَحِمَهَا ٱللَّهُ (بعد ١٤٠٠هـ) نسخَتْ كتاب «النهاية» للرملي، ثمانية أجزاء. وقالت في آخر الثامن: فليعذُرني مَن وقف على هذا الكتاب؛ فإني كتبتُه وأنا أُرضع ولدي(٢).

٥٤- الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢١هـ) أصيب في عينه، فطلب منه الطبيب أن يمكث شهرًا لا يقرأ شيئًا! فمكث أيامًا، ثم أصابه الملل، فطلب أن يُنسخ له من المكتبة الظاهرية كتاب «ذم الملاهي» لابن أبي الدنيا. فنسخ الناسخ، حتى وصل إلى مكان فيه ورقة ضائعة، قطعت اتصال الكلام، فطلب إليه الشيخ أن يستمر بالنسخ. فلما فرغ الناسخ وانتهت مدة العلاج؛ ذهب الشيخ يبحث عن تلك الورقة الضائعة في المكتبة الظاهرية، ونسي أو تناسى مرضه، فلم يجدها، ولكنه في تلك الأثناء كان يدون الأحاديث التي يقف عليها في المخطوطات، حتى دوَّن أربعين مجلدًا من الأحاديث بخط يده! وكان عدد المخطوطات آنذاك حوالي عشرة آلاف مخطوطة!(٣).

٥٥- شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢١هـ) ألقى في أواخر أيامه دروسه في العشر الأواخر من رمضان بحجرته بالمسجد الحرام، وهو تحت الأجهزة الطبية. وفي الليلة التاسعة والعشرين من رمضان، نُقل من الحرم إلى مستشفى جدة، وأُدخل العناية المركزة قرابة الأربع ساعات، وبعد العصر تحسَّنتْ حالته شيئًا ما، فأصرَّ أن يذهب إلى مكة، رغم المحاولات لثَنْيِه عن ذلك، فقال: لا تَحرِمونا هذا الأجر، فهذه آخر ليلة في رمضان! وبالفعل ذهب إلى مكة، ومعه الأطباء المرافقون، وأجلسوه في غرفة داخل الحرم .. ولما انتهى من الدرس قال للأطباء: لو جلسنا في جدة لَفَاتنا هذا الخير العظيم! وكان هذا قبل وفاته بأسبوعين فقط!(٤).

(١) مقدمة مجموع فتاوى ابن تيمية (١/هـ).
(٢) تاج الأعراس في مناقب الحبيب صالح العطاس (٢/ ٥٦٣).
(٣) محدث العصر للشيخ سمير الزهيري - دار المغني (ص١٦).
(٤) صفحات مشرقة -حمود المطر (ص١٤١).

٥٦- الشيخة موضي بنت عبد الله الجلهم رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت١٤٣٧هـ) ولدت في عنيزة، ومات والداها قبل أن تتزوج، فتولت رعاية إخوتها السبعة الصغار، وبعد أن تزوجت بزمن يسير تعرضت لحريق؛ احترق على أثره جزء كبير من جسدها، ورقدت في المستشفى عدة أشهر. وعلى رغم توالي تلك المصائب والمصاعب، إلا أنها واصلت مشوارها في الدراسة وبتفوق. وقد حفظت القرآن والصحيحين. ثم صارت تتابع دروس كبار العلماء؛ ابن باز وابن عثيمين والفوزان. كما أوتيت ذكاء حادًا، فربما نقلَتْ من ذاكرتها عن ابن تيمية أو ابن القيم بالجزء والصفحة. ثم صارت تلقي الدروس النسائية يوميًا إلا يوم الجمعة، طيلة اثنين وعشرين عامًا، حتى في أيام مرضها، ففي سنة ١٤٣٤هـ أصيبت بـ «الغرغرينا» في قدمها، ثم بُترت إلى منتصف الساق، ثم ضعف بصرها شيئًا فشيئًا، ومكثت في المستشفى عدة أشهر، ولم يَثْنِها ذلك عن إلقاء دروسها، فقد كانت تخرج من المستشفى كل يوم أحد؛ لإلقاء درس العقيدة ثم تعود. وقد أحصي ما شرحَتْ من الكتب، فبلغت خمسة وسبعين كتابًا ومتنًا، ومنها: شرح أبواب من «صحيح البخاري» و«كتاب التوحيد» مرارًا، وشرحت «الواسطية» ثلاث مرات، و«شرح السنة» للبربهاري. وقد توفيت ولم تبلغ الستين عامًا.

٥٧- مفتي اليمن محمد بن إسماعيل العمراني رَحِمَهُٱللَّهُ (ت١٤٤٢هـ) مكث أربعين سنة، يبحث عن اسم المدينة الحبشية، التي هاجر إليها الصحابة، وراسَل مراكز متخصصة بأوروبا وأمريكا، فلم يظفَر بجواب، حتى هداه الله إلى موضعها، وأنها في أرتيريا، وليست في الحبشة؛ لأن أرتيريا كانت جزءًا من الحبشة، واسم المدينة: «ميكيلي العلّامة» بمقاطعة «تيجراي»[1].

٥٨- الشيخة المقرئة المعمَّرة المصرية تناظر مصطفى النجولي رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت١٤٤٢هـ) جلست مدة سبعين عامًا للإقراء بالقراءات العشر، وتوفيت عن سبعة وتسعين عامًا.

٥٩- قال الشيخ الرحالة محمد بن ناصر العبودي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت١٤٤٣هـ): كان في مكتبة الجامع الكبير بعنيزة نسخة مخطوطة من «الإنصاف» فعزمنا على أن نسافر إلى عنيزة؛ لرؤية ذلك الكتاب، ولكن الطريق المألوفة للسفر إلى عنيزة في ذلك الوقت، هي استئجار حمار؛ نتعاقب على ركوبه، أو استئجار حمارين يكون معهما صاحبهما، وهذا يكلفنا مالًا لسنا مضطرين إلى بذله .. فقررنا أن نسافر إلى عنيزة، مشيًا على الأقدام؛ من أجل رؤية ذلك الكتاب

(١) من مقطع مرئي للشيخ نفسه.

«كتاب الإنصاف» وكان ذلك صيف عام ١٣٦٤هـ، وكان عمري تسع عشرة سنة[١].

٦٠- المثال الستون من العجائب والأسرار: تأمل هذا الجدول الدسم، الذي دونتُ فيه أرقامًا قياسية مُبهِرة:

الكتاب ومؤلِّفه وعدد مجلداته	العالِم الذي كرَّره	كم مرة كرره؟
١- الرسالة للشافعي = ١	المزني	٧٠
٢- الوسيط للغزالي = ٧	النووي	٤٠٠
٣- مختصر ابن عبد الحكم	ابن عيسى الأندلسي	٥٠٠
٤- الجامع لمحمد بن الحسن	أبو سعيد البردعي	٤٠٠
٥- جزء البانياسي	ابن البطّيّ البغدادي	٢٠٠
٦- المغني لابن قدامة = ١٠	فقيه العراق الزريراني	٢٣[٢]
٧- شرح صحيح مسلم للنووي = ٩	ابن باز	٦٠
٨- الأغاني للأصفهاني = ٢٤	صالح اللحيدان	٧
٩- أعلام الموقعين لابن القيم	مشهور حسن سلمان	٣٠[٣]
١٠- الأعلام للزركلي = ٨	أحمد العلاونة	١٠٠
١١- ألفية ابن مالك	ابن هشام	١٠٠٠
١٢- الأيام - طه حسين	عبد الكريم الخضير	٥
١٣- تفسير الإيجي = ١	عبد الله بن عقيل	١٠٠
١٤- تفسير القرطبي = ١٠	عبد الرحمن بن معاضة الشهري	٥

(١) معجم أسر بريدة للعبودي (ص٣٠١).

(٢) وفي كل مرة يكتب حاشية عليها، فصار له على «المغني» ثلاث وعشرون حاشية. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ٢).

(٣) وسبب تحقيق الشيخ مشهور للكتاب كلمة مباركة، نقلها له الشيخ بكر أبو زيد، عن الشيخ ابن باز أنه قال: كتاب الإسلام إعلام الموقعين! قال ابن باز: قد درّسْته أربعين مرة! فمن أي الثلاثة تَعجَب؟! (من مقطع مرئي للشيخ مشهور في اليوتيوب).

الكتاب ومؤلِّفه وعدد مجلداته	العالِم الذي كرَّره	كم مرة كرره؟
١٥- تهذيب سيرة ابن هشام - هارون	عبد الله اللغي العبدلي[١]	٥٠
١٦- فتح الباري لابن حجر	حماد الأنصاري	٢٠
١٧- الفرج بعد الشدة = ٥	علي الطنطاوي	٣٠
١٨- النظرات للمنفلوطي	علي الطنطاوي	٣٠
١٩- الكتب الستة	الشيخ عابد السندي	ختمة شهرية
٢٠- صحيح البخاري	غالب بن عطية المحاربي	٧٠٠

وأما تمام السبعين؛ فخُذْ عشر قصص عجيبة عن العلماء، إمَّا رَوَوْها، أو رأَوْها، لكنها قصص في غير العلم، بل هي غرائب مذهلة، من عجائب الله في مخلوقاته:

٦١- حكى السبكي في «طبقاته» قصة طويلة سأختصرها، وهي قصة مسندة وقعت لأبي العباس عيسى الطهماني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٩٣هـ) فقال: مما أدركناه عيانًا، وشاهدناه في زماننا .. أني وردتُ في سنة ثمان وثلاثين ومئتين مدينةً بخوارزم، فخُبِّرْتُ أن بها امرأة من نساء الشهداء، واسمها رحمة، رأت رؤيا كأنها بزوجها مع الشهداء، يأكل في الجنة على موائد منوعة، وكانت صائمة، قالت: فاستأذنَهم، وناولَني كسرة أكلتُها، فوجدتُها أطيب من كل شيء، فاستيقظتُ شبعانة! واستمرتْ بعدها عشرين سنة، لا تحتاج لطعام ولا شراب ولا خلاء. وقد أحضرها أهل خوارزم الشهر والشهرين في بيت، يغلقونه عليها، ويوكِّلون بها من يُراعيها، فلا يرَوْنها تأكل ولا تشرب، ولا يجدون لها أثر بول ولا غائط، فيبرُّونها ويكسونها، ويُخْلُون سبيلها.

قال أبو العباس: فلما تواطأ أهل الناحية على تصديقها، استقصصتُها عن حديثها، وسألتُها عن اسمها وشأنها كله .. وكنا نأكل فتتنحَّى، وتأخذ على أنفها؛ تزعم أنها تتأذى من رائحة الطعام! فسألتُها: هل تتغذى بشيء، أو تشرب شيئًا غير الماء؟ فقالت: لا.

(١) هذا الشيخ النهِم المعاصر -في مقطع له- يُخبر عن نفسه أنه: قرأ مسند الإمام أحمد في مجلس سماع، وكانت مدة القراءة ١٧ يومًا، بواقع ١٤ ساعة يوميًا! ويُخبر أنه اشترى المسند وهو في الصف السادس الابتدائي!.

فسألتها: هل يخرج منها ريح أو أذى، كما يخرج من الناس؟! فقالت: لا عهدَ لي بالأذى منذ ذلك الزمان. قلت: فهل تحتاجين حاجة النساء إلى الرجال؟ قالت: أمَا تستحيي مني، تسألني عن مثل هذا؟! قلت: إني لعلي أحدث الناس عنك، ولا بد أن استقصي. قالت: لا أحتاج. قلت: فتنامين؟ قالت: نعم، أطيب نوم. قلت: فهل تجدين البرد، وتتأذين بالحر؟ قالت: نعم. قلت: فتتوضئين للصلاة؟ قالت: نعم قلت: لِمَ؟ قالت: أمرني بذلك الفقهاء. فقلت: إنهم أفتوها على حديث «لا وضوء إلا من حدث أو نوم». وذكرتْ لي أن بطنها لاصقٌ بظهرها، فأمرتُ امرأة من نسائنا، فنظرَتْ فإذا بطنها كما وصفَتْ، وإذا قد اتخذت كيسًا، فضمَّت القطن، وشدَّته على بطنها؛ كيلا ينقصف ظهرها إذا مشت. ثم لم أزَلْ أختلف إلى بلادها بين السنتين والثلاث، فتحضرني، فأعيد مسألتها فلا تزيد ولا تنقص.

وقد علق الذهبي قائلًا: وهذه حكاية صحيحة، فسبحان القادر على كل شيء![1].

٦٢- قال معمر بن راشد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٥٤هـ): رأيت باليمن عنقود عنب، وِقْرَ بَغْلٍ تام[2].

٦٣- قال الحسن بن حي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٦٧هـ): رأيت جَدة بنت إحدى وعشرين سنة[3].

٦٤- قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٠٤هـ): رأيت باليمن بنات يحِضْن كثيرًا، وأعجلُ مَن سمعت به مِن النساء حِضْنَ نساءُ تهامة، يحِضْن لتسع سنين[4].

٦٥- وقال الشافعي: بينا أنا أدور في طلب العلم، فدخلت بلدة من بلاد اليمن، فرأيت فيها إنسانًا، من وسطه إلى أسفله بدن امرأة، ومن وسطه إلى فوقه بدنان متفرقان، بأربع أيد ورأسين ووجهين، وهما يتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان، ويأكلان ويشربان. ثم غبت عنهما سنتين ورجعت، فسألت عنه، فقيل لي: أحسن الله عزاءك في الجسد الواحد، توفي، فرُبط من أسفله بحبل وثيق، وتُرك حتى ذبُل وقُطع، فلعهدي بالجسد الآخر في السوق ذاهبًا وجائيًا[5].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٩) وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٣/ ٥٧٢).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٢/ ٢١٧). والوِقْر: الحِمل الثقيل.

(٣) المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٥١٨).

(٤) الأم للشافعي (٥/ ٢٢٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٣٧) والحاوي الكبير (١/ ٣٨٩).

(٥) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٣/ ٤٢٦).

٦٦- وقال الشافعي -أيضًا-: عجائب الدنيا خمسة أشياء؛ أحدها منارة ذي القرنين -يعني منارة الإسكندرية- والثاني: أصحاب الرقيم الذين هم في الروم، والثالث: مرآة ببلاد الأندلس، معلقة على باب مدينتها الكبيرة، فإذا غاب الرجل عن بلاده على مسافة مئة فرسخ في مئة فرسخ، فإن أهلها إذا نظروا في تلك المرآة، رأوا صاحبهم من خلالها. والرابع: مسجد دمشق، وما يوصف من الإنفاق عليها، والخامس: الرخام والفُسيفساء؛ فإنه لا يُدْرَى له موضع، ويقال: إن الرخام معجونة، وإنها إذا وضعت على النار تُذيبه[1].

٦٧- في سنة (٦١٩هـ) ظهر جراد بالشام لم يُرَ مِثْلُه، فأكل الزرع والشجر والثمر، فجلبوا له طيرًا ببلاد العجم، يقال له «السمرمر» يأكل الجراد، وهو يجتمع عند عين، فأخذوا من مائها في قوارير، وعلّقوه على رؤوس الرماح، وكلما رآه السمرمر تبعه، حتى إذا وصلوا مكان الجراد أفنى ما كان من الجراد هناك، فلم يُبقِ منه شيئًا، وبقيَتِ القوارير معلقة بتلك الأماكن، إلى أن جفَّ ما فيها، والطير موجود[2].

٦٨- قال ياقوت الحموي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٢٦هـ): جرى في حلب في أيامنا هذه شيء عجيب، وكنت مرتابًا فيه ومقلّدًا لمن حكاه فيه، حتى إذا كان سنة ٦١٩ شاع ثم ورَدَ بصحته كتاب والي هذه الناحية، أنهم رأوا هناك تِنّينًا عظيمًا في طول المنارة وغِلَظها، أسود اللون، وهو ينساب على الأرض، والنار تخرج من فيه ودُبره، فما مرّ على شيء إلا وأحرقه، حتى إنه أتلف عدّة مزارع، وأحرق أشجارًا كثيرة، حتى أغاث الله أهل تلك النواحي بسحابة، حتى اشتملت عليه ورفعته، وجعلت تعلو قِبَل السماء، والناس يشاهدون النار تخرج من قُبله ودبره، وهو يحرك ذنَبه ويرتفع، حتى غاب عن أعين الناس[3].

٦٩- حكى المؤرخون قبل سبعة قرون، عن عجيبة من عجائب البحر، وقعت عام (٧٠٢هـ) فقد ظهرت من النيل دابة من البحر عجيبة الخِلقة، وهي التي تُعرف بفَرَس البحر، ووجدوا في جوفها ثلاث كُروش، كرْشٌ فيه حجارة، والكرش الثاني فيه سمك، والكرش الثالث فيه حشيش، ولها نابان، ولونها لون الجاموس بلا شعر، وآذانها كآذان الجَمل، وعيناها وفرْجُها

---

(١) فنون العجائب لأبي سعيد النقاش (ص٨١) وكنز الدرر وجامع الغرر (٤/ ٢٥٤).

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢٢/ ٢٦٠).

(٣) معجم البلدان (٤/ ٤٧٦).

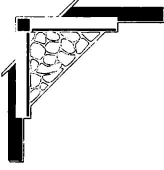
مثل الناقة، يغطي فرجها ذنَب طوله شبر ونصف، طرَفه كذنَب السمكة، ولحمها أحمر، وزُفرته مثل السمك، وطعمه كلحم الجمل، وغِلظ جلدها أربعة أصابع، ما تعمل فيه السيوف، وحُمل جِلدها على خمسة أجمال في مدار ساعة من ثِقَله، على جَمل بعد جمل، وأحضروه بين يدي السلطان، وحشَوْه تِبنًا، وأقاموه بين يديه، وتعجَّب الناس منه[١].

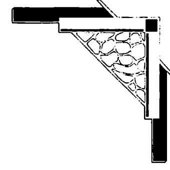
٧٠- في سنة (٨٢٢هـ) اتفق بمصر كائنة عجيبة، وهو أن شخصًا كان له أربعة أولاد ذكور، فلما وقع الموت في الأطفال، سألت أمه أن يختنهم؛ ليفرح بهم قبل أن يموتوا، فجمع الناس لذلك على العادة، وأحضر المزيِّن، فشرع في ختن واحد بعد آخر، وكل من يُختن يُسقى شرابًا مذابًا بالماء على العادة، فمات الأربعة في الحال عقِب خَتْنهم، فاستراب أبوهم بالمزين، وظن أن مبضعه مسموم، فجرح المزين نفسه؛ ليبرئ ساحته، فانقلب فرحهم عزاء، ثم ظهر في الزير الذي كان يذاب فيه الشراب، حية عظيمة ماتت فيه وتمزقت، فكانت سبب هلاك الأطفال، ولله الأمر[٢].



(١) نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك (ص١٨٦) والبداية والنهاية ط هجر (١٨/ ١٩) وإنباء الغمر بأبناء العمر (٣/ ١٦) وكنز الدرر وجامع الغرر (٩/ ٨٠).

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر (٣/ ١٩٩). والمزيِّن هو الذي يتولى مهنة الختان.





علماء مات آباؤهم
فربَّتْهم على العلم أمهاتهم

التربية على العلم تختصر لك أساليب التربية، ودوراتها وقوانينها.

وإذا ألهمَ الله الأبوين على تلكم الهمة العلية، ورُزِقا بولد ذكي زكي كان الكمال، فلم يبقَ إلا رعايتهما، وحينها يَحمد الولد العُقبَى، فيقول بلسان الحال:

والله يجزي أبي عني ووالدتي ... ومن يعلمني بالخُلد آمينَ
آمين آمين لا أرضى بواحدةٍ ... حتى أُضيف إليها ألف آمينَ[(١)]

والأصل -وهو الغالب- أن يتولى الأب أكثر التربية، فإذا غادَر الحياةَ تولَّت الأم المُهِمَّتين، فصارت أمًا وأبًا معًا. ثم بعدها لا تسَلْ عن سر صناعة عجائب التضحيات المضاعفات، النابعات من تلكم الأنثى الشفيقة الرقيقة، والحازمة في آنٍ واحد، فأما الشفقة والرقة فطبْعُها، وأما الحزم فلابد أن تكتسبه، وإلا ضاع ولدها العبقري.

وأسرار العجائب هنا يتجاذبها شطران لا ينفكَّان: ولد عبقري، وأم موفقة، بل مَكْمن العَجَب ومَصْنعه هن الأمهات العظيمات.

وصدق حافظ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٥١هـ) حين قال:

الأم مدرسةٌ إذا أعددتَها ... أعددتَ شعبًا طيّب الأعراقِ
الأمُّ أستاذُ الأساتذةِ الأُلى ... شَغَلَتْ مآثرهم مدى الآفاقِ[(٢)]

---

(١) معجم السفر (ص٣٣٤).

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (٢/ ٢٤٩).

وإليك نماذج لفَطاحِلَةٍ؛ مات آباؤهم وهم أطفال لم يميزوا، فربَّتهم أمهاتهم، وصنَعْنَهم على العلم، فالأمهات إذا صلُحن صِرْنَ مصانع للرجال:

١- عبد الله بن هشام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (بعد ٤١هـ) كان عمره ست سنوات حين توفي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن بركة أمه عليه، وحسن تربيتها له، أنْ ذهبت به إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رسول الله بايِعْهُ، فقال: هو صغير. فمسح رأسه ودعا له. فكان عبد الله يخرج إلى السوق، فيشتري الطعام، فربما أصاب الراحلة كما هي، فيبعث بها إلى المنزل(١). يعني: يشتري الشيء الكثير، بالمبلغ القليل.

٢- الصحابي الجليل سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت٥٨هـ) عاش يتيمًا، وكانت أمه امرأة شابة جميلة، فخُطِبتْ، فجعلت تقول: لا أتزوج إلا رجلًا يكفُل لي نفقة سمرة حتى يَبلغ. فتزوجها رجل من الأنصار على ذلك الشرط(٢).

٣- أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت٩٣هـ)كان من بركة والدته أم سُليم، أن ربَّته خير تربية، وأحسنت عليه وعليها، بأن جعلته يتشرف بخدمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن عشر سنين، قال: فكان أمهاتي [جدته وخالته وأمه] يواظبنني على خدمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخدمته عشر سنين. ودعا مرةً لأم سليم ولأهل بيتها، ولكن أم سليم لم تكتفِ بهذا، بل من رحمتها وإحسانها العظيم على ولدها أنس، أرادت أن يكون له مزيد مزية من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رسول الله، إن لي خُوَيْصَّة، قال: ما هي؟ قالت: خادمك أنس. فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا له به، قال: اللهم ارزقه مالًا وولدًا، وبارك له فيه. قال أنس: فإني لَمِن أكثر الأنصار مالًا، وحدثتني ابنتي أمينة: أنه دُفن لصُلبي بضع وعشرون ومئة(٣).

٤- الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ (ت١٥٧هـ) كان يتيمًا فقيرًا في حجر أمه، تَنْقُله من بلد إلى بلد، فحصل بتربيتها من العلم والتربية، أن كان للناس إمامًا، حتى قال مُعاصِرُه: عجزَتِ الملوك أن تؤدب نفسها وأولادها أدب الأوزاعي في نفسه(٤).

---

(١) صحيح البخاري (٢٥٠١). انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٦٣).
(٢) الوافي بالوفيات (١٥/ ٢٧٧).
(٣) صحيح البخاري (٢٨٤٤) و(١٩٨٢) و(٥١٦٦).
(٤) وفيات الأعيان (٣/ ١٢٧) وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/ ١١٠).

٥- قالت أم شعبة بن الحجاج رَحِمَهُمَاٱللَّهُ (ت١٦٠هـ) لولدها شعبة: هاهنا امرأة تُحدث عن عائشة، فاذهب فاسمع منها. قال: فذهبت إليها، فسمعت منها، ثم قلت لأمي: قد سمعتُ منها[(١)].

٦- قالت أم سفيان الثوري رَحِمَهُمَاٱللَّهُ (ت١٦١هـ) لسفيان: اذهب فاطلب العلم، حتى أعُولَك أنا بمِغْزلي، فإذا كتبتَ عشرة أحاديث، فانظر هل تجد في نفسك زيادة فابتغِه، وإلا فلا تتعنَّ[(٢)].

٧- محمد بن عبد الرحمن الأوقص رَحِمَهُٱللَّهُ (ت١٦٩هـ) كان عنقه داخلًا في بدنه، وكان منكباه خارجين، فقالت له أمه: يا بُني! لا تكون في قوم إلا كنت المضحوك منه، المسخور به، وإنك لا تكون مع أحد إلا تخطّتك إليه العيون، فعليك بطلب العلم؛ فإنه يرفعك. قال: فنفعني الله بكلامها. فطلب العلم، وولي قضاء مكة عشرين سنة، فكان الخصم إذا جلس بين يديه، يرعد حتى يقوم[(٣)].

٨- الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ (ت١٧٩هـ) قال: كانت أمي تُعمِّمني، وتقول لي: اذهب إلى ربيعة، فتعلمْ من أدبه قبل علمه[(٤)].

٩- الإمام الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت٢٠٤هـ) كانت أمه تنتقل به من بلد إلى بلد. قال: كنت يتيمًا في حجر أمي، فلما أتى عليَّ سنتان حملتني أمي إلى مكة، فدفعتني في الكُتَّاب، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أن أشتري به قراطيس قط، فكنت إذا رأيت عظمًا يلوح آخذه فأكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في جَرة كانت لنا. ولم يكن عندها ما تعطيني أتحمَّل به، فرهنَتْ دارها على ستة عشر دينارًا، ودفعتْها إليَّ، فتحمَّلتُ بها[(٥)].

١٠- الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) قال عن والدته رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: كنتُ ربما أردت البكور إلى الحديث، فتأخذ أمي ثيابي وتقول: حتى يؤذِّن الناس[(٦)]. ولما زاد مَدُّ السيول بنهر دجلة قيل لأحمد: تَعْبُر

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية (٧/ ٢٠٧).
(٢) أدب الإملاء والاستملاء (ص١٠٩) والآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٤٥).
(٣) العقد الفريد (٣/ ١١٦) وعيون الأخبار (١/ ٤٤٣) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤/ ١٠٦).
(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٣٠).
(٥) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤١٣) وتاريخ بغداد ت بشار (٢/ ٣٩٦) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥١/ ٢٨٢) والبداية والنهاية (١٣/ ٤٤٤).
(٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٥١).

لحضور مجلس علم؟ فقال: أمي لا تدَعُني[١].

وكان هذا الطفل اليتيم ابن حنبل محل عَجَب وإعجاب ممن عاصره، حتى إن أحد العلماء الأثرياء قال ذات يوم: أنا أُنفق على ولدي، وأجيئُهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا، فما أراهم يُفلِحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظر كيف يخرج! وجعل يَعْجَبُ[٢].

١١- البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٥٦هـ) نشأ يتيمًا، فربَّته أمه. قال: خرجتُ مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججتُ رجع أخي بها، وتخلفتُ أنا في طلب الحديث[٣].

١٢- تاج الدين ابن بهادر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٣١هـ) توفي والده وهو صغير، فكفلته أمه فاطمة، فقامت به أحسن القيام، إلى أن ترعرع، فكان له في كل فن حظ وافر، مع قِصر المدة، فعمره ثلاث وثلاثون سنة[٤].

١٣- سِبط ابن العجمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٤١هـ) مات أبوه، فكفلته أمه، وانتقلت به إلى دمشق؛ ليحفظ القرآن، فصلى به على العادة التراويح في رمضان[٥].

١٤- الفقيه الحنبلي ابن خالد البدر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٩٠٢هـ) مات أبوه وهو ابن ثلاث، ونشأ في كفالة أمّه وأمّها، وحفظ القرآن و «الوجيز» و «ألفيّة النّحو»[٦].

١٥- قال نجم الدين الغزي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٠٦١هـ): رُبِّيْتُ بعد وفاة أبي في حَجْر والدتي، أنا وإخوتي، فأحسنَتْ تربيتَنا، ووفَّرتْ حُرمتنا، وعلمتْنا الصلوات والآداب، وحرصتْ على تعليمنا القرآن، وجازتْ شيوخنا على ذلك وكافأتهم، وقامتْ في كفالتنا بما هو فوق ما تقوم به الرجال، مُترمِّلةً علينا[٧].

١٦- قال الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٩٣هـ): لما حفظتُ القرآن، وأخذت الرسم العثماني، وتفوقتُ فيه على الأقران، عنِيَتْ بي والدتي وأخوالي أشد عناية، وعزموا على توجهي

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار (٨/ ١٨٤).
(٢) مناقب الإمام أحمد (ص٢٣).
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢/ ٥٧) وعنه تاريخ الإسلام ت بشار (٦/ ١٤٠).
(٤) بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين (ص٦٤).
(٥) الكاشف (١/ ١٠٠).
(٦) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ٥٨).
(٧) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ١٩٠) ومشيخة أبي المواهب الحنبلي (ص١٠).

للدراسة في بقية الفنون، فجهزَتْني والدتي بجَمَلَين، أحدهما عليه مَركبي وكتبي، والآخر عليه نفقتي وزادي، وصحبَني خادم ومعه عدة بقرات، وقد هيأَتْ لي مركبي كأحسن ما يكون من مركب، وملابس كأحسن ما تكون؛ فرحًا بي وترغيبًا لي في طلب العلم، وهكذا سلكتُ سبيل الطلب والتحصيل[(١)].

١٧- قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢٠هـ) عن والدته: لوالدتي -رحمة الله عليها- فضل كبير، وأثر عظيم في تشجيعي على الدراسة، والإعانة عليها -ضاعَف الله مثوبتها، وجزاها عني خير الجزاء-[(٢)].

١٨- الشيخ الأديب علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢٠هـ) قال: لما توفي أبي حملتْ أمي العبء كله، كانت أمًا وكانت أبًا .. وأبي كان -كأكثر المدرّسين والدعاة- ربما شغلَتْه مدرسته ومسجده، عن الإشراف الدائم على أولاده. كان يترك ذلك لأمي، فكانت تؤدّي الحقّ الذي تركه لها، وائتمنها عليه أداءً كاملًا .. كنت أنا أكبرَ إخوتي، لم أكمل السابعة عشرة، لذلك كان عليّ -بعد وفاة أبي- أن أشارك أمي في حمل هذا العِبء، فحملْتُ القليل القليل منه، وحملَتْ هي الأكثر، لكنها تركَت لي رَحِمَهَا ٱللَّهُ أمرَ دراسة إخوتي وتوجيههم. وما كنت أخرج -في الجملة- عن رأيها[(٣)].

١٩- الزاهد المؤلف العلامة عبد العزيز بن محمد السلمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢٢هـ) توفي أبوه وهو صغير، فكفلَتْه أمه، واعتنت به أيما عناية[(٤)].

٢٠- الشيخ أ.د. عبد الله بن محمد الطيار -حفظه الله تعالى- كتب عن سيرة والدته، فقال: توفي والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٣٧٣هـ وأنا صغير لا أتجاوز شهرين، فنشأت مع إخوتي يتيمًا، لكن والدتي رَحِمَهَا ٱللَّهُ عوضتني عن كل شيء، وكانت تقوم بدور الأم والأب، من حيث التربية والنفقة والرعاية .. ولذا فهو يعترف مُمْتنًا، ويدعو الله لها فيقول: اللهم إني أشهدك أن والدتي صنعت إليَّ معروفًا لا أستطيع أن أكافئها عليه .. حيث وجَّهتني والدتي، وساعدها

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ٤٨٥).
(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز - جمع محمد الشويعر (٣/ ٣٥٠).
(٣) باختصار من: ذكريات - علي الطنطاوي (٢/ ٩٨).
(٤) فتح المنان بترجمة العلامة الشيخ عبد العزيز السلمان - تأليف ابنه الشيخ عبد الحميد.

إخوتي للعلم، وفرغوني له، وساعدوني بكل وسيلة، وأراحوني ماديًا ومعنويًا، وهيؤوا لي الجو، خلال أكثر من عشر سنوات، وأنا في العقد الثالث من عمري[١].



نزهة اختبارية:

هذه السطور المصوغة بأسلوب أدبي، متضمنة لعشرة عناوين كتب.

فاختبر نفسك، وضَعْ خطاً تحت عناوينها، وسَمِّ مؤلفيها:

أديب ألمعي، كأنه الأصمعي، تراه الكامل في الأدب، والعمدة في كل مطلب، يأتيك من البديع بما يُخجل ربيع الزهر، وزهر الربيع، ويُثمر المسامرة، ويُحضر المحاضرة، ويُتقن المحاورة، ويحسن المجاورة، يُبادِهُك بما رقَّ وراق، ويجلب لك الغصن من أزهار الأفكار، وثمرات الأوراق، يجود على السمع بما يطلب القلب من الاقتراح، ويجلو عليك مِن راحِ مُلَحِه، ما يوجب لك الراحة والارتياح. وما زلنا نقتطف منه زهور الآداب، ونخترف ثمار الألباب.

حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص٢٣٣)

---

(١) أفول شمس (أربعون عامًا في صحبة والدتي) أ.د. عبد الله الطيار.

علماء مات آباؤهم وأمهاتهم فربَّاهم على العلم قراباتهم

هذه نماذج لمن مات آباؤهم وأمهاتهم، وهم أطفال لم يميزوا.

فيا تُرى! مَنِ الذي رَبَّاهم على العلم؟!

لقد تولى تربيتهم وحضانتهم أحد قرابتهم، فقاموا بالتربية خير قيام، حتى أنتجوا عالِمًا يُشار إليه بالبنان، وحصلوا أجورًا أعلى من البنيان.

ومَكْمن الإعجاب هنا يتوزع بين شخصين، بين ذي الرحِم المربِّي الذي وفقه الله؛ ليتبنى هذا المربَّى الموهوب، والنابغ الصغير، حيث ظهرت فيه علائم الموهبة والنبوغ مبكرة.

وإليك أربعةً وأربعين من النماذج معدودة مسرودة:

١- علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٤٠هـ) ولد قبل البعثة بعشر سنين، فرُبِّيَ في حَجْر خير مُرَبٍ، في حجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يفارقه، وقد زوّجه بنته فاطمة. ولما آخى بين أصحابه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «أنت أخي»[١].

٢- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٨٠هـ) استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله أفضل كافل، ألا وهو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يكون ابنَ ابنِ عمه، ونشأ في حجره. وهو آخر من رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

---

(١) أسد الغابة ط العلمية (٤/ ٨٩) وحديث المؤاخاة في مسند أحمد ط الرسالة (٢٠٤٠).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ٤٥٦).

٣- شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٨٠هـ) كفله جده «عبد الله» وسمع من جده كثيرًا[١].

٤- عمرو بن شُعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت١١٨هـ) مات والده، فنشأ في حجر جده، وأخذ عنه العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ[٢].

٥- الزاهد بِشر الحافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٢٧هـ) ربَّته أخته الكبرى رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وقد تأثر كثيرًا لموتها. وقال: تعلمت الزهد من أختي[٣].

٦- الشاعر المتنبي (ت٣٠٣هـ) ربَّته جدته رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ[٤].

٧- أبو القاسم البَغَويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣١٧هـ) يُعرف بابن بنت منيع؛ لأن جده لأمه أحمد بن منيع حرص عليه، فأسمعه الحديث وعمره عشر سنين ونصف[٥].

٨- حُسينك ابن منينة (ت٣٧٥هـ) تربى في حَجر الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وكان يقدِّمه على أولاده[٦].

٩- ابن ناصر السلامي (ت٥٥٠هـ) رُبِّي يتيمًا في كفالة جده لأمه، الفقيه أبي حكيم الخبري رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ[٧].

١٠- أبو سعد السمعاني (ت٥٦٢هـ) توفي والده وهو صغير، فكفله عمه رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وحبب إليه الحديث، فلازم الطلب من الحداثة[٨].

١١- ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) مات أبوه وله ثلاث سنين، فربَّته عمته، وحملته وهو في الثامنة إلى الحافظ ابن ناصر، فاعتنى به، وأسمعه الكثير -فرحمهم الله تعالى-[٩].

---

(١) جامع التحصيل (ص١٩٦).
(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري (٧/ ٤٣٥) وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/ ١٧٣).
(٣) تاريخ بغداد ت بشار (١٦/ ٦٢٣) ووفيات الأعيان (١/ ٢٧٧).
(٤) الكشكول (١/ ٢٨٥). وقد تضمَّن قصة وقصيدة مؤثرة، فارجع إليها إن شئت.
(٥) تاريخ بغداد ت بشار (١١/ ٣٢٥).
(٦) الوافي بالوفيات (١٣/ ١٣).
(٧) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢٠/ ٢٦٥).
(٨) المصدر السابق (٢٠/ ٤٥٧).
(٩) تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ٩٣) وطبقات علماء الحديث (٤/ ١٢٠).

١٢- البهاء عبد الرحمن المقدسي (ت٦٢٤هـ) شارح «المقنع» كَفَلته عَمَّته فاطمة، زوجة الشيخ أبي عمر المقدسي رَحِمَهُمُاللَّهُ[١].

١٣- ابن أبي الوفاء الجيلي رَحِمَهُاللَّهُ (ت٦٢٧هـ) توفي والده وله سنة وشهور، فتولاه خاله أبو بكر بن مشق، وأسمعه الكثير[٢].

١٤- سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ) ربَّاه جَده رَحِمَهُمَااللَّهُ، فلما ترعرع اجتذبه جده إليه، وأشغله وتفقَّه، وأسمعه الكثير عليه وعلى غيره[٣].

١٥- ابن يدّاس (ت٦٩٩هـ) رُبِّي في حَجْر جده الإمام اللورقي رَحِمَهُمَااللَّهُ، وقرأ عليه القراءات، وشيئًا من النحو[٤].

١٦- زين الدين التَّفَهْنِي (ت٨٣٥هـ) كفله أخوه الأكبر رَحِمَهُمَااللَّهُ[٥].

١٧- محمد بن محمد بن عمر بن رسلان البلقيني (ت٨٣٨هـ) كفله جده رَحِمَهُمَااللَّهُ[٦].

١٨- ابن ناجي التنوخي رَحِمَهُاللَّهُ (ت٨٣٩هـ) عاش في كفالة عمه. وحدّثه عَمُّه خليفة، أن شيخه القاضي الفاسي قال له: إن بقي ابن أخيك يقرأ، يكون منه مالك الصغير. فكان كذلك[٧].

١٩- ابن روزبة (ت٨٤٣هـ) كفله عمه العز بن عبد السلام رَحِمَهُمَااللَّهُ وحفظ «الحاوي»، وعدة مختصرات[٨].

٢٠- ابن حجر رَحِمَهُاللَّهُ (ت٨٥٢هـ) ربَّته أخته، وقد قال عنها: هي أمي بعد أمي -جزاها الله خيرًا ورحمها-[٩].

٢١- ابن بنت الأقصرائي (ت٨٥٩هـ) نشأ في كفالة جده لأمه، وتفقه بخاله البدر رَحِمَهُمُاللَّهُ[١٠].

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢٢/ ٢٦٩).
(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٣٧٥).
(٣) ذيل مرآة الزمان (١/ ٤٠) والأعلام للزركلي (٨/ ٢٤٦).
(٤) أعيان العصر وأعوان النصر (٥/ ٣٢١) ومعجم الشيوخ الكبير للذهبي (٢/ ٣٠٧).
(٥) رفع الإصر عن قضاة مصر (ص٢٢٤).
(٦) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ١٧١).
(٧) تراجم المؤلفين التونسيين (٥/ ٨).
(٨) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٧/ ٩٦).
(٩) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١/ ١١٥).
(١٠) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٧/ ١١٥).

٢٢- أبو الغيث ابن السراج البلقيني (ت٨٦١هـ) نشأ يتيمًا في كفالة أخيه رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، فحفظ «المنهاج الفرعي» و«جمع الجوامع» و«ألفية النحو»، واشتغل يسيرًا عند أخيه[١].

٢٣- ابن الهُمَام الحنفي (ت٨٦١هـ) صاحب «فتح القدير» في الفقه الحنفي. نشأ في كفالة جدّته رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، فسافرت به للقاهرة والإسكندرية؛ ليحفظ القرآن والمتون[٢].

٢٤- أبو الفضل النويري (ت٨٧٣هـ) نشأ بمكة في كفالة أخيه الأكبر رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، واستقر في تدريس الشافعية[٣].

٢٥- ابن تَغري برَدي (ت٨٧٤هـ) نشأ يتيمًا في حَجر جلال الدين البُلقيني رَحِمَهُمَاٱللَّهُ وتأدب وتفقّه عليه[٤].

٢٦- ابن خلفون المنهلي (ت٨٨٥هـ) نشأ في كفالة أخيه خالد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، فحفظ القرآن، و«المنهاج» و«جمع الجوامع» و«الألفيتين» و«الشاطبية»[٥].

٢٧- ابن وجيه الشيشيني (ت٨٩٤هـ) كفله جده رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وحفَّظه القرآن و«التنبيه»، واشتغل على جده[٦].

٢٨- شيخ المالكية زرّوق (ت٨٩٩هـ) توفيت أمه وأبوه في أسبوع ولادته، فربّته جدته الفقيهة رَحِمَهُمُٱللَّهُ فحفظ القرآن في العاشرة، وطلب العلم[٧].

٢٩- ابن العماد الأنصاري (بعد ٩٠٠هـ) كفله خاله، وهيأه للعلم -فرحمهما الله تعالى-[٨].

٣٠- أبو الفضل بن البدر العلائي (بعد ٩٠٠هـ) كفله جده رَحِمَهُمَاٱللَّهُ[٩].

٣١- محمد بن عبد المحسن الأهدل (بعد ٩٠٠هـ) كفله زوج أخته وابن عمه؛ الجمال محمد رَحِمَهُمُٱللَّهُ، وأقرأه القرآن و«الإرشاد» وغير ذلك[١٠].

---

(١) المصدر السابق (٩/ ٢٦٣).
(٢) المصدر السابق (٨/ ١٢٧).
(٣) المصدر السابق (٩/ ٣١).
(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/ ٧٥).
(٥) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ٨٠).
(٦) المصدر السابق (٩/ ٢٦٥).
(٧) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص١٣٠).
(٨) المصدر السابق (٢/ ٢٩١).
(٩) المصدر السابق (٧/ ١٠).
(١٠) المصدر السابق (٨/ ١٢٢).

٣٢- ابن المخلطة (بعد ٩٠٠هـ) كفله خاله ابن الردادي رحمهما الله[١].

٣٣- ابن اللحام البعلي (ت٩٠٣هـ) نشأ في كفالة خاله رحمهما الله، فعلمه صنعة الكتابة، ثم حبب إليه الطلب، حتى صار شيخ الحنابلة بالشام[٢].

٣٤- ابن الدَّيْبَع (ت٩٤٤هـ) مات أبوه في الهند، ولم يَره، وربّاه جَده لأمه رحمهما الله. قال: وهو الذي ربّاني -جزاه الله عنّي بالإحسان، وقابله بالرّحمة والرّضوان-[٣].

٣٥- محمد بن عبد الحق العقيلي المالكي (ت٩٩٣هـ) تربى في حَجر العلامة علي البكري رحمهما الله، وأخذ عنه، وقرأ عليه، فهو من أجَلِّ تلاميذ البكري، ولهذا أوصى الشيخ وقت وفاته إلى تلميذه بتربية ولده[٤].

وهذه الترجمة فيها أعجوبتان نادرتان: أن الشيخ يربي تلميذًا نابهًا، ويزكيه بالعلم، حتى إذا كَبِر الشيخ أوصاه أن يردَّ الدَّين؛ ليربِّي التلميذ ولد شيخه.

٣٦- محمد بن يوسف ابن بنت الشيخ محمد بن سالم الحفناوي (ت١٢٢١هـ) تَربَّى في حجر جده رحمهما الله، وتخلَّق بأخلاقه، وحضر دروسه[٥].

٣٧- صديق القنوجي (ت١٣٠٧هـ) لما بلغ السادسة من عمره توفي والده، ورباه أخوه الكبير أحمد رحمهما الله، وتعلم على أخيه مبادئ اللغة العربية ومبادئ العلوم الدينية[٦].

٣٨- الأديب المؤرخ أحمد تيمور باشا (ت١٣٤٨هـ) تربى في حجر أخته فاطمة رحمهما الله[٧].

٣٩- قاضي مدينة الرياض الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ت١٣٧٢هـ) نشأ في كفالة ابن عمه الشيخ حسن، وقرأ عليه القرآن، ومختصرات جَدهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -فرحمهم الله تعالى-[٨].

---

(١) المصدر السابق (١٠/ ٣٣٢).
(٢) المصدر السابق (٥/ ٣٢٠).
(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٣٦٢) والأعلام للزركلي (٣/ ٣١٨).
(٤) النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص٣٨٦).
(٥) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٣/ ٢٣٣).
(٦) مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص٢٧٤).
(٧) الأعلام للزركلي (١/ ١٠٠).
(٨) مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص١١٨).

٤٠- الشيخ القاضي عبد الله بن عبد العزيز العنقري (ت١٣٧٢هـ) نشأ يتيمًا، فكفلته عمته رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، فربَّته أحسن تربية، فحفظ جملة من المتون في فنون عديدة(١).

٤١- قاضي الجوف الشيخ فيصل المبارك (ت١٣٧٦هـ) مات والده وهو طفل، فكفله عمه محمد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ وتعاهَده بلزوم مذهب أحمد(٢).

٤٢- محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) نشأ يتيمًا، فحفظ القرآن على يد خاله، والتجويد على يد ابن خاله رَحِمَهُمُٱللَّهُ(٣).

٤٣- الشيخ صالح الخريصي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت١٤١٥هـ) مات والده في طفولته، فربَّته أخواته رَحِمَهُمُٱللَّهُ، واعتنين به وأعنَّه على طلب العلم(٤)

٤٤- الشيخ عبد العزيز بن صالح رَحِمَهُٱللَّهُ (ت١٤١٥هـ) إمام المسجد النبوي لمدة خمسين عامًا، نشأ يتيمًا في كنف أخيه عثمان رَحِمَهُٱللَّهُ(٥).



---

(١) تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (٣/ ١٨٢٥).

(٢) تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان (٥/ ١٧٨).

(٣) مقدمة أضواء البيان للشنقيطي لتلميذه عطية سالم - صفحة (هـ).

(٤) المجلة القضائية - مقال: من أعلام القضاء - العدد ١٤ عام ١٤٢٣هـ.

(٥) مقطع وثائقي عن سيرته في: قناة يوتيوب (قناة مركز بحوث ودراسات المدينة).



علماء مات آباؤهم أو أمهاتهم، فربَّاهم على العلم أزواج أمهاتهم، أو أزواج آبائهم

قد يموت آباء صالحون، تاركين ذريةً ضِعافًا خافوا عليهم، فيعلم الله من نية ذلك الأب الصالح تقواه فيوفقه، ويسخِّر لذريته عالِمًا أو مربيًا فاضلًا يتزوج أرملته مِن بعده، فيكون العِوض من الله خير عِوض، ويكون ذلكم الزوج الآتي بركة على الزوج الراحل، وعلى أرملته، فينشأ من أولئك الأيتام عالِمٌ يُشار إليه بالبنان.

وهذا يندرج تحت قول ربنا: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

قال المَراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٧١هـ): هذا الكلام مع الأوصياء والأولياء، الذين يقومون على اليتامى، بأن يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن، والترحيب، ويدْعوهم بقولهم: يا بنيَّ، ويا ولدي: ونحو ذلك[(١)].

وعلى هذا النداء الرباني سار الصالحون، فاعتنوا بأولاد الأرامل إذا تزوجوهن.

قال هُشيم بن بُشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٨٣هـ): تزوجتُ بأمِّ شُعبة على أربعة آلاف درهم، فكان لها أربعة بنين، فأعطيتُ كل واحد منهم ألفًا، وقلت لهم: إنما تزوجتُ لأغنيَكم[(٢)].

والسر العجيب في هذا المبحث، ينشطر بين شخصين عظيمين: بين هذا الزوج الذي يربي أولادًا ليسوا من صلبه، وبين هذه الأرملة العظيمة، التي ربَّت يتيمًا توسَّمَتْ فيه علامات النبوغ، ولعل هذا عائد إلى صدق نية الأب الراحل.

---

(١) تفسير المراغي (٤/ ١٩٣) بتصرف يسير.
(٢) الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ١٨٢).

وكما يقال عن زوج الأم، فكذلك يقال عن زوجة الأب، فقد تموت الأم عن طفل نابغ، فتربِّيه زوجة الأب، حتى ينشأ عالمًا يشار له بالبنان. وهذه أعجب من التي قبلها.

وزوجة الأب في بعض البيئات مهضومة القدر، وقد يُصوِّرونها بصورة الشخص الظالم الحاقد الذي لا يرحم! وهذا التصوير الجائر أدّاه بعض وسائل الإعلام. وهو وإن كان له صور واقعية، لكنه ليس بظاهرة تستدعي الاستنكار. بل إن المواقف التربوية المشرفة من لدن زوجات الآباء هن الأغلب -بحمد الله تعالى- .

ومن لطيف المسائل الفقهية عند الشافعية، أنهم عظَّموا شأن زوجة الأب، فقالوا: يَلزم الابنَ فطرةُ زوجة أبيه، الذي تجب نفقته[(١)].

وإليك الآن قائمة بنماذج فائقة، لزوجات الآباء اللاتي ربَّين أولاد أزواجهن حتى صاروا علماء، والفضل لله -تعالى- ثم لهؤلاء الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله:

١- عُمير بن سعد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٤٥هـ) ربَّاه زوج أمه الجُلاس بن سُويد، قال عمير: ولَنِعم الأب هو لي! وكان الجلاس متَّهَمًا بالنفاق، فقد سمعه عمير وهو يقول: إن كان ما يقول محمد حقًّا لَنحن شر من الحمير، فقال عمير: أشهد إنه لصادق، وإنك شر من الحمير. فأَخبر النبيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمقالة، فدعا الجلاسَ، فحلف ما قالها، فجاء الوحي: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] ثم مَنَّ الله على الجلاس بالتوبة، فتاب بسبب ولد زوجته عمير الصبي المؤمن؛ مصداقًا لبقية الآية: ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وكان من توبته أنه لم يَنْزِع من خير كان يصنعه إلى عمير[(٢)].

٢- زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٦٨هـ) تَربَّى عند زوج أمه عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٣)].

٣- عُمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٨٣هـ) كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمه من الرضاع، وهو ربيبه -أيضًا- فقد تزوج بأمه أم سلمة، وهو الذي زوَّجها، وكان صبيًا مميزًا[(٤)]. ومن مواقفه:

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٠/ ٢٤٠).

(٢) أسد الغابة ط العلمية (٤/ ٢٨٠) والوافي بالوفيات (١١/ ١٣٧).

(٣) صحيح البخاري (٤٩٠٠).
فائدة: ثمت أبواب متفرعة، لدى علماء مصطلح الحديث، ألا وهو تسمية من نُسب إلى أمه، أو جده، أو جدته، أو زوج أمه. وتجد جملة من هذه الأبواب في: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (ص٢٦٥).

(٤) تاريخ الإسلام ت تدمري (٥/ ٤٨٨).

أنه لما كان غلامًا في حَجْر رسول الله ﷺ فدخل عليه مرَّةً وعنده طعام، فناداه بنداء الأُبوة، فقال: ادْنُ يَا بُنَيَّ[١] قال: وكانت يدي تَطيش في الصَّحْفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سَم الله، وكل بيمينك، وكل مما يَليك»؛ فما زالت تلك طِعْمتي بعدُ[٢].

وتأمل موقفًا آخر لعُمَر، من خلال هذا الحوار الثلاثي، بين شاب صغير مع زوج أمه أعلم الخلق ﷺ ومع أمه أم المؤمنين: فقد تزوج عمر، واستفتى النبي ﷺ عن القُبلة للصائم. فقال له: سَلْ هذه. لأم سلمة. فأخبرَتْه، أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال: «أمَا واللهِ، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له»[٣].

٤- أنس بن مالك (ت٩٣هـ) ربَّاه أبو طلحة، زوج أمه أم سُلَيم بنت ملحان رضي الله عنها، وتأمل كيف أن أنسًا يناديه بوصف الأبُوَّة. قال أنس: ذهبتُ إلى أبي طلحة، فقلت: يا أبتاه، قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصابة .. إلخ[٤].

وفي قصة أخرى يسميه -أيضًا- أباه، كما عند البيهقي، قال أنس: كان في حَجْر أبي يتامى. يقصد أبا طلحة[٥].

٥- نَوْف البِكَالي (ت٩٠هـ) رَبِيبُ كعب الأحبار رحمهما الله[٦]. ولذلك أكثر الرواية عنه[٧].

٦- أبو محيريز الجُمَحي (ت٩٩هـ) روى عن زوج أمه أبي محذورة رحمهم الله[٨].

٧- تُبيع بن عامر الحِميري رحمه الله (ت١٠١هـ) رَبيبُ كعبِ الأحبارِ رحمه الله وقد روى عنه[٩].

---

(١) هذه اللفظة في سنن الترمذي (١٨٥٧).
(٢) صحيح البخاري (٥٣٧٦) وصحيح مسلم (٢٠٢٢).
(٣) صحيح مسلم (١١٠٨).
(٤) المصدر السابق (٢٠٤٠).
(٥) السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٦٢).
(٦) فلانٌ ربيبُ فلانٍ، إذا ربا في حِجره. الاشتقاق لابن دريد (ص٥٣٦).
(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣١٤).
(٨) تاريخ الإسلام ت تدمري (٦/ ٤٠٧).
(٩) تاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ٢٦).

٨- حفص بن سليمان (ت١٨٠هـ) قرأ على عاصم بن أبي النَّجود رَحِمَهُمَاٱللَّهُ. وثمَّت عبارة؛ هي من أكثر العبارات التي تتردد على أسماع طلبة العلم بالقراءات، ألا وهي عبارة: «بقراءة حفص عن عاصم». أتدري من عاصم؟! إنه زوج أُم حفص(١).

٩- أبو شيبة (ت١٦٩هـ) جَدُّ أبي بكر بن أبي شيبة. يروي عن زوج أمه، الحكم بن عتيبة رَحِمَهُمُٱللَّهُ(٢).

١٠- معن بن عيسى القزّاز (ت٢٠٠هـ) رَبيب مالك بن أنس رَحِمَهُمَاٱللَّهُ وكان يتوسَّد عَتَبته، فلا يلفظ شيئًا إلا كتبه(٣).

١١- يحيى البابلتي (ت٢١٨هـ) روى عن زوج أمه الأوزاعي رَحِمَهُمُٱللَّهُ(٤).

١٢- المقرئ قالون (ت٢٢٠هـ) رَبيب نافع، وتلميذه الأشهر رَحِمَهُمُٱللَّهُ(٥).

١٣- إمام اللغة ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ) قرأ اللغة ودواوين الأشعار على زوج أمه، المفضل الضبي رَحِمَهُمُٱللَّهُ(٦).

١٤- محمد الكديمي (ت٢٨٧هـ) روى عن زوج أمه رَوح بن عبادة رَحِمَهُمُٱللَّهُ(٧).

١٥- الحافظ غُنْدَر (ت٢٩٣هـ) روى عن شعبة، وهو زوج أمه رَحِمَهُمُٱللَّهُ، فجالَسه نحوًا من عشرين سنة(٨).

١٦- أبو شعيب الحراني (ت٢٩٥هـ) سمع من زوج أمه يحيى البابلتي رَحِمَهُمُٱللَّهُ(٩).

١٧- أبو الحسن الصفار (ت٣٤١هـ) سمع من زوج أمه محمد الكديمي رَحِمَهُمُٱللَّهُ، وهو الذي أسمَعَه الحديث(١٠).

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري (١١/ ٨٦).
(٢) ميزان الاعتدال (١/ ٤٧).
(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٣/ ١٤٨) وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية (٣/ ١٢٦٠).
(٤) تاريخ الإسلام ت تدمري (١٥/ ٤٤٤).
(٥) المصدر السابق (١٥/ ٣٥١) و"قالون" لفظة رومية، معناها: جيد.
(٦) بغية الوعاة (١/ ١٠٥) والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادي (ص٢٦٤).
(٧) لسان الميزان (٧/ ٣٨٠).
(٨) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (ص٣٣٠) والكاشف (٢/ ١٦٢).
(٩) تاريخ الإسلام ت تدمري (٢٢/ ١٧٧).
(١٠) تاريخ بغداد ت بشار (٥/ ٤٣٣).

١٨- أبو تراب ابن قطرميز (بعد ٥٥٠هـ) كان مبرِّزًا في سائر العلوم، وفي علوم القرآن، وهو منسوب لزوج والدته قطرميز رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وكان لزوج والدته ولدٌ في عُمْر ربيبِه، فألزمهما بقراءة العلوم، فتفوَّق الربيب على ولده(١).

١٩- أبو البغدادي الرفاء المعري (ت٣٥٢هـ) حدث عن زوج أمه ابن أبي الدنيا رَحِمَهُمَاٱللَّهُ(٢).

٢٠- عبد الله بن سعد القرطبي (ت٣٦٩هـ) سمع من زوج أمه، مسلمة بن قاسم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وكانت له عناية بالحديث(٣).

٢١- أبو الفضل الرجائي (ت٥٦٣هـ) تفقه على الرستمي زوج أمه رَحِمَهُمَاٱللَّهُ(٤).

٢٢- شيخ المقرئين بالأندلس ابن هذيل البلنسي (ت٥٦٤هـ) قرأ القراءات على زوج أمه، أبي داود بن نجاح رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، ولازَمه أكثر من عشر سنين، وحمل عنه الكثير من العلوم(٥).

٢٣- أبو الطاهر الإسكندراني المالكي (ت٥٨١هـ) كان رَبيب أبي بكر الطرطوشي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وعليه تفقَّه، وبه انتفع في علوم شتى(٦).

٢٤- طغدي بن ختلغ الأميري (ت٥٨٩هـ) قرأ القراءات على البطائحي زوج أمه رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وهو الذي رباه(٧).

٢٥- أبو الحرم ابن رشيد الخباز (ت٧٠٨هـ) سمع من زوج أمه رَحِمَهُمَاٱللَّهُ(٨).

٢٦- عمر القصاب (بعد ٧١٨هـ) رَبيب القاضي عطاء الله رَحِمَهُمَاٱللَّهُ وقد سمع منه الكثير من الكتب(٩).

٢٧- محمد بن معتوق المقدسي (ت٧٤١هـ) سمع صحيفة همام من زوج أمه، أبي الذكاء القرشي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ(١٠).

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب (٦/ ٣٠٠٩).

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري (٢٦/ ٧٥).

(٣) تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢٧٥).

(٤) تاريخ الإسلام ت تدمري (٣٩/ ١٧٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٠٧) ومعرفة القراء الكبار (ص٢٨٤) والعبر في خبر من غبر (٣/ ٤٤).

(٦) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٣٢٨).

(٧) تاريخ الإسلام ت تدمري (٤١/ ٣٣٥).

(٨) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (٢/ ٤٢٤).

(٩) التدوين في أخبار قزوين (٣/ ٤٦٢).

(١٠) الوفيات لابن رافع (١/ ٣٦٧).

٢٨- عز الدين ابن جماعة (ت٧٦٧هـ) لم يتزوج، فكانت عنده زوجة أبيه رَحِمَهُمَاللَّهُ، وهي التي تقوم بأمر بيته، ويبرها، ويُحسن إليها وكأنها أمه[(١)].

٢٩- ابن الطحان المنبجي (ت٧٨٢هـ) والطحان هذا كان زوج أمه رَحِمَهُمَاللَّهُ، رباه فنُسب إليه[(٢)].

٣٠- سراج الدين ابن الملقِّن (ت٨٠٤هـ) وكان الملقن نحويًا اسمه عيسى المغربي، وكان يلقِّن القرآن، فتزوج بأمه رَحِمَهُمَاللَّهُ، فعُرِف به، وحفَّظه القرآن و«العمدة» و«المنهاج»، وكان يوفِّر له مالًا؛ لاقتناء الكتب[(٣)].

٣١- المؤرخ ابن أبي عُذَيْبة (ت٨٥٦هـ) ونِسْبته إلى زوج أمه رَحِمَهُمَاللَّهُ، وكان قد ربَّاه[(٤)].

٣٢- ابن أبي المكارم الحنبلي (ت٨٥٧هـ) أخذ الفقه عن زوج أمه، الفتح الباهي رَحِمَهُمَاللَّهُ[(٥)].

٣٣- ابن بركوت المكيني (ت٨٨١هـ) رَبيب علم الدين البُلقيني رَحِمَهُمَاللَّهُ، وتفقه عليه، وتقدم عنده، حتى تَقدَّم على ولده[(٦)].

٣٤- ابن أصلم الكردي (ت٨٨٨هـ) يقال له ربيب الجلال البلقيني رَحِمَهُمَاللَّهُ، وقد حفظ «العمدة» وعرَضها على زوج أمه، وسافر معه إلى الشام، وسمع عليه[(٧)].

٣٥- ابن عبد الغني المرشدي (ت٨٩٢هـ) نشأ في كفالة زوج أمه رَحِمَهُمَاللَّهُ، فحفظ القرآن و«عمدة الأحكام» و«ألفية ابن مالك» و«عقيدة الطحاوي»[(٨)].

٣٦- أحمد بن محمد البريدي (بعد ٨٩٦هـ) تَصاحَب وتَرافَق مع زوج أمه في حِلَق العلم. قال السخاوي: سمع مني مع زوج أمه رَحِمَهُمَاللَّهُ[(٩)].

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر (٣/ ١١٥).

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٢٢٠) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٠٤): كانت عادة كثير منهم، يَنسبون الرجل إلى زوج أمه.

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢١٦) قال السخاوي في الضوء اللامع (٦/ ١٠٠): وكان فيما بلغني يغضب منها -أي: التلقيب بابن الملقِّن- بحيث لم يكتبها بخطه، إنما كان يكتب غالبًا ابن النحوي، وبها اشتهر في بلاد اليمن.

(٤) الأعلام للزركلي (١/ ٢٢٨).

(٥) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ١٣١).

(٦) نظم العقيان في أعيان الأعيان (ص٥٤).

(٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٦/ ٨٤).

(٨) المصدر السابق (١١/ ٤٨).

(٩) المصدر السابق (٢/ ٧٦).

٣٧- محمد الخطيب ابن أبي عمر المقدسي (بعد ٨٩٦هـ) قرأ الفقه على زوج أمه، أبي شعر رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وحج وجاوَر معه[(١)].

٣٨- عبد الرحمن بن الخطيب (بعد ٨٩٨هـ) حفظ القرآن عند زوج أمه، الشمس المقري رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وهو الذي ربَّاه. قال السخاوي: ونِعم الرجل رغبةً في الخير، وتحصيل الكتب كتابةً وشراءً[(٢)].

٣٩- ابن الجلال الكارزوني (ت٨٩٨هـ) سمع جُلَّ «الألفية» والفقه قراءة وسماعًا، على زوج أمه، السيد السمهودي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ[(٣)].

٤٠- ابن العلَم البرنكيمي (بعد ٩٠٠هـ) نشأ في كفالة عمه، الذي تزوج أمه رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وهو الذي أشار عليه بتحنُّفه في الفقه[(٤)].

٤١- الجمال التتائي (بعد ٩٠٠هـ) نشأ في كفالة زوج والدته؛ الفقيه هارون التتائي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ فحفظ القرآن، و«العمدة» و«الرسالة» و«ألفية النحو»[(٥)].

٤٢- المقرئ المحدث ابن غازي المكناسي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت٩١٩هـ) قال: تزوج أبي زوجته رحمة بنت الجنان، وهي أمي، وكانت حفظتِ الأدعية الواردة في الصحاح، فحفظتُ منها كثيرًا في صغري، فلم أتعب في حِفظها بعد الكِبَر، وكثيرًا من تفسير قصص القرآن وأخباره، فنفعتنا بذلك في الصغر غاية -برّد الله ضريحها-[(٦)].

٤٣- ابن سعدي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت١٣٧٦هـ) ربَّته زوجة أبيه -جزاها الله خيرًا ورحمها -[(٧)].

٤٤- وتلميذه الشيخ عبد الله البسّام رَحِمَهُٱللَّهُ (ت١٤٢٣هـ) ربَّته زوجة أبيه -جزاها الله خيرًا ورحمها- فقد توفيت والدته وهو لم يبلغ العاشرة، وضاقت عليه الحال المادية، فوقفت معه زوجة أبيه؛ لئلا ينقطع عن العلم، فرهنتْ أساوِرَها عند أحد التجار، وأعطته بعض المال، فاستمر على طلب العلم. فلما مات أبوه لم يرضَ أن تجلس إلا عنده؛ لأنها استصعبت السفر معه

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٩).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٨٣).

(٣) المصدر السابق (٩/ ٢٧٢).

(٤) المصدر السابق (٧/ ٢٥٧).

(٥) المصدر السابق (١٠/ ٣١٠).

(٦) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص٥٢٣) وإتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (٣/ ٨٣). وانظر: فهرس ابن غازي (ص٥).

(٧) مواقف اجتماعية من حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي - ابنه محمد وحفيده مساعد (ص٢٠).

إلى مكة، فقال: إن لم تسافري معي فسأنتقل راجعًا إلى عنيزة، فلما رأتْ إصراره وافقتْ، وسكنَتْ عنده، حتى توفيَتْ في بيته[١].

٤٥- سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٠٢هـ) توفي أبوه، ثم تزوجت أمه رجلًا يلقب بـ «أبي الأيتام» واسمه محمد البكر رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، ثم توفيت أمه وهو في السادسة من عمره، فتولى زوج أمه تربيته، ومتابعة طلبه للعلم[٢].

٤٦- الشيخ محمد حميدة (ت١٤٣٨هـ) كان شيخه ومربِّيه زوج أمه، مسنِد الحجاز عمر بن حمدان المحرسي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ[٣].

* أعجوبتان:

الأولى: قارن بين الرقمين (١١ و ١٦) والرقمين (١٤ و ١٧) وستزداد يقينًا أن العلم رحِمٌ بين أهله، وأنه كما أنك تتعلم فلا بد أن تُعلِّم، وأن الجزاء من جنس العمل.

الثانية: من شدة ملازمة الصبي لزوج أمه صار يُنسب إليه، فلا ينادَى إلا به! وقد مرَّ معك شواهد على ذلك.

وبعد:

فهؤلاء أكثر من مئة عالِم عاشوا أيتامًا، ولكن الله حَفِظهم، وما ضيَّعهم؛ لأنه -سبحانه- إذا استُودِع شيئًا حفِظه. وقد هيأَ الله لهؤلاء الأيتام جنودًا، قد يكونون مجهولين عند أكثر الناس، لكن رب الناس يعرفهم، ويرفعهم؛ لأنهم رحموا أيتامًا عباقرة، فاستثمروهم مشروعًا للآخرة، فآوَوهم وربَّوهم؛ ليرتضعوا لُبان العلم ولُبابه، فيَشِبُّوا ويَشيبوا عليه، ويكونوا منارات للأمة.



(١) من مقالة بجريدة الجزيرة السعودية، بعنوان: «فضيلة الشيخ عبد الله البسام تضحية وجهاد في سبيل العلم» كتبها أ.د. فريد السُّليم: http://www.al-jazirah.com/20030208/rj3.htm.

(٢) تاج القضاة في عصره الشيخ عبد الله بن حميد. تأليف: سليمان العثيم (ص٢٠).

(٣) منقولاً عن ترجمة د. عبد الغفار محمد حميدة لوالده.



الأعداد الألفية لحضور الدروس العلمية

كان عدد الذين يحضرون دروس العلم بالآلاف، فهم وإن لم يكونوا علماء، إلا أن أكثرهم محب للعلم، فينبغ منهم أفراد، أراد الله بهم خيرًا، والله هو الوهاب.

وخذ الآن عشرين نموذجًا مبهِجًا، من النماذج الرقمية المبهِرة، فيها إحصاءات لحضور الدروس، ذات الأعداد الألفية من الطلاب، المستعذِبة للعلم، المتكالِبة على الأشياخ:

١- الحافظ الفريابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٠٠هـ) يحضر دروسه نحو ثلاثين ألفًا، وكان الواحد يحتاج أن يَبيتَ في المجلس؛ ليجِدَ له مع الغد موضعًا! وكان المُسْتَمْلون ثلاث مئة وستة عشر![1].

٢- كان عدد الحضور في مجلس يزيد بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٠٦هـ) يُحْزَر بسبعين ألفًا. فحضر الخليفة المأمون مرةً، فالتفت إلى أصحابه وقال: هذا المُلك![2].

٣- إمام النحو الفَرَّاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٠٧هـ) ابتدأ يُملي كتابه «المعاني». فاجتمع خَلْقٌ كثير، فأرادوا أن يَعُدُّوا الذين اجتمعوا لإملاء الكتاب، فلم يُضبَطوا. فعَدُّوا القضاة، فكانوا ثمانين قاضيًا[3].

٤- عاصم بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٢١هـ) من شيوخ أحمد والبخاري، قدم بغداد، فحدث بها، فاجتمع خلائق لا يُحصون، فبلغ الخليفةَ المعتصمَ كثرةُ الجَمع، فأمر بحَزْرهم، فحُزِروا عشرين ومئة ألف. وكان المُستمْلِي يصعد نخلة معوجَّة؛ يَستملي عليها[4].

---

(١) أدب الإملاء والاستملاء (ص١٧) وتاريخ بغداد ت بشار (٨/ ١٠٢).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥/ ٤٦٩) وانظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٣٩).

(٣) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (١٤/ ١٥٤).

(٤) المعلم بشيوخ البخاري ومسلم (ص٤٧٦) وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٩١) والمراد بالمستملي هو الذي يبلِّغ صوت العالم بأرفع منه صوتًا. وفي ترتيب المدارك (٢/ ٢٦): لما كثُر الناس على مالك، قيل له: لو جعلت مُسْتملياً يُسمِع الناس.

٥- في درس أبي بكر بن أبي شَيبة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٣٥هـ) يجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفًا[(١)].

٦- ومثله أخوه عُثمان بن أبي شَيبة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٣٩هـ) فقد اجتمع عليه ثلاثون ألفًا[(٢)].

٧- الحسن الماسرجسي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٤٠هـ) مولى ابن المبارك، قد عُدَّ في مجلسه اثنا عشر ألف مِحْبرة[(٣)].

٨- درْسُ الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٥٦هـ) يَحضره عشرون ألفًا[(٤)].

٩- محمد بن مسلم بن وَارَة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٦٥هـ) اجتمع عليه زُهاء عشرين ألفًا، فقام له نحو من عشرين مستمليًا[(٥)].

١٠- إبراهيم الحربي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٨٥هـ) كان يجتمع في مجلسه ثلاثون ألف محبرة، وكانت له غرفة يصعد عليها، فيُشرِف منها على الناس، فيها كُوَّة إلى الشارع، فيحدِّثهم[(٦)].

١١- أبو عثمان الحيري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٩٨هـ) حَزَروا في مجلسه زيادة على ألف مِحبرة[(٧)].

١٢- الحافظ البصري أبو مسلم الكجي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٠٠هـ) أملى الحديث، وكان في مجلسه سبعة مستمْلِين، يُبلِّغ كل واحد منهم الذي يليه، وكتب الناس عنه قيامًا، بأيديهم المحابر، وحُسِب من حضر بمِحْبرة، فبلغ ذلك نيِّفًا وأربعين ألف مِحبرة[(٨)].

١٣- حَزَروا في مجلس أبي بكر النيسابوري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٢٤هـ) ثلاثين ألف محبرة[(٩)].

١٤- في مجلس أبي بكر النجاد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٤٨هـ) يُحْزَر عددهم عشرة آلاف محبرة، حتى يُغلق البابانِ من أبواب الجامع، مما يَلِيان حلقته[(١٠)].

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار (٨/ ١٠٢).
(٢) المصدر السابق.
(٣) تاريخ بغداد ت بشار (٨/ ٣٣٢).
(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٣٩).
(٥) أدب الإملاء والاستملاء (ص٩٦).
(٦) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٣/ ٣٦١).
(٧) تاريخ الإسلام ت تدمري (٢٢/ ١٥٢).
(٨) تاريخ بغداد ت بشار (٧/ ٣٦).
(٩) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٣/ ٣٦٤).
(١٠) المصدر السابق (١٣/ ٣٦٤) وطبقات الحنابلة (٢/ ٨).

١٥- إبراهيم بن علي الهجيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣٥١هـ) يجلس للحديث على سطح له، ويمتلئ الشارع بالذين يحضرون للسماع، وقد أخذوا مواضعهم من السحر، وحُسِبَ الموضع الذي يجلس الناس فيه، فوُجِدَ مَقْعَد ثلاثين ألف رجل[١].

١٦- عدُّوا في مجلس محمد بن الحسين العلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٠١هـ) ألف محبرة[٢].

إني إذا حضرَتْني ألف محبرةٍ ... يقول: أنشدني شيخي وأخبرني

نادت بإقليمي الأقلام ناطقةٌ ... هذي المكارم لا قَعْبانِ من لبنِ[٣]

١٧- المقرئ أبو بكر الإسكاف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٥٣هـ) من يقرأ عليه في مجلسه أكثر من عشرة آلاف رجل، ممن يتلقَّن أو يُلقِّن[٤].

١٨- في مجلس الإملاء لأبي يعلى ابن الفرّاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٥٨هـ) سجدوا على ظهور الناس؛ لكثرة الزحام، وقد حُزِر العدد بالألوف[٥].

١٩- أبو الوقت السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٥٣هـ) أحضره الوزير ابن هبيرة في مجلسه، وسمع عليه «الصحيح» في مجلسٍ عامٍ، وأَذِن فيه للناس، فكان الجمع يفوت الإحصاء[٦].

٢٠- أبو الطاهر الأخوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٠٢هـ) له من الطلبة نحو ألف طالب، من النبلاء الأذكياء[٧].

أربع إنباهات:

* ليُعلم -يقينًا- أن هذه الأعداد الألفية مفاخر، يورِّثها الأوائل للأواخر، لكن لا يُعنى منها اللهو بالتكاثر، ولا اللهَثُ وراء تزاحم الطلاب؛ حاشا! فمِن علامة إخلاص العالِم، أنه لا يبالي أحَضر واحد أم ألف. ولكنَّ تزايُد الأعداد فتح وتوفيق من الله، والإقبال علامة القبول، وهو نتيجة حتمية لمواظبة العالِم، ونَفاسَة علمه، وجاذبية طرحه.

---

(١) أدب الإملاء والاستملاء (ص١٨).
(٢) أدب الاملاء والاستملاء للسمعاني (ص١٨).
(٣) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص٣٤٤) والقَعْب: القدح الكبير.
(٤) بغية الطلب في تاريخ حلب (١٠/ ٤٣٥٩).
(٥) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٠).
(٦) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢٠/ ٣٠٩).
(٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢/ ١٩٤).

* ليست العبرة بالكثرة، ولكن بالبركة، فقد يبارك الله في القليل، فيكون أكثر بركة من الكثير.

ولذا قال بدر الدين ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٣٣هـ): ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد، ينتفع الناس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده؛ لكفاه ذلك الطالب عند الله -تعالى-(١).

* قد يبدأ الشيخ بطالب واحد لمدة سنوات، ثم يتوافدون مع مواظبة الشيخ ومصابرته، وهذه علامة على إخلاصهم، وعدم اكتراثهم بقِلَّة الأعداد.

وخذ على ذلك خمسة أمثلة واقعية، لعلمائنا الأجلاء المعاصرين:

١- قال الشيخ عبد الكريم الخضير - حفظه الله تعالى-: عاد الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ للرياض سنة ١٣٩٥هـ، عندما ترك رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة، وكان عدد الحضور في درسه خمسة طلاب فقط، وما كثروا إلا بعد سنة ١٤٠٠هـ.

٢- يقول الشيخ عبد الكريم: أنا أعرِف شيخًا يَحضر دروسه بعد الفجر -فضلًا عن المغرب- ما يقرب من ألف طالب، وأنا أدركته قبل ثلاثين سنة، ما عنده إلا طالب واحد، ثم صبر إلى أن أقبل الناس عليه.

٣- يحدِّث طلاب الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٣٠هـ) أنه بقي سنوات طويلة، لا يحضر عنده إلا طالب واحد في المواريث، وقد حضر الشيخ مرة، ولم يجد إلا هذا الطالب، فقال له: أنا وأنت وبرّاد الشاي ثالثنا!.

٤- قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢٩هـ): كنت أقرأ على الشيخ ابن باز «صحيح البخاري» بالحرم المكي عام ١٣٨٥هـ، ولم يكن معي غيري. وقال -أيضًا-: كنت أُدرِّس «سنن ابن ماجه»، فلم يستفد مني غير طالب واحد، أفريقي الجنسية(٢).

٥- أما الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢١هـ) فيقول عن نفسه: دخلتُ المسجد مرة، فوجدتُ كتابًا موضوعًا في موضع الدرس، وما وجدت طالبًا بقربه. يقول: فجلستُ أقرأ؛ منتظرًا هذا الطالب، فجاء - وأنا أقرأ - فأخذ كتابه، ومشى!(٣).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص٣٢).

(٢) مقال بعنوان: العلامة المفكر أبو عبد الله بكر أبو زيد، كتبه يحيى الثمالي. والمقال موجود في موقع: أرشيف ملتقى أهل الحديث.

(٣) من مقطع صوتي بصوت الشيخ نفسه.

* العزوف عن دروس العلم ظاهر، وزمننا لا يقارن بزمنهم، ولذلك؛ فما أقوى وأقسى تعليق أبي سعد السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٦٢هـ) حيث قال: رحم الله السلف الماضين، كان العلم مطلوبًا في زمانهم، والرغبات متوافرة، والجموع متكاثرة، فالآن خمد ناره، وقل شراره، وكسد سوقه، حتى سمعت أبا حفص عمر بن ظفر المغازلي، ببغداد مذاكرةً يقول: فرغنا من إملاء الشيخ أبي الفضل بن يوسف، فطلبنا محبرة؛ نكتب منها أسامي من حضر، فما وجدنا![1].



استراحة علمية

هذه قصيدة امتُدِح بها بعض الأعيان، ملمِّحًا بأسماء جملة من الكتب:

أضحى لمشكاة العلوم محررا ... كشَّافها من غير ما إلباسِ
ولديه مفتاح العلوم فمن يَرُمْ ... إتقانه يقصدْه بين الناسِ
وبصدره مغْنٍ وكافي كل ذي ... لبٍ عن التوضيح بالكُراسِ
دُرر الهداية من بحار علومهِ ... كنز ومُنفقه نديم الباسِ

سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر (ص١٦٢)

(١) أدب الإملاء والاستملاء (ص١٨).

إملاءات جمعها تلاميذ مباركون من مشايخهم، فصارت مؤلفات عجيبات

إنها من أسرار بركات التلاميذ على شيوخهم! ألا وهي تلك الكتب الناتجة والخارجة من فم الشيخ إلى أُذن الطالب، ثم يكتبها الطالب بيده، فتكون فوائد ومسائل مجتمِعة، من إملاءات الشيخ لتلميذه، ثم إن تلميذه يَنتدب لجمعها وإخراجها. وربما مقابلتها مع نظرائه وزملائه، أو مع شيخه مباشرةً.

قال العراقي في ألفيته:

وليس بالإملاء حين يَكملُ غِنىً عن العَرْض لزَيغٍ يَحصُلُ[1]

وهذه البركات فيها عجائب ونجائب متسلسلة ومتناسِلة، ولك أن تستوحي منها الإيحاءات التالية:

* هِمّة العالِم الملِي والطالب المستملي كليهما.

وتأمل حال طلاب أبي البقاء العُكْبَرِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦١٦هـ) فإنه كان إذا أراد أن يصنف كتابًا، أُحضرت له عدة مصنفات في ذلك الفن، وقرئت عليه، فإذا حصَّله في خاطره أملاه. فكان بعض الفضلاء يقول: أبو البقاء تلميذ تلامذته! يعني هو تَبَعٌ لهم فيما يُلْقون عليه[2].

* بركة الطالب على شيخه، ووفاؤه معه.

* أن الجسور الممدودة بين العالِم وتلميذه تُنتج بركات، بحسب قوة تلك الجسور، فليَهتبِل الشيخ إقبال طلابه عليه، في إنشاء جسر متين من المودة والرحمة.

---

(١) ألفية العراقي = التبصرة والتذكرة ت ماهر الفحل (ص١٥٦).

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري (٤٤/ ٢٩٤).

* سعة علم العالِم في تقريره، الذي ربما يقارِب تحريره، والتحرير لا يتأتَّى إلا من محفوظات كثيرة متنوعة.

* قد يهيئ الله للعالِم بإخلاصه من يَنشر علمه، وربما بعد وفاته بقرون.

* عظيم فائدة التقييد أثناء الدرس، وأنه قد ينتج كتابًا تعود عائدته على المملي والمستملي.

واظِب على كُتُب الأماليْ جاهدًا   من ألسُن الحفّاظ والفضلاءِ
فأَجَلُّ أنواع العلوم بأسْرِها   ما يكتب الإنسان في الإملاءِ[١]

نماذج لإملاءات صارت مؤلفات:

قال أحد كبار أئمة أصحاب أبي حنيفة، وهو الإمام أبو عاصم العامري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤١٥هـ): لو فَقدتُ كُتُب أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأمليتُها من نفسي حفظًا[٢].

وكذا قال أحد أئمة الشافعية، وهو أبو المحاسن الروياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٠١هـ): لو احترقت كتب الشافعي أمليتها من حفظي[٣].

إليك الآن ثلاثين مثالًا لبعض الكتب، التي هي في الأصل إملاءات، وليست تأليفات ناتجة من جرَّاء البحث، أو متولدة من وحي الخاطر:

١- البحر الحبر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت٦٨هـ) انتشر له تفاسير لم يؤلِّفها قطعًا، بل لم يبدأ عصر التأليف أصلًا، لكنها من رواية تلاميذه، كسعيد بن جبير وغيره.

٢- قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٥هـ): ربما أتيتُ ابن عباس، فكتبتُ في صحيفتي حتى أملأها، وكتبتُ في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كَفِّي[٤].

٣- الخليل بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٧٠هـ) لم يؤلِّف في النحو، بل أملى إملاءاتٍ؛ جمع منها سيبويه كتابه[٥].

---

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٣/ ٢٤٨).
(٢) الأنساب للسمعاني (٩/ ١٥٩).
(٣) البداية والنهاية ط هجر (١٦/ ٢٠٥).
(٤) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٦/ ٢٥٧).
(٥) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (١/ ١٦٠).

٤- كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٠٤هـ) يصنع كتابًا من غدوةٍ إلى الظهر، من حفظه من غير أن يكون في يده أصل[١].

٥- الفراء رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٠٧هـ) ابتدأ بإملاء كتابه «معاني القرآن» وكان يُملي منه في يومين من كل أسبوع، وفرَغ منه في ثلاث سنين[٢].

٦- الكتب التي تُنسبُ للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٤١هـ) أكثرها إملاءاتٌ من الإمام نفسِه -على فرض ثبوت بعضها-. أما «المسند» و«السنة» فهو الذي كتبهما[٣].

٧- أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣١٠هـ) قال لأصحابه: أتَنْشَطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه! فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ثم قال: هل تَنْشَطون لتاريخ العالَم، من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قَدره؟ فذكر نحوًا مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله! ماتت الهِمم!.

قال تلميذه أبو بكر بن بالويه: كتبتُ التفسير عن ابن جرير إملاءً كله، في ثمان سنوات[٤].

٨- كان أبو بكر ابن الأنباري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٦٠هـ) يُملي كتبه المصنفة من حفظه[٥].

٩- كتاب «الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٦٥هـ) في تسعة مجلدات، إنما عامة مباحثه إملاءات، ولذا كَرَّر كلمة «أمليتُ - أمليتُها» في أكثر من تسعين موضعًا[٦]. حتى إنه قال في أحد المواضع، عند ترجمة راوٍ ضعيف: ولم يَحضرني في وقت ما أملَيْتُ له حديثٌ![٧].

١٠- كتاب «العلل» للدار قطني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٨٥هـ) قال عنه تلميذه البرقاني: كان الدارقطني يُملي عليَّ «العلل» من حِفظه.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٢٩).
(٢) تاريخ العلماء النحويين للتنوخي (ص١٨٨).
(٣) المجموع في ترجمة الشيخ حماد الأنصاري (٢/ ٧١٦).
(٤) تاريخ بغداد ت بشار (٢/ ٥٤٨).
(٥) المصدر السابق (٤/ ٢٩٩).
(٦) خذ تسعة أمثلة من «الكامل في ضعفاء الرجال» من كل مجلد مثال واحد: (١/ ٣٧٧) (٢/ ٦٠) (٣/ ٢٢) (٤/ ١٥) (٥/ ٣٥) (٦/ ٣٤) (٧/ ٢٣٠) (٨/ ١٤٩) (٩/ ١٩).
(٧) الكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ١٠٣).

فعلَّق الذهبي قائلًا: إن كان كتاب «العلل» الموجود قد أملاه الدارقطني من حِفظه -كما دلت عليه هذه الحكاية- فهذا أمر عظيم، يُقضَى به للدارقطني أنه أحفظُ أهل الدنيا، وإن كان قد أملى بعضه من حِفظه فهذا ممكن(١).

١١- قال السرخسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٨٣هـ) عن كتابه «النكت»: هذا ما جادَ به الخاطر، ودل عليه الفقه الظاهر، مما فهمتُه عند التأمل .. أمليتُها وأنا في السجن محبوس، وعن أسباب الخلاص في الدنيا مأيوس(٢).

١٢- وسبق -أيضًا- سبب تأليف السرخسي «للمبسوط» في الفقه الحنفي، وأنه أملاه وهو رهن السجن، ولذا قال: سؤال بعض الخواص زمن حبسي، حين ساعدوني لأُنسي، أن أمليَ عليهم ذلك، فأجبتهم إليه(٣).

o ويقول عند ختمه الكتاب بالمجلد الثاني عشر- وقد قارب الحزن منتهاه: بإملاء الملتمس لرفع الباطل الموضوع، المنفِي لأجله، المحصور الممنوع(٤).

١٣- المازري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٣٦هـ) صاحب «المُعْلِم بفوائد صحيح مسلم» قال: أني لم أقصد تأليفه، وإنما كان السبب فيه أنه قرئ عليَّ «كتاب مسلم» في شهر رمضان، فتكلمت على نُقَط منه، فلما فرغنا من القراءة عرض عليَّ الأصحاب ما أمليتُه عليهم، فنظرتُ فيه، وهذبتُه(٥).

١٤- «شرح الإلمام بأحاديث الأحكام» كان إملاء من الإمام ابن دقيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٠٢هـ) يُمليه على تلميذه الفوِّي، الذي كتبه عنه(٦).

١٥- «نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد» للشيخ أحمد البسيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٣٠هـ) جمع أكثره من إملاءات شيخه ابن عرفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٣هـ)، حيث قال: قصدت منه جمع ما تيسر حفظه وتقييده، من مجالس شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة، مما كان يُبديه هو، أو بعض حُذَّاق

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٦/ ٤٥٥).
(٢) النكت للسرخسي وشرح النكت للعتابي (ص١٧٨).
(٣) المبسوط للسرخسي (١/ ٤).
(٤) المصدر السابق (١٢/ ١٠٨).
(٥) التكملة لكتاب الصلة (٢/ ٣١٢).
(٦) شرح الإلمام بأحاديث الأحكام (مقدمة/ ٨٧).

طلبة المجلس، زيادة على كلام المفسرين وغيرهم، وأضفتُ إلى ذلك -في بعض الآيات- شيئًا من كتب التفسير(١).

١٦- قال البُلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٠٥هـ) في «الفوائد الجسام»: أمليتُها على قواعد الشيخ الإمام، عبد العزيز بن عبد السلام، لمّا قُرئت عليّ من أولها إلى آخرها(٢).

١٧- «إملاءات على صحيح البخاري» لسبط ابن العجمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٤١هـ) هو اسم على مسمى: إملاءات كتبها عنه جماعة من طلبته(٣).

١٨- قال السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٩٠٢هـ): بلغ عدة ما أمليتُه من المجالس إلى الآن نحو الست مئة، والأعمال بالنيات(٤).

١٩- نجم الدين الغَزي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٠٦١هـ) يقول: ومن مؤلفاتي التي كملت مجالسي في تفسير سورة الإسراء .. إلى آخر سورة طه، وأمليتُها في ثلاث سنين .. وجعلتُ أُمليها على ما يُفيض الله من سَيْب فضله ويفتح(٥).

٢٠- الأديب المؤرخ أحمد بن الأمين الشّنْقِيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٣١هـ) كتَبَ كتابه الحافل: «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» كتبه وأملاه من ذاكرته، وهو يقارب ٦٠٠ صفحة. والكتاب يتضمن قرابة ٤٥٠٠ بيت من الشعر، ومع ذلك فهو يقول في ختامه: لم أُترجم في هذا الكتاب، إلا من رَوَيتُ له من الشعراء الأموات(٦).

٢١- قال ابن بدران رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٤٦هـ) في «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد»: لست الآن بصدد تأليف مستقل أقول في خطبته: هذا جهد المقل، لكنني رُمْت بيان قواعد مجردة عن دليلها، وفوائد لا أصحبها بتعليلها، أمليتُها تذكرةً وتذكارًا(٧).

٢٢- «رسالة الضَّبّ» للبشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٨٥هـ) رسالة لطيفة وطريفة. قال الإبراهيمي

---

(١) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد(٢/ ٤).
(٢) الفوائد الجسام على قواعد ابن عبد السلام (ص١٣٦).
(٣) الكاشف (١/ ١٢٢).
(٤) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٣/ ٢٥٠).
(٥) حسن التنبه لما ورد في التشبه (مقدمة/ ٢٢).
(٦) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (ص٥٧٨).
(٧) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران (ص١٤١).

عنها: أمليتُها في ليلة، وما أملاها إلا فكر كليل، عن حافظة مختلّة، نسيَتْ أكثر ما وعَتْ، وضيّعت كثيرًا مما استودعَتْ، مع اضطراب الحال، واشتغال البال[١].

٢٣- عبد الحي الكتاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٨٢هـ) أملى وهو مسجون رسالة بعنوان: «ما عَلِق بالبال أيام الاعتقال» في مجلدة لطيفة، فيها تراجم كثيرة، واتصال أسانيد حديثية. قال مُمليها: أمليتُها أيام اعتقالنا سنة ١٣٢٧هـ[٢]. أي أن عمره آنذاك اثنتان وعشرون سنة!.

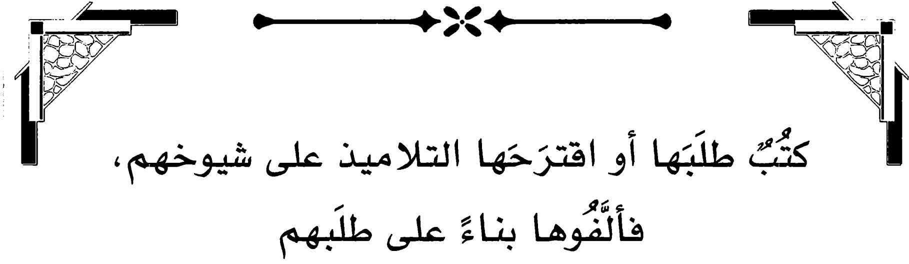
٢٤- كُتُب مجالس إملاء الحديث تسمى «الأمالي الحديثية» وهي كثيرة؛ فمن أمثلتها: «الأمالي الحلبية» لابن حجر - أمالي أبي طاهر المخلص - أمالي ابن عساكر - أمالي أبي القاسم ابن بشران - أمالي أبي زرعة العراقي.

٢٥- عامة العلماء المكفوفين، إنما خرجت مؤلفاتهم بفضل الله، ثم بهِمَّة بعض خواصِّ طلابهم، من خلال تفريغ شروحِهم المسجَّلة وتنقيحها، وتهيئتها للطباعة والنشر، بعد قراءتها على الشيخ وتصويبها.

ومن أمثلة هؤلاء العلماء المكفوفين: الشيخ محمد بن إبراهيم، وابن باز، وابن حميد، والبراك، في قائمة طويلة لعلماء، أنتجوا طلابًا بررة أوفياء، فصار لكل عالم مؤلفات، أخرجها طلابهم، فمُقِلٌّ منهم ومستكثِر.



(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٢/ ٤٠).
(٢) فهرس الفهارس (٢/ ٥٨٣).



كتُبٌ طلَبَها أو اقترَحَها التلاميذ على شيوخهم، فألَّفُوها بناءً على طلَبهم

انظر بركة التلميذ على شيخه، كيف تكون ممتدة متنوعة متلوِّنة بأزهَى ألوان الوفاء والإحسان.

ومن بركة التلميذ على شيخه: أن يناقشه في رأي ارْتآه، فيرجع الشيخ عن قوله؛ بسبب مراجعة التلميذ لشيخه.

فهذا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد رجع عن رأي فقهي، بسبب إقناع تلميذه عَبيدة السلماني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٢هـ) فقد قال عليٌّ: اجتمع رأيي ورأي عمر، أن أمهات الأولاد لا يُبَعْنَ، ثم رأيتُ بعد ذلك أن أبيعَهن. فقال عَبيدة: إنك مع رأي عمر أحب إلينا من رأيك وحدك. فيقال: إنه رجع عن ذلك[١].

وهذا يؤكد على الشيخ إيلاءَ تلاميذه عناية وحفاوة؛ فإنهم أولاده الذين ليسوا من صُلبه، وأصفياؤه الملازمون له، والمهتدون بهديه.

وإليك خمسة عشر مثالًا فحسب؛ لمؤلفات أُلِّفت بناء على طلَب التلاميذ من شيوخهم، ولو شئتُ المزيد لزِدْتُ:

١- أكثر الآراء النحوية التي سجلّها ابن جني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٩٢هـ) في كتابه «الخصائص»؛ إنما استمدَّها من إملاءات شيخه أبي علي الفارسي[٢].

---

(١) انظر: البدر المنير (٩/ ٧٦٠). وهذا الأثر في السنن الكبرى للبيهقي (٢١/ ٥٣٥). قال ابن الملقن: بإسناد جيد.

(٢) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (٥/ ٥٣٩).

٢- «الاستذكار» للحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٦٣هـ) كثير منه؛ إنما هو إملاءاتٌ، وتقييدات من تلاميذه. وقد قال في موضع منه: وقد أمليتُ في هذه المسألة ما فيه كفاية في باب أفردته لها[١].

٣- ابن عبد البر -أيضًا- قال: فإن بعض إخواننا المعتنين بالعلم، المقيِّدين له، المتفقهين فيه، رغب أن أجمع له ما يقف به .. في قراءة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، في أول فاتحة الكتاب في الصلاة .. فأجبتُه[٢].

٤- وقال -أيضًا- في مقدمة «جامع بيان العلم وفضله» فإنك سألتني -رحمك الله- عن معنى العلم، وفضل طلبه .. فأجبتك إلى ما رغبتَ، وسارعتُ فيما طلبتَ؛ رجاء عظيم الثواب، وطمعًا في الزلفَى يوم المآب، ولِما أخذه الله -تعالى- على المسئول العالمِ بما سئل عنه، من بيان ما طلب منه، وترك الكتمان لما عَلِمَه ..[٣].

٥- المَرْغِيناني الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٩٣هـ) قال في شرحه «للهداية»: سألني بعض إخواني إملاء «الهداية». وقد بقي في تصنيفه ثلاث عشرة سنة، وكان يصوم في تلك المدة، ولا يفطر أصلًا، وكان لا يُطْلِع على صومه أحدًا، حتى إن خادمه يأتيه بطعام، فيقول له: ضع واذهب أنت. فإذا مضى كان يُطعمه أحدًا من الطلبة وغيرهم[٤].

٦- ابن أبي الركب الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٠٤هـ) له كتاب اسمه «الإملاء المختصر في شرح غريب السير». ويحكي في مقدمته عن جهد أحد تلاميذه وإلحاحه، فيقول: ثم عرض عليَّ هذا الإملاء بعد كماله فتصفحتُه، ورغب في حَمله عني، فبعد لأْيٍ أذِنْتُ في ذلك وأبحتُه[٥].

٧- «التبيان في إعراب القرآن» للعكبَري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦١٦هـ) إنما كثير منه إملاءاتٌ؛ تَناقَلها طلابه[٦].

٨- الموفق ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٢٠هـ) يقول: فقد سألني بعض إخواني الصالحين، أن أكتب له وصية، فامتنعت من ذلك؛ لعلمي أني غير مستوصٍ في نفسي .. ثم بدا لي أن أجيبه إلى مسألته.

---

(١) الاستذكار (١/ ٣٠٤).
(٢) الإنصاف لابن عبد البر (ص٢).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١).
(٤) البناية شرح الهداية (١/ ١٣٥).
(٥) الإملاء المختصر في شرح غريب السير لابن أبي الركب(ص٢).
(٦) إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث (ص٢٥).

ثم ذكر أربعة دواعٍ لإجابة مسألته، فقال: رجاء أ-ثواب قضاء حاجة الأخ المسلم. ب- ودعائه لي. ج -وأن يجريَ لي أجرٌ إذا عُمل بوصيتي. د-وأن أكون من الدالِّين إلى الخير، حين عجزتُ عن عمله[(١)].

٩- الرجراجي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ (بعد ٦٣٣هـ) قال: فقد سألني بعض الطلبة المنتمِين إلينا، المتعلِقين بأذيالنا، الذين طالت صُحبتهم معنا، أن أجمع لهم بعض ما تعلق عليه اصطلاحنا، في مجالس الدرس لمسائل «المدونة» .. ونعوذ بالله من البخل، ولاسيما بالعلم مع الأهل، فابتدرتُ حينئذٍ إلى إجابة الداعي[(٢)].

١٠- «أمالي ابن الحاجب» رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٤٦هـ) إنما جمعها طلابه من إملائه، وبلغ عدد ما أملاه (٦٣٨) مجلسًا، وقد امتدت مدة إملائها أربع عشرة سنة[(٣)].

١١- ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٢٨هـ) يقول في مقدمة التفسير: أما بعد؛ فقد سألني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة، تتضمن قواعد كلية، تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره، ومعانيه[(٤)].

١٢- المارديني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٧١هـ) قال: سألني بعض الإخوان -حفظه الله تعالى- أن أشرح له «الورقات» .. مع أن الخواطر كليلة، والهموم كثيرة، والاستعدادات قليلة. فأجبته حياء؛ لكثرة سؤلِه[(٥)].

١٣- قال ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٤٠هـ): فإنه سألني من لاحَ لي صدقه، وعَظُم عليَّ حقه، من الإخوان المتقين، ذوي الفضل والإخلاص واليقين: أن أجمع ترجمة مباركة للوالد السيد الإمام عز الدين، محيي سنة سيد المرسلين، محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٦)].

١٤- قال ابن عليش المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٢٩٩هـ) عن سبب كتابته لمسألة «المغارسة»: طلب مني بعض إخواني من الطلبة .. ولمَّا رأيت من تأكيد طِلْبتهم، وحثيث رغبتهم أسعفتهم لما طلبوا[(٧)].

---

(١) الوصية لابن قدامة (ص٢٥).

(٢) مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها (١/ ٣٦).

(٣) أمالي ابن الحاجب (١/ ٤٠).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٣٢٩).

(٥) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات (ص٦٦).

(٦) الروض الباسم لابن الوزير (٢/ ١٧).

(٧) منح الجليل شرح مختصر خليل (١٦/ ١٠).

١٥- ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٩٢هـ) قال عن أحد طلابه: .. طلب مني أن أكتب عليها [الدرة المضية] حاشية وجيزة على عجالة، فأجبتُه إلى ذلك(١).

ومن هذه النماذج الآنفة نستخلِص النتائج الآتية:

* النية الصالحة من الشيخ والتلميذ أورثت إرثًا علميًا، يبقى لهما صدقة جارية.
* نَهَم الطالب، ورغبته بالمزيد من العلم، وإلحاحه في ذلك.
* العلاقة الوطيدة، والصلة الوثيقة بين الطالب وشيخه.
* الأمانة، وصدق الديانة، التي جعلت الشيخ يذكر بتجردٍ سبب تأليفه، ويُحيله لمن كان سببه.
* الطالب أدرى -غالبًا- بما يناسب حاجته، ومستواه، فاستشارة العالِم له في اختيار الكتاب المؤلف أو بعض مباحثه يجعل الصورة متكاملة. فلا تحقِر أيها الطالب نفسك إذا استشارك شيخك! ولا تخجل في إبداء رأيك بأدب.



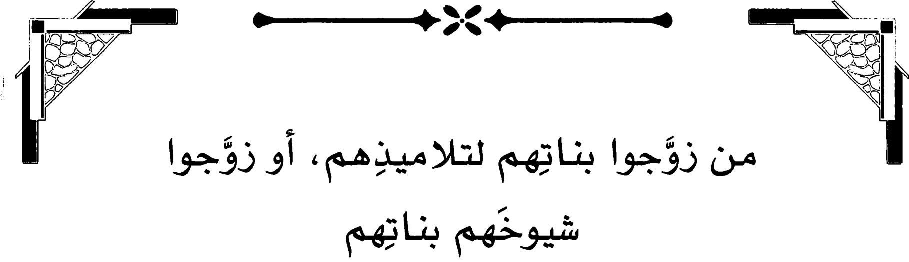
عن حالتي يا نور عين لا تسَلْ ترك الجواب جواب تلك المسألةْ
حالي إذا حدّثتُ لا لَمْعاً ولا جُمَلاً لإيضاحي بها من تكملةْ
عندي جَوىً يذَرُ الفصيح مُبَلَّداً فاترك مفصَّله ودونَك مجملةْ
القلب ليس من الصحاح فيُرتجَى إصلاحه، والعين سُحْبٌ مثقلةْ

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس (٢/ ٦٦٥)

أخي القارئ الفطن المتفنن:

لعلك اكتشفتَ أسماء الكتب العشرة، المدسوسة في كلمات الأبيات الآنفة، فاكتب ما تعرَّفتَ عليه من مؤلفيها وفنونها.

(١) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (ص٧).



من زوَّجوا بناتِهم لتلاميذِهم، أو زوَّجوا شيوخَهم بناتِهم

-يزداد عِلم طالب العلم إذا كانت زوجته مثله، أو على مشربه. ومن بركات ملازمة العلماء أن ينتج منها زواج ومصاهرة، وهذا كثير.

ويحكي السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٠٢هـ) عبارة متداوَلة، لَمَّا ترجم لوجيهٍ صاهَر وجيهًا على ابنته؛ فقال: وشِبْهُ الشيء مُنجذِبٌ إليه(١).

نعم؛ فالتاجر -كثيرًا ما- يزوِّج ابنته مِن ابن تاجر، والأمير مِن بنت أمير، وأما العالِم فمِن بنت عالِمٍ أو طالب علم، فإن فاتَه فمِن أسرة علم.

ولو لم يكن من فائدةِ تزويجِ طالبة العلم بطالب العلم، في بيت العلم إلا هذه لكفى بها جمالًا وجلالًا. بل ويتناسل العلم من الأولاد للأحفاد، لتتكون لبِنة أسرة علمية:

أنكحت حُرَّتك الكريـ ـمة عامدًا إجلالَها
ما كنت إلا مُنكحًا شمسَ السماء هلالَها
ستَقَرُّ عينُك عن قريـ ـب إذ ترى أشبالَها(٢)

ولأجل أن تعرف مقدار الثمرة، فتأمل جمال هذه: «الجلسة العائلية العلمية المنزلية» الآتية:

* الشيخ المُتصدِّر: هو الحافظ جمال الدين المِزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٤٢هـ).

* القارئ: ابنه عبد الرحمن، والكاتب: حفيده عمر، والمستمع: ابنته زينب، وزوجها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٧٤هـ).

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٦/ ١٤٤).

(٢) يتيمة الدهر (٥/ ٢٤٨).

فقد جلس أولئك الأقمار، على مائدة العلم؛ ليُجيزهم المِزي في بعض مروياته[١].

ولكن هذا المبتغَى قد لا يتسنى لكل من تمنى، لكن على أقل الأحوال أن يكون البيت محبًا للعلم متبعًا للسنة، مبغضًا للجهل مفارقًا للبدعة.

قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٨٧هـ): من زوَّج ابْنَته من مُبْتَدع فقد قطع رَحِمهَا[٢].

وبالعموم؛ فإن زوج مَوْلِيَّتك كريم عليك؛ لإكرامه لها، وستره عرضها، فينبغي أن يُجَلَّ ويُكرَم.

ولذا كان التابعي حصين بن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت نحو ٩٧هـ): إذا رأى زوج ابنته أو أخته زال عن مجلسه، وقال: مرحبًا بمن ستر العورة، وكفى المؤونة[٣].

وإليك الآن أربعين نموذجًا، لعلماء درَسوا على شيوخهم، فتزوَّجوا بناتهم أو أخواتهم[٤]:

١- سعيد بن المسيِّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٤هـ) زوَّجه أبو هريرة ابنته، فصار أعلم الناس بحديثه[٥].

٢- سعيد بن المسيِّب -أيضًا- زوَّجَ ابنته بدرهمين، من تلميذه ابن أبي وداعة، في قصة عجيبة طويلة. وكانت من أجمل النساء، ومن أحفظهن لكتاب الله، وأعلمهن بسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت قد خطبها الخليفة عبد الملك بن مروان، لابنه الوليد بن عبد الملك، حين ولَّاه العهد، فأبَى سعيد أن يزوِّجه[٦].

٣- عبد الله بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١١١هـ) مولى أسماء بنت أبي بكر، روى عنه صِهْرُه عطاء بن أبي رباح، وهو من أقرانه[٧].

٤- إسماعيل بن أبي أويس الأصبحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٢٦هـ) ابن أخت الإمام مالك وتلميذه، وقد زوّجه مالكٌ ابنته[٨].

---

(١) مدوَّن في ورقة مخطوطة، عُثر عليها مؤخراً.

(٢) الثقات لابن حبان (٨/ ٤١٥).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤/ ٤٠٣). وحصين هذا له حديث واحد في صحيح مسلم (١٧٠٧) يرويه عن عثمان في الحدود.

(٤) إذا قيل في تراجم العلماء: «صاهَرَه أو صِهْرُه» فالأغلب الأقرب أنه تزوج بنته أو أخته.

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٦/ ٣٢١) وتاريخ الإسلام ت تدمري (٦/ ٣٧٣) والبداية والنهاية ط هجر (١٢/ ٤٧١).

(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ١٦٧).

(٧) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٧١) والصِّهْرُ قال عنه ابن الأعرابي: هو زوج بنت الرجل. انظر لسان العرب (٤/ ٤٧١).

(٨) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية (١/ ٣٢٧).

٥- أحمد بن يحيى ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٩١هـ) زوَّج ابنته أبا علي الدينوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٨٩هـ) ومن الطرائف أن الدينوري كان يتخطَّى شيخه ثعلب؛ ليقرأ على المبرّد، فعاتبه على ذلك، فلم يكن يلتفتُ إلى قوله[١].

٦- من عجائب القصص ما جرى لأبي الوليد الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٧٤هـ) فقد قال: كان أبي من تجار القيروان، وكان يجلس إلى فقيه بها، فكان يقول: تَرى أرى لي ابنًا مثلك؟ فلما أكثر من ذلك القول قال: إن أحببتَ ذلك فاسكن قرطبة، والْزَم أبا بكر القبري، وتزوَّجْ بنته، عسى أن تُرزق ولدًا مثلي. ففعل ذلك، فجاءه أبو الوليد، وآخر صار صاحب صلاة، وثالث كان من الغزاة[٢].

٧- الكمال الضرير، شيخ القراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٠٥هـ) تلميذ الشاطبي، وزوْجُ ابنته[٣].

٨- فخر الدين ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٢٠هـ) عمُّه صاحب «تاريخ دمشق» كان إمام وقته، وتفقه على أبي المعالي النيسابوري، وتزوج ابنته[٤].

٩- ابن حَنُّون البَهْرَاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٣٢هـ) روى عنه صِهره ابن سيِّد الناس[٥].

١٠- الفقيه تقي الدين العرَّاف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٨٨هـ) تفقَّه بابن النحوي، وتزوَّج ابنته. ولما احتضر ابن النحوي أوصى إليه في قضاء دَينه، فقام بذلك أتَمَّ قيام، ثم خلَفَهُ في تدريسه[٦].

١١- أحمد السَّرُوجِي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧١٠هـ) تفقَّه على مذهب أحمد، فحفظ بعض «المقِنع». ثم تحوَّل حنفيًا، فحفظ «الهداية». وأخذ عن نجم الدين ابن يحيى، وزوَّجه ابنته[٧].

١٢- محمد بن جعفر بن حجون القنائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٢٧هـ) تزوَّج أُخْت ابن دقيق العيد، ورُزق منها بابْنَيْنِ عالِمَين[٨].

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (ص١٤١) و(ص٢١٥).
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (٣٢/١١٨).
(٣) العبر في خبر من غبر (٣/ ٣٠٣).
(٤) وفيات الأعيان (٣/ ١٣٥).
(٥) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٤/ ١٥٩).
(٦) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (٢/ ٨٦).
(٧) رفع الإصر عن قضاة مصر (ص٤١).
(٨) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٥/ ١٥٤).

١٣- أبو حَيَّان ابن المسلاتى رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٦٤هـ) ابن أخي القاضي جمال الدين، وَزَوْجُ ابنته. حفِظ «التنبيه»، وناب فِي الحُكم عَن عَمه[١].

١٤- محمد بن سليمان الجعفري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (نحو ٧٦٥هـ) سمع من المِزِّي، وتزوج بنته[٢].

١٥- ابن مفلح الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٦٣هـ) تزوَّج ابنة شيخه القاضي جمال الدين المرداوي المقدسي، وناب عن شيخه في الحُكم، وكان أخصَّ تلاميذه[٣].

١٦- ابن التُّرْكُمَاني الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٦٩هـ) كان يسرد في دروسه «البداية» في الفقه حفظًا، وصاهَر عز الدين ابن جماعة، وكان معه كالروح في الجسد، لا يخالفه[٤].

١٧- يحيى بن زعيب الرحبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٩٤هـ) أخذ عن كثير من أصحاب ابن تيمية، وكان تاجرًا، وصاهره البرهان ابن جماعة ، فكان له بذلك جاهٌ كبير[٥].

١٨- سراج الدين البُلْقَيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٥هـ) لازم البهاء ابن عقيل، وانتفع به كثيرًا، وتزوج ابنته[٦].

١٩- أبو المعالي ابن خطيب داريا رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨١١هـ) كان قد صاهَر المجد اللغوي، فلازمه[٧].

٢٠- الفقيه جمال الدين الحجاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٢٠هـ) قرأ بالعلوم على الإمام ابن نور الدين، وتزوج ابنته العابدة، عبادةً يعجز عنها كثير من الرجال[٨].

٢١- نور الدين الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٢٣هـ) صحب زين الدين العراقي، وهو صغير، ولازمه أشد ملازمة، وتزوج ابنته، ورحل معه جميع رحلاته، وحج معه جميع حِجاته، ولم يكن يفارقه حضرًا ولا سفرًا. وأشار عليه بجمع ما في «مسند الإمام أحمد» من الأحاديث الزائدة على «الكتب الستة»، فأعانه بكُتُبه، وأرشده إلى التصرف في ذلك[٩].

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٢٦٥).
(٢) المصدر السابق (٥/ ١٩١).
(٣) البداية والنهاية ط هجر (١٨/ ٥١٨).
(٤) رفع الإصر عن قضاة مصر (ص١٩١).
(٥) إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٤٤٩).
(٦) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٦/ ٨٥).
(٧) المصدر السابق (٦/ ٣١٠).
(٨) طبقات صلحاء اليمن = تاريخ البريهي (ص٢٧٣).
(٩) إنباء الغمر بأبناء العمر (٢/ ٣٠٩) ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (ص١٥٦).

٢٢- شهاب الدين أحمد بن مكنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٢٩هـ) حفظ «الحاوي» وتزوج رابعة ابنة شيخه ابن حجر، ودخل بها بِكرًا ابنة خمس عشرة سنة، فولدت منه بنتًا، ثم مات عنها[(١)].

٢٣- ابن الكلوتاتي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٣٥هـ) حُبب إليه طلب الحديث، وصاهَر شيخه العراقي[(٢)].

٢٤- ابن النيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٣٧هـ) .. كان أبوه تاجرًا، فنشأ هو محبًا للعلم، وصاهر شيخه العراقي[(٣)].

٢٥- شمس الدّين محمد البالسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٤٥هـ) سمع الكثير من ابن الملقّن، وصاهره على ابنته[(٤)].

٢٦- ابن سيد الدار السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٤٠هـ) حفظ «المنهاج» و«ألفية ابن مالك» ولازَم الأبناسي، وكانت بينهما مصاهَرة، ولازَمه في التفقه به، فلم ينفكَّ عنه حتى مات[(٥)].

٢٧- ابن الأشقر الكرادي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٦٣هـ) لازَم ابن حجر، وصاهَره على ابنتيه، واحدة بعد أخرى. وترجم له ابن حجر، ووصفه بـ «أخي في الله تعالى القاضي»[(٦)].

٢٨- عبد الغني الزين القمني الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٦٧هـ) لازَم ابن حجر، وكتب عنه «فتح الباري» وصاهَر شيخه الرشيدي[(٧)].

٢٩- أحمد بن الحسن الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٧٣هـ) من شيوخه الشمني، وقد عقد له على ابنته، فلم يلبث أن مات قبل دخوله عليها؛ لصِغرها[(٨)].

٣٠- ابن معاني الهوريني التلواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٧٣هـ) تزوج بنت ابن المجدي، وقرأ عليه في الفرائض والحساب وغيرهما، فلما مات درَّس مكانه[(٩)].

٣١- ابن كتيلة الدميري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٨٧هـ) تفقه بالفقيه محمد الحنفي، وصاهَره على ابنته[(١٠)].

---

(١) إنباء الغمر (٣/ ٣٧٣).
(٢) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (٣/ ٥٠ و٥٢).
(٣) إنباء الغمر بأبناء العمر (٣/ ٥٣١).
(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٩/ ٣٧٥).
(٥) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠/ ١٧٦).
(٦) المصدر السابق (٨/ ١٤٣).
(٧) المصدر السابق (٤/ ٢٥٤).
(٨) المصدر السابق (١/ ٢٧١).
(٩) المصدر السابق (٥/ ٢٢٨).
(١٠) المصدر السابق (٨/ ٢٤٨).

٣٢- عمر بن خليل ابن الغرس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٨٨هـ) ويقال له أيضًا ربيب الجلال البُلْقيني؛ لكونه زوجًا لأمه. وصاهَر البُلْقَينيَ على أكبر بناته[١].

٣٣- عبد السلام البهوتي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٩٦هـ) اختص بشيخه الديمي؛ لمصاهَرة بينهما[٢].

٣٤- محمد الرّعيني، ويعرف بالحطّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٥٠هـ) صاهَر ابن عزم على ابنته[٣].

٣٥- الفقيه حَمَد بن إبراهيم بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١١٩٤هـ) قرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٠٦هـ) وتزوَّج ابنته، وسَكَن الدرعية عنده، وتولى قضاء بلدة مَرَات[٤].

٣٦- العلامة محمد بن عبد الله بن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٩١هـ) لازَم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بُطين، وأخذ عنه وتزوج ابنته، وكان لا يفارقه إلا وقت النوم[٥].

٣٧- الشيخ الداعية عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٨٨هـ) زوَّج ابنته لتلميذه العلامة حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٧٧هـ)

٣٨- محمد بن راشد بن رقيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٩١هـ) قد صاهَر الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، وتتلمذ عليه[٦].

٣٩- محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٠٧هـ) توجه إلى العراق، حيث الْتقى العالم الموريتاني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وتزوج ابنته[٧].

٤٠- أما الأربعون؛ فشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢١هـ) فقد زوَّج بناته المباركات لتلاميذه الأفذاذ، الذين حَلُّوا محلَّه في التدريس بالجامع: الشيخ د. سامي الصقير - الشيخ د. خالد المصلح - الشيخ د. عبد الرحمن الدهش.

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٨٤).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٢٠٨).

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٤٠٨).

(٤) تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (٣/ ١٦٢٨).

(٥) تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان (١/ ٢٣٠).

(٦) المصدر السابق (٦/ ١٨٧).

(٧) مقالات الشيخ تقي الدين الهلالي (١/ ٢).

استنباطات والتقاطات موجزة مما سبق:

* رقم (١) و (١٦) و (٢١) و (٣٦) = ملازمة تامة.

* رقم (٥) و (١٥) و (٢٦) = مصاهرة رغم اختلاف المذهب الفقهي.

* رقم (١٠) و (١٣) و (١٥) و (٣٠) = تَخْلُفه في المنصب التدريسي أو القضائي.

* رقم (٢٦) = حنفي يتزوج بنتَي شافعي.

أما الآن فإليك العكس، بأن يزوِّج التلميذ بنتَه لشيخِه، وهذا أَعجَبُ وأَنْدَرُ:

٤١- مؤمل بن هشام اليشكُري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٥٣هـ) روى عن زوج بنته، إسماعيل بن عُليَّة[١].

٤٢- العباس بن محمد بن معاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تنحو ٤٠٠هـ) صِهرُ وشيخ الحاكم، صاحب «المستدرك»[٢].

٤٣- موسى بن سعادة المرسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥١٤هـ) كانت بنته عند ابن سكّرة الصدفي، فلازَم ابن سكّرة، وانتسخ «الصحيحين» للبخاري ومسلم بخطه، وسمِعَهما على صِهْره نحو ستين مرة[٣].

٤٤- ابن القحّ البَلَنْسيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٠٥هـ) سمع من صِهره أبي الحسن بن هُذَيل، وصحِبَه ثلاثين سنة[٤].

٤٥- علي بن جابر اللخمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٤٦هـ) تلا بالسبع على صِهره أبي الحسن نجبة[٥].

٤٦- علي الميورقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٧٠هـ) كان يُفسر القرآن كل جُمعة، وأَخذ عن صِهره ابن مقاتل الشاطبي[٦].

٤٧- أمين الدين الحنفي الآدمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٩٥هـ) أخذ عن زوج ابنته، الفخر بن الفصيح[٧].

---

(١) تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٨٣).
(٢) تاريخ نيسابور للحاكم (ص١١٦) وانظر: الروض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم- نايف المنصوري (١/ ٣٣).
(٣) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٣١٣) ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس (٢/ ٢٢١).
(٤) تاريخ الإسلام ت بشار (١٣/ ١٢١) والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٣/ ٥٦٨).
(٥) السفر الخامس من كتاب الذيل (١/ ١٩٨).
(٦) بغية الوعاة (٢/ ١٩٤).
(٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨/ ٥٨٣).

٤٨- ابن عياذ الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٨٤٥هـ) سمع على صهره المحلي، وكتب عنه إجازة[١].

٤٩- محمد بن مصباح اللامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٤هـ) لازَم صِهره، البرهان بن حجاج الأبناسي[٢].

٥٠- محمد ابن السقاء الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٦٧هـ) قرأ على صهره، البدر العيني شرحه للشواهد[٣].



أخي القارئ النهِم الفهِم:

هلّا اكتشفتَ عناوين الكتب العشرة، المضمَّنة في الأبيات، ولعلك تعرَّفتَ على مؤلفيها وفنونها:

قل للموطأ للورى أكنافهُ ... بشراه بالتمهيد في الأحوالِ
وإذا اكتفى بالمنتقى استذكارهُ ... وفَّى له المختار في الأعمالِ
ومسالك الحسنى تؤديه إلى ... أقصى التقصِّي من قُصَى الآمالِ
ويلوح من قَبَس الهداية رُشْدهُ ... من مَعْلم التفصيل والإجمالِ

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/ ٢٠٢)

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٨/ ٦٢).
(٢) المصدر السابق (٨/ ٢١٩).
(٣) المصدر السابق (٨/ ١٧٩).



علماء أخوالُ علماء

العلم لا يؤخذ بالنسب، وليس إرثًا يورِّثه العالِم لأولاده وأهل بيته، ولكنه إذا كان متصلًا بنسب أو مصاهرة كان ذلك أدعى لرسوخه، وثبوته.

ولذلك فإن المحدثين قد يتغاضَون عن رواية بعض الرواة الثقات، إذا روَوا عن شيوخهم من قراباتهم، الذين يجمعهم بيت واحد؛ لأن طول المجالسة مظنة الضبط، كما أنهم يسمعون من أهل بيتهم فوائد، لا يسمعها عامة الطلاب. وخذ على هذا مثالًا لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد تلقَّى حديثًا، انفرد بروايته عن خاله:

دخل معاوية على خاله أبي هاشم بن عتبة وهو مريض يعوده، فقال: يا خالي، ما يبكيك؟ أوجع يُشْئِزُك، أم حرصٌ على الدنيا؟ قال: كلا، ولكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهِد إليَّ عهدًا لم آخُذ به، قال: «إنما يكفيك من جمع المال خادم، ومركب في سبيل الله». فأجِدُني اليوم قد جمعتُ[١].

الخُؤُولة العلمية[٢]

من العلم -كما يعبِّر عنه الشاطبي- ما هو من مُلَح العلم لا من صُلْبه[٣]. وهذا المَبحث إنما هو من مُلَح العلم، وسيكون تقسيمه على قسمين:

(١) السنن الكبرى للنسائي (٩٧٢٤).

(٢) الخُؤُولة: أي بينك وبينهم خُؤولة رحِم، وقرابة من قبل أمهم، والخُؤولة كالعُمومة. ويقال: خال بيِّن الخؤولة. وهو مصدر. انظر: تاج العروس (٢٨/ ٤٤٥) تهذيب اللغة (١٠/ ٢٤٨).

(٣) الموافقات (١/ ١٠٧).

* مَسْرَد لخُؤُولة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

١- عبد الله بن الأرقم خال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٢- سعد بن أبي وقاص خال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].
٣- حمزة بن عبد المطلب خالُ عبد الله بن جحش
٤- حمزة خالُ الزبير بن العوام.
٥- عائشة خالة عبد الله وعروة ابنَي الزبير
٦- أم المؤمنين ميمونة خالة يزيد الأصم.
٧- ميمونة خالة ابن عباس.
٨- ميمونة خالة خالد بن الوليد.
٩- عبد الرحمن بن عوف خال المسور بن مخرمة.
١٠- سعد بن أبي وقاص خال جابر بن سمرة.
١١- قدامة بن مظعون خال ابن عمر.
١٢- حرام بن ملحان خال أنس بن مالك.
١٣- أنس بن النضر خال أنس بن مالك.
١٤- عبد الله بن رواحة خال النعمان بن بشير.
١٥- عروة بن مسعود خال المغيرة بن شعبة.
١٦- أيو بردة نيار خال أبي أمامة.
١٧- أبو بردة خال البراء بن عازب.
١٨- أبو الدحداح خال أبي لبابة.
١٩- النجاشي خال فيروز الديلمي.
٢٠- عمرو بن معد يكرب خال مسروق بن الأجدع.

---

(١) قال النبي ﷺ لسعد: هذا خالي، فليُرِني امرؤٌ خالَه. رواه الترمذي (٣٧٥٢) واستغربه. ورواه الحاكم في المستدرك (٦١١٣) وصححه ووافقه الذهبي. وفي تاريخ الطبري (٣/٤٨٣): لما أرسل عمر سعدًا على حرب العراق أوصاه فقال: يا سعد، سعد بني وُهيب! لا يغرنَّك من الله أن قيل: خالُ رسول الله .. إلخ. وتوضيح تلك الخُؤولة أن سعدًا من بني زهرة، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة، فلذلك قال النبي ﷺ: هذا خالي.

٢١- عبد الله بن ثعلبة بن صُعير خال الزهري.

٢٢- بسرة بنت صفوان خالة مروان بن الحكم.

* مَسْرد لمشاهير العلماء، الذين أخوالهم علماء أو مشاهير:

١- حميد الطويل خال حماد بن سلمة.

٢- مالك بن أنس خال إسماعيل بن أويس.

٣- ابن المبارك خال محمد بن شيبة.

٤- الأسود بن يزيد خال إبراهيم النخعي.

٥- الحارث بن عبد الرحمن خال ابن أبي ذئب.

٦- سَرِيٌّ السَقَطي خال الجُنيد.

٧- أبو الفضل الهروي خال أبي عثمان الصابوني.

٨- الفارابي خال الجوهري صاحب الصحاح.

٩- مُلاعب الأسِنّة خال عامر بن الطفيل.

١٠- المُزني خال الطحاوي.

١١- أبو نصر التمَّار خال الإمام مسلم.

١٢- الجاحظ خال يموت بن المُزَرَّع.

١٣- أبو محمد الموفق المقدسي وأبو عمر المقدسي خالا الضياء المقدسي.

١٤- محمد المكي بن عزوز خال محمد الخضر حسين.

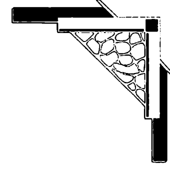
١٥- محب الدين الخطيب خال علي الطنطاوي.

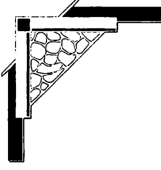
١٦- محمد شاكر خال عبد السلام هارون.

١٧- المهلهل خال امرئ القيس.

١٨- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب خال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.







مَسْرَد لمن لم يَحُجَّ من العلماء

كان الحج عسيرًا قبل ظهور وسائل المواصلات الحديثة، ويزداد مشقة على من يأتي من شُقَّة بعيدة، ولذا كانوا يبذلون النفس والنفيس؛ لأجل تحقيق الركن الخامس من أركان الإسلام، ويبتهل الواحد منهم أن يرزقه الله أداء فريضة الله عليه، ويفرح كثيرًا إذا فرغ منها.

فهذا الأمير المقدام أبو يحيى البطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢١هـ) تأخر في حجه، وهو يخبر أنه لم يزَلْ -فيما مضى من عمره- مشتغلًا عن حجة الإسلام، بما فتح له من الجهاد، وسأل الله الحج والشهادة، فقضى عنه حجته، وهو يرجو أن يرزقه الشهادة في عامه هذا، ثم مضى إلى منزله، وغزا من عامِه، فاستشهد[١].

ومن الموافقات الطريفة أن إمام الحديث عبد الرحمن بن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣٢٧هـ) يقول: رحل بي أبي وما احتلمتُ بعدُ، فلما بلغْنا ذا الحليفة احتلمت، فحكيتُ ذلك لأبي، فسُرَّ بذلك وقال: الحمد لله؛ حيث أدركتَ حجة الإسلام[٢].

ولا نَشُكُّ أن هؤلاء الأجلاء الآتية أسماؤهم، لم يتركوا الحج كسلًا، بل نظن بهم أنهم ما استطاعوا إليه سبيلًا، إما عجزًا ماليًا أو بدنيًا، لا سيما علماء الأندلس؛ فإن الشُّقة عليهم بعيدة.

ولذا قد تجِد كثيرًا من هؤلاء العلماء لا يُتقِنون تفاصيل كتاب المناسك؛ لأنهم لم يحجُّوا.

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٦٣هـ): مِن أهل العلم مَن أخطأ في كثير من أحكام المناسك؛ لأنه لم يَحج[٣].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٣/ ٤٠٥).

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص١٢٣٣).

(٣) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص١٤).

وإليك مَشردًا بأسماء واحد وعشرين من العلماء، الذين ماتوا ولم يَحُجُّوا، وهم كما يلي:

١- التابعي عمارة بن غراب اليحصبي رَحِمَهُ اللَّهُ (بعد ٦٠هـ): قالت له عائشة: شيخ مثلك لم يحج؟! ما كان يؤمِّنك أن يدركك الموت؟! فقال لها: إنا كنا بإفريقية نجاهد عدوَّنا، ولا نجِدُ إلى الحج سبيلًا. فقالت: إن كنتَ كذلك؛ فإن الله -تعالى- يَعذر بالمعذرة[(١)].

٢- شيخ البخاريِ، حفص بن عمر الحوضي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٢٥هـ) مات وقد أتى عليه نيِّفٌ وتسعون سنة، ولم يَحُجَّ قط[(٢)].

٣- أبو يعقوب الصنعاني الدَّبَري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٨٥هـ) لم يَحُجَّ، وقد كان تلاميذه يَدْعُون له، ويعِدُونه بأنهم يطوفون عنه إذا أتوا مكة، ويعتمرون عنه، فيُسَرُّ بذلك[(٣)].

٤- شيخ المالكية ابن الحداد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٤٤هـ) كان يتقوَّتُ باليسير، ولم يَحُجَّ[(٤)].

٥- اللغوي المعروف بابن سِيده رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٥٨هـ) مصنف «المحكم». قال في الجِمار: هي التي تُرمى بعرفة!. فعلق ابن حجر على ذلك بقوله: يُعذر؛ لكونه لم يكن فقيهًا، ولم يَحُجَّ[(٥)].

٦- ابن حزم الظاهري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٥٦هـ) لم يحجَّ! ومن شذوذاته في المناسك أنه قال: بمشروعية الرمَل في أشواط السعي الثلاثة الأول. وأيضًا قال بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاف في حجته للوداع مرتين!!

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٥١هـ): وسألتُ شيخنا عنه، فقال: هذا من أغلاطه، وهو لم يحجَّ[(٦)].

٧- شيخ الشافعية أبو إسحاق الشيرازي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٧٦هـ) لم يَحُجَّ، ولا وجب عليه؛ لأنه فقير[(٧)].

٨- ابن أبي العصافير الخزرجي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٠٤هـ) لم يَحُجَّ، وكان ذا حظٍّ من علم الأصول والأدب[(٨)].

---

(١) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (١/ ١٢٨).

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري (١٦/ ١٣٩).

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٧/ ٧).

(٤) سير أعلام النبلاء ط الحديث (١١/ ١٢٦).

(٥) تاريخ الإسلام ت تدمري (٣٠/ ٤٤٨) ولسان الميزان (٤/ ٢٠٥).

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٢١٣) و(٢/ ٢٦٩).

(٧) العبر في خبر من غبر (٢/ ٣٣٤).

(٨) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص٥٣٧).

٩- المحدث المفسر ابن الفراء الحسين البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥١٦هـ) لم يَحُجَّ، وقد جاوز الثمانين[١].

١٠- القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٤٤هـ) قال: يطوف الحاج للوداع مرتين.

فعلق ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ قائلًا: والقاضي في هذا معذور؛ لأنه لم يشاهد تلك الأماكن[٢].

١١- فاتح بيت المقدس الملك الصالح القائد صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٨٩هـ) كان يحفظ «ديوان الحماسة» ويعقد مجالس للعلماء، واشتغل بإدارة مملكته وبالفتوحات، ولم يزل عازمًا على الحج، سيَّما في العام الذي توفي فيه، فإنه صمَّم العزم عليه، ولم يبقَ إلا المسير، فاعتاقَ عن ذلك؛ بسبب ضيق الوقت، وخلوِ اليد عما يليق بأمثاله، فأخَّر إلى العام المستقبَل، فقضى الله بوفاته.

ولذلك لما لقيَ الحُجاج استعبرت عيناه؛ كيف فاته من الحج ما تمناه، وسألهم عن أحوال مكة، وخِصْبها، وصدقاتها، والفقراء، والمجاورين، ورواتبها، وإدْراراتها، وسُرَّ بسلامة الحاج[٣].

١٢- محمد بن إبراهيم المهري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦١٢هـ) كان عَلَم وقته عِلمًا وتفنُّنًا .. وقد رحل قاصدًا الحج، ولما وصل مصر مرِضَ، واستزاره سلطانها يومئذ، ثم رجع وما حجَّ[٤].

١٣- أبو طالب، عزيز الدين العلوي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٣٢هـ) ورَدَ بغداد صُحبةَ الحاج ولم يحج، وقد أثنى عليه ياقوت الحموي ثناءً كثيرًا، ووصَفه بعلوم كثيرة[٥].

١٤- الخطيب جمال الدين الدولعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٣٥هـ) كان حريصًا على الخطابة؛ أخذها بعد عمه، ولم يحج حجة الإسلام؛ خوفًا على المحراب أن يَخرج عنه![٦].

١٥- العالم المتفنن، ابن الصفار الأنصاري الضرير القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٣٩هـ) كانت له رحلة إلى المشرق، وأسمعَ الحديث، وقفَل بعد ذلك إلى المغرب، ولم يحجَّ[٧].

---

(١) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٢٨١) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٦/ ٧٩).
(٢) فتح الباري (٣/ ٦١٣).
(٣) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة (٤/ ٣٥٧) وسيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شداد (ص٣٥).
(٤) التكملة لكتاب الصلة (٢/ ١٦٣).
(٥) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٢/ ٦٥٤) والوافي بالوفيات (٣/ ٢٠٨).
(٦) نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام (ص١٠٠).
(٧) التكملة لكتاب الصلة (٢/ ١٤٣) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٤/ ٣١٤).

١٦- أحمد بن عبد الله الأنصاري المالقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٥٢هـ) توفي ولم يحجَّ[١].

١٧- الفقيه الأصولي، عبد العزيز الربعي التونسي، المعروف بالدِّرْوال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٣٣هـ) قَدِمَ القاهرة، فأقام بها، ولم يحج[٢].

١٨- عز الدين ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٦٧هـ) لم يحج، ولم يتزوج[٣].

١٩- الشيخ شهاب الدين ابن نشوان الحواري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٩هـ) كان عاقلًا ذكيًا، يتكلم في العلم كلامًا حسنًا .. ومات ولم يحج، وخلَّف تركة جيدة[٤].

٢٠- الفقيه الشاب، عبد الرحمن البُلْقَيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٦٦هـ) جَدُّه الأعلى السراج. مات بمرض السِّلِّ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة، قبل أن يَحُجَّ، ولم يُحَجَّ عنه[٥].

٢١- الشيخ الفقيه، عبد الرحمن بن عنبر البوتيجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٦٤هـ) تصدّر للإقراء بجامع الأزهر مدة طويلة، وما حَجّ حجة الإسلام[٦].

وهؤلاء الواحد والعشرون الذين لم يَحجوا، كلهم على جانب كبير من العلم، لكن أبرزهم وأشهرهم أربعة: أبو إسحاق الشيرازي، وابن سِيدة، والقاضي عياض، والبغوي.

فلعل أحدًا يَنتدب للحج عن أولئك الأربعة خصوصًا.



---

(١) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (١/ ٣٢٣).

(٢) المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/ ٢٤).

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٩/ ٢٠٤).

(٤) الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٢٤٢) وبهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين (ص١٤٣).

(٥) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ١٠٢).

(٦) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦/ ٢١٧).

مَسْرَدٌ لمن لم يتزوجن من أعلام النساء

الزواج سُنة نبوية فطرية، ومن لم يتزوج قد يكون له عذر لا نعلمه، فإذا كان من أهل العلم فهو أولى بالتماس العذر له. فأما مريم بنت عمران فآية من الله باهرة.

وإليك الآن مَسْرَدًا لأعلام النساء اللاتي لم يتزوجن[١]:

١- تأتي في الصدارة الصدِّيقة الكبرى، والمصطفاة من رب العالمين: مريم بنت عمران عليها السلام فإنها قالت عن نفسها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧] وهذا يدل على أنها علمتْ أنها لا تتزوج أبدًا؛ لأنها كانت محرَّرة لله، مخلَصة له في العبادة، والمحرَّرة لا تتزوج أبدًا[٢].

٢- أم شَريك رضي الله عنها هي التي وهَبَتْ نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت[٣].

٣- الشيخة، العالمة، الفاضلة، المسنِدة كريمة أم الكرام المروزية رحمها الله (ت٤٦٣هـ) المجاوِرة بحرم الله. لها فهم ومعرفة مع الخير والتعبد، وكان أبوها يُحضرها عند الشيوخ وهي صغيرة. روَتْ «صحيح البخاري» مرات كثيرة، وذات مرة قرأَتْ صحيح البخاري في خمسة أيام. وكان لها مجلس بمكة، تجتمع فيه الطلبة والأفاضل، من رجال كل علم، وهي تُلْقِي على كل نوع مما يطلبه. وماتت بِكرًا لم تتزوج أبدًا[٤].

---

(١) للشيخ بكر أبو زيد رسالة لطيفة، عنوانها «العلماء العزاب» وقد ذكر فيها (١٠٧) من العلماء، وأشهرهم سبعة وهم: ابن جرير الطبري، وأبو علي الفارسي، والزمخشري، والنووي، وابن تيمية، وابن قاضي شهبة، والعقاد. وقد ذكر من النساء خمسًا فقط، ولكن فاتَه هذه الثلاثة عشر أعلاه. وقد تعقب الشيخُ بكر في رسالته الشيخَ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه: «العلماء الذين آثروا العلم على الزواج».

(٢) انظر: تفسير الماتريدي (٢/ ٣٧٢) وتفسير الإيجي (١/ ٢٤٧).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ٢٤٥).

(٤) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع (ص١٤٥) وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٨/ ٢٣٣) والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص٤٩٩).

٤- جَمِيلة الحَمْدانية رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٣٧١هـ) ابنة أمير الموصل، وهي إحدى شهيرات النساء في الكرم والعقل والجمال، ولم تتزوج أَنَفَةً من أن يتحكم بها الزوج، وحجَّت قبل وفاتها بخمس سنين، فكان معها أربع مئة جارية، ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار[١].

٥- عائشة بنت قادم القُرْطُبِيَّة رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٤٠٠هـ) أديبة، شاعرة، من أهل قرطبة. لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعادلها، فهمًا وعلمًا، وأدبًا وفصاحة وشعرًا. وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف، وعنيت بجمع الكتب، فكانت لها خزانة كبيرة، وماتت عذراء لم تتزوج[٢].

٦- ولَّادة بنت المستكفي بالله رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٤٨٠هـ) أديبة شاعرة جزلة القول، وكانت بقرطبة تناضل الشعراء، وتساجل الأدباء، وعُمِّرت عمرًا طويلًا، ولم تتزوج قط[٣].

٧- خديجة بنت أحمد الرازي، المدعوة مليحة رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٥٢٦هـ) أبوها محدث، وأخوها محدث، وقد حدثت أختها كما حدثت هي، ومن تلاميذها السِّلَفي، ورئيت غير ليلة، وهي تصلي طول الليل، ولا تنام إلا عن غلبة. وتوفيت وهي بكر لم تتزوج قط، ووصَّت بأن يصلي عليها تلميذها السِّلَفي[٤].

٨- ابنة الدباس بن هبة الله السمسمي رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٥٥٨هـ) امرأة صالحة متدينة، تعِظ النساء ببغداد، وماتت وهي بكر لم تتزوج، وعاشت ثمانين سنة[٥].

٩- زينب بنت أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم المقدسية رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٧٠٢هـ) سمعت من ابن عبد الدائم، وكانت صالحة لم تتزوج[٦].

١٠- فاطمة بنت المقرئ المحدث سليمان بن عبد الكريم الأنصاري رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٧٠٨هـ) صالحة عابدة معمّرة، كثيرة الإيثار، لم تتزوج قط، وأجاز لها طائفة من العلماء، وأكثرَ عنها الجماعة بالإجازات العالية. وروت الكثير وتفردت. توفيت عن قريب تسعين سنة[٧].

---

(١) الأعلام للزركلي (٢/ ١٣٩).
(٢) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص٦٥٤).
(٣) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس (٤/ ٢٠٧) والدر المنثور في طبقات ربات الخدور (ص٥٤٥).
(٤) معجم السفر (ص٨٢).
(٥) الوافي بالوفيات (١٠/ ٢٥٠).
(٦) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/ ٢٥٣).
(٧) المصدر السابق (٢/ ١٠٧) والعبر في خبر من غبر (٤/ ١٨).

١١- خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل بن العادل الأيوبي رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٧٢٣هـ) كانت رئيسة محترمة، ولم يكن في بيت العادل من هو في درجتها، ولم تتزوج قط(١).

١٢- أم عبد الرحمن حبيبة بنت الزين المقدسي رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٧٣٣هـ) حدثت بالكثير، خصوصًا بالاجازة. قال الذهبي: سمعت منها، ولم تتزوج(٢).

١٣- زينب بنت شيخ الإسلام أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٧٣٩هـ) كيسة متواضعة خفيفة الروح، لم تتزوج قط. قال الذهبي: أمها هي شيختنا حبيبة بنت التقي، سمعت من أمها، وجفَّ دماغها وجُنَّتْ زمانًا، وتغير ذهنها، وبقيت مدة كذلك. وتوفيت عن ثمانين سنة(٣).

١٤- زينب بنت الكمال المقدسية رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٧٤٠هـ) قال الذهبي: تفردت بقدر وَقْر بعير، من الأجزاء بالإجازة، وكانت ديِّنة خيرة، روَتِ الكثير، وتزاحم عليها الطلبة، وقرؤوا عليها الكتب الكبار، وكانت لطيفة الأخلاق، طويلة الروح، ربما سمعوا عليها أكثر النهار، وأصيبت عينها برمد في صغرها، ولم تتزوج قط، وماتت وقد جاوزت التسعين، ونزل الرواة بموتها درجة(٤).

١٥- أم عبد الله حبيبة بنت العز المقدسي رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت٧٤٥هـ) سمعت على ابن عبد الدائم انتخاب الطبراني، وجزء ابن عرفة ومشيخته، وأجاز لها ابن عبد الهادي، ومن تلاميذها الذهبي. وماتت عن إحدى وتسعين سنة، ولم تتزوج أبدًا(٥).

١٦- الملكة الفاضلة زيب النساء بنت السلطان عالمكير رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت١١١٣هـ) حفظت القرآن على مقرئة، فأعطاها أبوها ثلاثين ألفًا من النقود الذهبية، ثم قرأت الكتب على العلماء، وأخذت الشعر والإنشاء، وأحرزت الكتب النفيسة في خزانتها، واجتمع عندها من العلماء والشعراء ما لم يجتمع عند أحد. وكانت شاعرة ساحرة، تسحر الألباب، لا تضاهيها امرأة في الهند، في جودة القريحة، ولطافة الطبع، لم تتزوج قط للغَيرة، بأن تكون ضجيعةً لأحد

---

(١) البداية والنهاية ط هجر (١٨/ ٢٣٢) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣٣/ ٦٧).
(٢) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/ ٢١٨).
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٥٢) والوفيات لابن رافع (١/ ٢٧٣).
(٤) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/ ٢٤٨).
(٥) المصدر السابق (١/ ٢١٨) والعبر في خبر من غبر (٤/ ١٣٦).

من الرجال، ولها مصنفات مجموعة في رسائل، وأنفقت على ترجمة «تفسير الرازي» بالفارسي، وسمي «زيب التفاسير» باسمها[١].

١٧- المقرئة الضريرة الشيخة «نفيسة زيدان» المصرية رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت١٤٢٩هـ) ونفيسة نفسها لم تتزوج، رغم كثرة مَن طلبوها للزواج من الأكابر، وماتت وهي بِكر في الثمانين، انقطاعًا للقرآن الكريم!.

أما الأعجوبة الأخرى من الشيخة نفيسة؛ فإن تلميذتها المقرئة أم السعد المصرية الضريرة رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت١٤٢٧هـ) لما ذهبت إلى شيخة أهل زمانها الشيخة «نفيسة زيدان» لتُجيزها في القراءات العشر، اشترطت عليها شرطًا عجيبًا وهو ألا تتزوج أبدًا!! لأنها ترى أن من تتزوج ستنشغل عن إقراء القرآن، فقبِلَتْ الشرط، وبعد ثمان سنوات حصلت من شيختها (نفيسة) على إجازة في القراءات العشر. ثم إن التلميذة قد أجازت أكثر من ثلاث مئة إجازة.

وتقول عن قصة زواجها: لم أستطع الوفاء بالوعد الذي قطعته لشيختي نفيسة، بعدم الزواج، فقد كان رجل ضرير يقرأ عليَّ القرآن بالقراءات، فارتحت له، ودرَّسته خمس سنوات كاملة، وحين أكمل القراءات العشر، طلب يدي للزواج، فقبلتُ!. واستمر زواجهما أربعين سنة كاملة، لم تنجب فيها أولادًا. وتعلق قائلة: ربما لو أنجبت لانشغلت بالأولاد عن القرآن. وتوفيت وعمرها إحدى وثمانون سنة[٢].

١٨- بدرية الخراشي رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت١٤٣٩هـ) طالبة العلم المشلولة؛ بسبب حادث أصيبت به أول شبابها عام ١٤٠٥هـ ، ولكن ذلك لم يَعُقْها ذلك عن مواصلة طلب العلم، وخدمته.

يُحدثني المؤلف الشيخ د. خالد السبت فيقول: «إنها فرَّغَتْ بخط اليد كثيرًا من دروسي الصوتية، وكتبتْ بيدها كتابَيَّ الاثنين: «العذب النمير» للشنقيطي (٧ مجلدات) وَ«سلسلة أعمال القلوب» (مجلدان). فقلنا لها: نحتاج الكتابة بالحاسب. فراحت تتعنَّى، وتتعلم الكتابة عليه، حتى أتقنت وأنجزتْ كلَّ ما طُلب منها».

---

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٦/ ٧٢٤).

(٢) أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٤ (٢١/ ١٢٢).

إلماحة:

كان الطرح ولا يزال عن معايب ومثالب المرأة [المرأة والتبرج - المرأة والمعاكسات - المرأة والإعجاب - المرأة وكثرة الخروج إلى الأسواق] في قائمة طويلة لظواهر سلبية.

ولا أحد ينكر وجود هذه الظواهر، ولكن الذي لا يُرتضَى أبدًا أن تُقدَّم المرأة من خلال هذه الصورة القاتمة، ويُنسى الوجه المشرق لها.

وبعضنا لا يعرف من المرأة إلا أنها ناقصة عقل ودين، لا شيء غير ذلك!

أفلا يعلمون أن كثيرًا من علماء الأمة إنما هم نتاج لتربية أمهات؟!

أوَلا يرون النماذج المشرِّفة للعالِمات، والحافظات والمتفوقات؟!

فلننظر بعين الإنصاف والافتخار، ولا نكن متشائمين، ولا ظانين ظن السوء، بأننا في زمن مليء بالظلمات، فنيأسَ من التفوق والإصلاح، فندخلَ تحت نهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «إذا قال الرجل: هَلَكَ الناس فهو أهلَكُهُمْ». رواه مسلم[1].



(١) صحيح مسلم (٢٦٢٣). ويُروى بفتح الكاف، ولكن رواية رفع الكاف أشهَرُ. قاله الحميدي والنووي. شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٧٥).

نماذج لمَن أَكمَلَ كتابًا بَدَأه ابنُه

هذا المبحث من النوادر العجيبة، والأسرار اللطيفة، يقودك إلى أن العلم رحِمٌ آخر بين أهله، ويدُلُّك على جانب خفي من حنان الأب، ودأَبه في أن يتصل ابنه بالعلم وأهله، كما أنه من الإحسان الكبير، الذي يَفوق الإحسان المالي والبدني من الأب لولده.

أمَّا من أكمَل كتابًا بدأَه أبوه؛ فهذا كثير جدًا، وربما يبلغ المئات من الأمثلة.

ولأضرب على ذلك عشرة أمثلة فحسْب:

١- «الإقناع في النحو» للسيرافي النحوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣٦٨هـ) ولم يتم، فأتمه ولده يوسف. وكان الولد يقول: وضع والدي النحو في المزابل بـ «الإقناع» - يعني أنه سهَّله جدًا، فلا يحتاج إلى مفسر.

٢- «المُغرِب في حُلى المَغرِب» كتاب عظيم، بل خزانة كتب عامرة بمختلف الفنون، بدأه عبد الملك بن سعيد المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٦١٠هـ) وخلَفه في الزيادة عليه ابنه محمد، ثم حفيده موسى، ثم ثلاثة آخرون من أحفاده، فبلغوا ستة مؤلفين متناسلِين، وقد أنفقوا من أعمارهم متعاقِبين في تأليفه (١١٥) سنة، وهذا زمن لا يُعرف له نظير.

٣- المحلى لابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٥٦هـ) : توفي قبل أن يكمله، فأكمله ابنه من كتاب أبيه الآخر «الإيصال».

٤- طرح التثريب في شرح التقريب: ألَّفه أبو الفضل عبد الرحيم العراقي، فوافته المنية قبل إكماله .ثم أكمله ابنه أبو زرعة.

٥- المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية: تَتابَع على تأليفها جَدُّ شيخ الإسلام، ثم والد شيخ الإسلام، ثم شيخ الإسلام نفسه.

٦- حاشية ابن عابدين: توفي مؤلفها عند (باب دعوى الهبة) فأتمَّها بعده ابنه محمد بن محمد.

٧- الإبهاج شرح منهاج البيضاوي في الأصول: بدأ فيه التقي السبكي الأب، ثم أكمله ابنه تاج الدين السبكي.

٨- ومن أعجب الأمثلة أن كتابًا تَعاقَب عليه مؤلف ثم ابنه ثم حفيده: فهذا الشيخ محمد القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣١٧هـ) له كتاب «بدائع الغرف في الصناعات والحرف» رتبه على الحروف، وبلغ فيه أواخر حرف السين، ولم يتمه، فأتمه ابنه العلامة جمال الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٣٢هـ) بمساعدة آخر، وسَمَّيَاه «قاموس الصناعات الشامية» في مجلدين، ثم نشره حفيده المحامي ظافر القاسمي -حفظه الله-.

٩- ومن عجائب المؤلفات، طويلة الأمد: «المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود» شرع فيه مؤلفه الشيخ محمود خطاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٥٢هـ) وخلال تسع سنوات دأبًا، وصل فيه إلى كتاب الحج، فودع الدنيا ولم يكمله، فقام ابنه أمين بعمل «فتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود» وصل فيه إلى نهاية كتاب الطلاق، وطُبعت التكملة في أربعة مجلدات، ثم توفي الابن، ولم يُكملها أيضًا.

١٠- وثمت مثال معاصر عجيب، للشاب البار عبد الرحمن بن فهد بن صقر الروقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٣٩هـ) وقد سعى ذلك الابن البار -وفقه الله- إلى طباعة خمسة بحوث نفيسة لوالده بعد وفاته. وهو ساعٍ في طبع الخمسة والأربعين الباقية!

تلك عشرة كاملة كافية، وإلا فالأمثلة على هذا المنوال كثيرة -كما أسلفتُ-.

أما الجانب الأعجب، فهو أنْ يقوم الأب بإكمال كتاب بدأه ابنه؛ فهذا من النوادر العجيبة جدًا:

وقد وجدتُ إخواني طلاب العلم يكرِّرون المثالين الأولَين لا غيرَ، ولكن هداني الله -بفضله- لأجِدَ سبعة أمثلة لهذا المبحث النادر العجيب.

فإليك تلك الأمثلة السبعة كما يلي:

١- الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمَثَل:

للحافظ القاسم بن ثابت بن حزم السَّرَقُسْطِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣٠٢هـ) ولكنه مات عنه، وعمره سبع وأربعون سنة، فلم يكمله، فأتمه أبوه ثابت، الحافظ المشهور رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣١٣هـ).

وهذا الكتاب جليل نفيس، حتى قالوا عنه: لم يؤلَّف بالمشرق كتاب أكمل منه، في شرح الحديث[١].

٢- شرح صحيح البخاري:

للشاب الحافظ العالم الفهِم الحُوزيّ، الملقب بـ«قوَّام السُّنة» رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٣٥هـ) فقد توفي وعمره أربع وثلاثون سنة، وله قرابة عشرين مؤلفًا، منها كتاب «التفسير» في ثلاثين مجلدة كبارًا. ومن كتبه «شرح صحيح البخاري» وقد مات ولم يُتمه، فأتمه أبوه. وعند خَتْمه جاء الأب عند قبر الابن، فأتمه عند القبر![٢].

٣- التحرير شرح صحيح مسلم:

للحافظ قوَّام السنة رَحِمَهُ اللَّهُ فقد توفي قبل أن يُكمِله، فأكمله أبوه. فيكون هذا الأب المبارك قد أكمل كتابين اثنين، لابنه الشاب العالِم.

٤- فصول البدائع في أصول الشرائع:

لشمس الدين الفناري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٣٤هـ) وقد أتَّمه والده بشرح نفيس، في غاية الجودة[٣]

٥- تفسير «المُتدارك على المَدارك»:

للعلامة ابن الضياء الصاغاني الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٥٤هـ) وصل في تفسيره إلى آخر سورة هود، وأكمله والده[٤].

٦- أبراج الزجاج في سيرة الحجاج:

تأليف الشاب الصالح: عبدالرحمن بن سعيد بن وهف القحطاني رَحِمَهُمَا اللَّهُ. وأبوه هو صاحب الكتيب المشهور «حصن المسلم». وكانت وفاة الابن عام ١٤٢٢هـ، وعمره تسع عشرة

---

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٤/ ٢٨) وطبقات النحويين واللغويين (ص٢٨٥) وانظر: الأعلام للزركلي (٥/ ١٧٤).

فائدة: هذا الابن العابد العالم القاسم بن ثابت -رحمه الله تعالى- أُريدَ على أن يلي القضاء، فأبى، فأراد أبوه إكراهه، فسأله أن يتركه ثلاثة أيام، حتى يستخير الله -تعالى-، فمات قبل تمام الثلاثة الأيام. فيروى أنه دعا لنفسه بالموت! . انظر: صفة جزيرة الأندلس للحِميري(ص٩٨).

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري (٣٦/ ٣٧٢). وهذا الصنيع عند القبر بدعة لا تشرع!.

(٣) أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون (ص٢٢٦).

(٤) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٧/ ٨٥) والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢/ ١٩٥٧).

سنة، ووفاة الأب عام ١٤٤٠هـ. فقد قام الأب بمراجعة الكتاب، وتحقيقه، وتصديره بترجمة وافية للابن، وطبعه. كما قد طَبع الأب لابنه كتابين آخرين، وهما:

* الجنة والنار من الكتاب والسنة المطهرة، وقد طُبع منه تسع وثلاثون ألف نسخة.

* غزوة فتح مكة في السنة المطهرة[١].

٧- صفة الصلاة بالصور:

الشيخ عدنان السقا رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٤٤٢هـ)[٢] له ولد طالب علم، في العشرين من عمره، وقد بدأ الولد يؤلف كتابًا عن الصلاة بالصور الإيضاحية، ومن العجيب أنه لما وصل لباب صلاة الجنازة! تعرَّض لحادث سيارة فمات، فقام أبوه بإكمال الكتاب على مِنوال تأليف الابن، موضَّحًا بالصور، واعتنى بطبعه -فرحمهما الله تعالى-.

وقفات عجلى مع هذا الباب:

١- تَستبِين منه حَدَبَ الأب على صلاح ابنه، وأعظم الصلاح أن يكون الابن عالِمًا يَهتدي الناس بعلمه.

٢- تَستلهِم من هذا الباب حنان وإحسانَ الأب على ابنه بعد مماته، امتدادًا لحياته، والأب إنما هو فَلْذة رحمة، مع حِزْمة تأديب.

٣- تستنبِط منه حرص الأب على تناسُل العلم، وتوريثه من الآباء إلى الأبناء، ثم إلى الأحفاد؛ لتنشأ أسرة علمية متسلسلة، أسوةً بمثل أسرة المَقادِسة، والتَّيْمِيِّين، وآل رُشد، والألوسيين.

تنبيه مهم عند النقل من الكتب المكمَّلة:

عند الإحالة على الكتاب الذي لم يكمله مؤلفه، ثم جاء من يُكمله من بعده، فإن كان موضع الإكمال معلومًا، فتكون الإحالة بحسب الموضعين.

وإن كان موضع الإكمال مجهولًا، فتكون الإحالة على اسم الكتب فقط، بأن يقال -مثلًا-: قال صاحب «الدلائل» كذا وكذا.

---

(١) أبراج الزجاج في سيرة الحجاج (ص١٤).

(٢) سوري الجنسية، وأقام بالسعودية مدةَ عِقْدَين، واشتغل أثناءها معلمًا وإمامًا بجامع في جدة.

ولذا انظر إلى دقة الحافظ النووي في النقل في شرحه لـ «صحيح مسلم» فقد نقل عن «التحرير» لقوَّام السنة وأبيه، في أكثر من خمسين موضعًا، وستجده إذا أحال «للتحرير» يكتفي بقوله: «قال صاحب التحرير»؛ لأنه -والله أعلم- لا يَعلم أين ينتهي كلام الابن، وأين يبتدئ كلام الأب.

فلذلك انتبه أيها الباحث، وكن دقيقًا لاعند الإحالة لمثل هذا.

وخذ مثالًا يجلِّي التنبيه المراد أكثر: كتاب «المجموع» قد وصل النووي في تأليفه إلى باب الربا، فأوعز إلى تلميذه ابن العطار بذلك، لكنه لم يفعل، فأكمله مِن بعده تقي الدين السبكي، في كتاب البيوع في مجلدين، ثم توفي السبكي قبل أن يتمَّه، حتى أتمه العلامة محمد بخيت المطيعي (ت١٣٥٤هـ). رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

فليُتنبه إذًا بشأن العزو لكتاب «المجموع»؛ فإن بعض الباحثين قد يعزو في مسائل النكاح وما بعدها، بقول: يُنظر المجموع شرح المهذب للنووي! وهذا غير دقيق، والأدق أن يقال: يُنظر تتمة المجموع (/)[1].



استخرج خبايا الكتب

هذا شاعر نظم أبياتًا، يورِّي فيها أربعة من أسماء الكتب فيقول:

ظبيٌ هو الكامل في حُسنهِ ... وثغره أبهى من العقدِ
جماله المدهش لكنما ... أخلاقه تحكي صبا نجدِ

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس (٥/ ٥٣٦)

فيا ترى! ما الكتب؟ ومن مؤلفوها؟

---

(١) ملخصًا من هدية العارفين (٢/ ٨٧).

نماذج لمَن ألَّف كتابًا لأجل ولده

من حَدَبهم على أولادهم يؤلِّفون مؤلفات؛ إنما قصدهم فيها ابتداءً أولادهم! ليُذيقوهم لذةً ذاقوها، وليمنحوا أحب ما يجدون لأحب من يملكون. أبعد هذا الحَدَب حَدَبٌ؟!

وإن في قلب الوالد لرحمة وحرصًا، فكيف إذا كان عالِمًا يُقتدَى به في التعليم وفي التربية؟!

وإذا كان الله قد دعانا للنفقة مما نحب، من المطعوم، أو الملبوس، أو المسكون، كما قال -تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢] فكيف بالعِلم الذي هو أحب من أولئكم؟! وكيف بأولادنا الذين هم أحب إلينا من أولاد الناس؟!

وربنا يوصينا نحو أولادنا، فيقول: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١] وأعظم من الوصية بالمال الوصية بالتربية على العلم والقرآن.

وهذا معنى الوقاية في قول ربنا الذي يربينا: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٤٠هـ): علِّموهم وأدِّبوهم[١].

وإنما هذه أسباب، وقد تتخلف الأسباب، بل قد لا يكون ابن العالِم مهتديًا، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة: ٤١].

ولكن لا يُصِبْك الإحباط إذا قرأت قول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٥٢هـ): قلَّ أن يجتمع الحظُّ لامرئٍ في نَسله، وتصانيفه معًا[٢].

وهذا الكلام -وإن كان عند الاستقراء له حظ كبير من النظر- إلا أن المرء عليه السعي لعله يكون من القليل، والله لا يُخيِّبُ السعي الجميل، كما قيل:

---

(١) النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (١/ ٤٩٥).

(٢) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٣/ ١٢٢٢).

وعــلـــيَّ أن أســعـــى ولـــيـــ ـــس عــلـــيَّ إدراك الـــنـــجـــاحْ[(١)]

ولله الحكمة البالغة، فقد يجتهد العالِم في تنشئة ابنه، ولكن لا يكتب الله للابن ما تمناه الأب لابنه. فلا يجزع، ولا يَسخط، ولا تذهب نفسه عليه حسرات.

فيامن فعل الأسباب؛ ليكون ابنه عالمًا، لكن الله ما أراد له ذلك، خذ هذه القصة التي تُعزِّي وتُسلِّي من اجتهد في تربية ابنه، ولكن لم يكن كما أراد، فعوضه الله بإحدى بناته! وتَتِمَّة الخبر: أن للإمام مالك ولدًا اسمه محمد؛ يجيء للبيت وأبوه يحدِّث، وعلى يده باشق -طائر صيد، يشبه الصقر- وقد أرخى سراويله، ويدخل الابن ويخرج ولا يجلس للعلم، فيلتفت مالك إلى أصحابه، ويقول: إنما الأدب مع الله، هذا ابني وهذه ابنتي!. ويقول: إن مما يهون عليَّ أن هذا الشأن لا يورَّث![(٢)]

وثَمَّت نماذج لمن كتبوا علمًا؛ ليُذيقوا أولادهم لذة العلم، فسعَوا وأدركوا بعض النجاح، أو جُلَّه، وأما من مات من العلماء، وهو لم يُدْرِك ولدًا تقر عينه بأن يكون عالِمًا، فليهنأ؛ فقد هيَّأ الله له عبر القرون خلائق من وِلدان المسلمين، من ينتفعون بعلمه؛ ليكون الواحد من أولئك الأبعدِين نسبًا كوَلَدِه المخلَّد، لا كولَده الفاني.

وإليك الآن ستين نموذجًا، لمن سَعَوا لأولادهم من صُلبهم؛ لينفعوهم، وليدفعوهم لطلب العلم، فألَّفوا لأولادهم كتُبًا يخصُّونهم، أو نظموا قصائد يخاطبونهم[(٣)].

١- «وصية» الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٥٠هـ) لابنه حماد[(٤)].

٢- «وصية» ابن قتيبة الدينوري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٧٦هـ) لولده[(٥)].

٣- ابن غالب الأصبهاني الملقب بـ: باح رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣١٠هـ) أَلَّف لولده كتابًا في «الرسائل»[(٦)].

٤- الحافظ الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٦٠هـ) انتخب لابنه أبي ذر «جزءًا»[(٧)].

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ٣٥).

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١١٦).

(٣) بعض الرسائل لم يثبت أنه مرسلة من الأب لابنه. فأما رسالة: أيها الولد للغزالي؛ فقد بعثها لابن صديقه، وأما لامية ابن الوردي؛ فليس في ترجمته ما يدل على أنه نظمها لابنه.

(٤) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم - علي بلوط - أحمد بلوط (٣/ ١٩٦٢).

(٥) المصدر السابق (٢/ ١٤٦٧).

(٦) توضيح المشتبه (٢/ ٧).

(٧) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص٣١٤).

٥- أبو الحسين أحمد بن ميمون رَحِمَهُ ٱللَّهُ (نحو ٣٥٠هـ) انتخب لابنه أبي بكر عن الشيوخ «ألف جزء» وشاركه في الانتخاب أخوه الأصغر[(١)].

٦- قصيدة فائقة مشهورة، لأبي إسحاق الإلبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٤٥٩هـ) كتبها إلى ابنه أبي بكر؛ حاثًا له على طلب العلم، وفيها عتاب لاذع! ومما قال فيها -وقد مرَّ ذِكرها-:

أَبَا بكر دعوتُك لَو أجبتا ... إِلَى مَا فِيهِ حظك إن عقلتا

إِلَى عِلم تكون بِهِ إِمَامًا ... مُطَاعًا إن نهيتَ وَإِن أمرتا[(٢)]

٧- الطبيب الخطيب ابن بختويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٤٦٤هـ) ألَّف «كنز الأطباء» لولده[(٣)].

٨- «النصيحة الولَدية» وصية أبي الوليد الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٧٤هـ) لولدَيه الاثنين، وقد مات أحد الولَدين، وبقي الآخر، واسمه أحمد، ونفعت الوصية والنصيحة -بحمد الله-، فأخذ العلم عن أبيه كثيرًا وخلفه في حلقته، وله تواليف. وتوفي أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٩٣هـ) بجدة بعد الحج[(٤)].

٩- معين الدين أبو الحسن النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٥٤٧هـ) صاحب «غريب القرآن» كَتَبه لأجل ولده محمود[(٥)].

١٠- الحافظ ابن السمعاني (ت٥٦٢هـ) جَمَعَ لابنه عبد الرحيم «معجمًا» لمشايخه، في ثمانية عشر جزءًا، و«عوالي» في مجلدين ضخمين[(٦)].

١١- الأمير الأديب أسامة بن منقذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٨٤هـ) ألَّف لابنه كتاب «الشيب والشباب»[(٧)].

١٢- وكذلك النسخة الأصلية لكتاب «لباب الآداب» التي كتبت للمؤلف سنة ٥٧٩ للهجرة، قد وهبها لابنه، وكَتَب ابنه عليها بيده، أن أباه وهبه إياها[(٨)].

---

(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٢/ ٧٠٩).

(٢) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف (ص١٧٣).

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٣٤٠) والوافي بالوفيات (١٧/ ٢١٥).

(٤) النصيحة الولدية (ص٣٨).

(٥) بحوث ومقالات في اللغة والأدب وتقويم النصوص (مقالات محمد أجمل الإصلاحي) (ص٣٣).

(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٢١٢).

(٧) لباب الآداب لأسامة بن منقذ (المقدمة/ ٧).

(٨) المصدر السابق (المقدمة/ ٧).

١٣- النحوي أحمد بن علي بن المأمون رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٨٦هـ) ألَّف لأولاده - وهو محبوس - «شرح الفصيح»، و«أسرار الحروف»[(١)].

١٤- كتيب «لفتة الكبد في نصيحة الولد» لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٩٧هـ). قال في مقدمته عن سبب تأليفه: ختمتُ ختمةً، وسألتُ الله -تعالى- أن يرزقني عشرةَ أولاد، فرَزَقنيهم، فكانوا خمسة ذكور، وخمس إناث، فمات من الإناث اثنتان، ومن الذكور أربعة، فلم يبق من الذكور سِوى ولدي أبي القاسم، فسألتُ الله -تعالى- أن يجعل فيه الخلَف الصالح .. ثم رأيت منه نوع تَوَانٍ عن الجد في طلب العلم، فكتبتُ له هذه الرسالة[(٢)].

١٥- «المجالس اليوسفية في الوعظ» لابن الجوزي -أيضًا- كتبها لابنه يوسف[(٣)].

١٦- كتاب «ألف با» للعلامة أبي الحجاج البلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٠٤هـ) ألَّفه لابنه عبد الرحيم.

١٧- «الأربعين في أصول الدين» للفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٠٦هـ) ألفه لولده محمد[(٤)].

١٨- النحوي ناصر المُطرِّزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦١٠هـ) لما فرغ ولده من حفظ القرآن، ألَّف له كتابًا؛ ليحفظه، وهو «الإقناع لما حوى تحت القناع»، وأيضًا: «المصباح» في النحو[(٥)].

١٩- العلامة موفق الدين عبد اللطيف ابن اللباد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٢٩هـ) ألَّف لابنه يوسف كتاب تاريخ، يتضمن «سيرته»[(٦)].

٢٠- الفقيه نجم الدين عبد الغفار القزويني الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٦٨هـ) له كتاب «الحاوي الصغير» في الفقه الشافعي، وقد صنفه لولده جلال الدين، فحفظه الولد، وبرع -أيضًا- في الفقه، ودرَّس وصنَّف[(٧)].

٢١- «الأسَدية» في النحو لابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٧٢هـ) صنفها لولده محمد، المعروف بالأسد[(٨)].

---

(١) معجم الأدباء (١/ ٤٥١).
(٢) لفتة الكبد في نصيحة الولد لابن الجوزي (ص٣).
(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٩٦).
(٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ١).
(٥) المصدر السابق (١/ ٨١).
(٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٦٩٤).
(٧) مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٤/ ١٢٧) والعقد المذهب في طبقات حملة المذهب (ص١٦٨).
(٨) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ٨١).

٢٢- «وقاية الرواية في مسائل الهداية» متن حنفي مشهور، للإمام برهان الشريعة عبيد الله المحبوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (قبل ٧٠٠هـ) صنفه لابن بنته صدر الشريعة[١].

٢٣- النحوي ابن شرفشاه العلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧١٥هـ) كتب لولده النصير شرحًا على «قواعد العقائد»[٢].

٢٤- ابن آجُرُّوم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٢٣هـ) صاحب متن «الآجرومية» وقد صنفه لولده[٣].

٢٥- الحافظ ابن جُزَي الكلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٤١هـ) ألَّف لابنه أحمد «الأنوار السَّنية في الألفاظ السُّنية».

٢٦- وألَّف -أيضًا- لابنه محمد «تقريب الوصول إلى علم الأصول»[٤].

٢٧- سبب تأليف «تحفة المودود» لابن القيم؛ أن الله رزق ابن المصنف برهانَ الدين مولودًا، ولم يكن عنده هدية يقدمها لابنه، فصنَّف هذا الكتاب، وأعطاه إياه، وقال له: أتحفتُك هذا الكتاب، إذ لم يكن عندي شيء من الدنيا أعطيك[٥].

٢٨- سعد الدين التفتازاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٩٢هـ) له «شرح التصريف» للزنجاني، وهو أول تآليفه، ألَّفه لابنه[٦].

٢٩- «التذكرة في الفروع» على مذهب الشافعي للسراج ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٤هـ) جمعها لولده[٧].

٣٠- «التأديب في اختصار التدريب» للبلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٥هـ) اختصره لولده صالح[٨].

٣١- ابن الشحنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨١٥هـ) له «مختصر في الفقه» ألفه لأجل ولده[٩].

---

(١) شرح المصابيح لابن الملك (مقدمة/ ١٣) وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ٢٠٢٠) وهذا المتن شرحه عبد اللطيف ابن ملك. لكن سُرقت النسخة التي بيَّضها بعدما مات! فتأسفوا عليها، فكتب ابنه محمد من مسودتها، مع بعض الإلحاقات.

(٢) بغية الوعاة (١/ ٥٢٢).

(٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٧/ ١١٨).

(٤) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/ ١٨٧).

(٥) وُجِد مكتوبًا بنسخة الظاهرية المخطوطة، ومُصدَّرًا بعبارة: (قال من نثق بعلمه: سبب تأليف ..). وقد ذكره الأرناؤوط في مقدمة: (تحفة المودود).

(٦) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص١٣٥).

(٧) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٣٩٢).

(٨) المصدر السابق (١/ ٣٨٢).

(٩) درر الفرائد المستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة (ص٢٨).

٣٢- «الرسالة الولدية» في المنطق للشريف الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨١٦هـ) ألَّفها لولده بالفارسية(١).

٣٣- صفي الدين الردولوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨١٩هـ) له «دستور المبتدئ في الصرف» صنفه لأجل ولده(٢).

٣٤- كتاب: « تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد» للحافظ زين الدين العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٢٦هـ) ألَّفه لابنه، حيث يقول في مقدمته: فقد أردت أن أجمع لابني أبي زرعة مختصرًا في أحاديث الأحكام، يكون متصل الأسانيد بالأئمة الأعلام، فإنه يَقبح بطالب الحديث، بل بطالب العلم ألا يحفظ بإسناده عِدةً من الأخبار(٣).

٣٥- عبد اللطيف السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٤٠هـ) له منظومة، عمِلها لولده، وسماها بـ «العقد النظيم»(٤).

٣٦- ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٢هـ) صنَّف «بلوغ المرام» لأجل ابنه الأكبر محمد .. لكنه ما تيسَّر له إلا حفظ يسير منه، وكتَبَ عن والده كثيرًا من مجالس الإملاء. قال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩١١هـ): وحرصت كل الحرص، أن يُقبِل بعد موتِ أبيه على المطالعة، والاشتغال على بعض جماعةِ أبيه .. لكنه ما تمَّ(٥).

بل قال ابن تَغرِي بَرَدى رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٧٤هـ): ولم يكن فيه ما يُعاب، إلا تقريبه لولده؛ لجهلٍ كان في ولده، وسوء سيرته، وما عساه كان يفعل معه، وهو ولده لصلبه، ولم يكن له غيره؟!(٦).

٣٧- المحدِّث رضوان العقبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٢هـ) خرَّج لابنه «الأربعين المتباينات»(٧).

٣٨- ابن الشماع الأيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٦٣هـ) أعرب جميع «ألفية ابن مالك»؛ لأجل ولده أبي الطاهر(٨).

---

(١) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (٣/ ٢١٩٧).
(٢) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٣/ ٢٥٦).
(٣) تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد (ص٢) ومن اللطائف أن عدد أحاديثه ينتهي برقم مميز! وهو ١١١١ حديثًا.
(٤) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ٣٢٨).
(٥) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٣/ ١٢٢٠).
(٦) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (١٥/ ٥٣٣).
(٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٣/ ٢٢٨).
(٨) المصدر السابق (٩/ ١٤٣).
فائدة: أفرد ابن الشماع عقيدته بالتأليف، وقد تبرأ فيها من كل ما يخالف السنة والجماعة، وقد ابتلِيَ بلاءً عظيماً، وقد وقع بحلب فَناء عظيم، توفي فيه غالب مَن عنده، مِن ولد وأهل وخدم، فأسِف، وتوجه وهو متوعك إلى المدينة؛ عازمًا على المجاورة بها، فمات بها.

٣٩- المحب ابن الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٨٠هـ) قد شرع في تصنيف كتاب في «أحاديث الأحكام»؛ لأجل ابنه(١).

٤٠- ابن المَلَك رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٨٥هـ) له «شرح الوقاية» صنفه لولده جعفر(٢).

٤١- الشيخ محمد المحلي الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٩٦هـ) شرح لابنه «غاية تهذيب الكلام في تحرير المنطق والكلام» للتفتازاني(٣).

٤٢- «حسم الخلاف في المسح على الخفاف» رسالة للعمادي الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٩٨٣هـ) كتبها لولده(٤).

٤٣- الشيخ حسين الخلخالي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٠١٤هـ) ألَّف لابنه برهان الدين محمد «حاشية على شرح تهذيب المنطق والكلام» للدواني(٥).

٤٤- للعلامة أحمد بن محمد الشلبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٠٢٠هـ) حاشية على «الآجرومية» جمعها لولده(٦).

٤٥- الشيخ أبو البركة عيسى السندي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٠٣١هـ) ألَّف لابنه عبد الستار «حاشية على الفوائد الضيائية» للجامي(٧).

٤٦- وألَّف السندي -أيضًا- لابنه محمد «الفتح المحمدي» في التفسير(٨).

٤٧- التمرتاشي الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٠٥٥هـ) شرَح «الألفية» لولده محمد في النحو(٩).

٤٨- «مفتاح النجوم» بالفارسية، لعبد العزيز التبريزي رَحِمَهُ اللَّهُ (نحو ١٠٦٧هـ) ذكر مؤلفه أنه صنفه لولده عبد اللطيف(١٠).

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢/ ٨٦).
(٢) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢/ ٣٠٠).
(٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ١١٣).
(٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ٦٦٥).
(٥) المصدر السابق (١/ ٥١٦).
(٦) المصدر السابق (٢/ ١٧٩٧).
(٧) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٥/ ٥٩٧).
(٨) المصدر السابق (٥/ ٥٩٧).
(٩) هدية العارفين (١/ ٤٢٣).
(١٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٧٧١).

٤٩- الفقيه الحنفي ساجقلي زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١١٥٠هـ) له رسالة «الولدية» في آداب المناظرة، كتبها لولده[١].

٥٠- الخادمي محمد بن مصطفى الحسيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١١٧٦هـ) له «رسالة الوصية والنصيحة» لولده محمد سعيد[٢].

٥١- قائمي البوسنة وي العثماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٩١هـ) له كتاب «المسائل المنثورة» على أسئلة لابنه محمد[٣].

٥٢- «المردف في العروض» للشيخ غلام البلكرامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٠٠هـ) صنفه لحفيده، الأمير حيدر ابن نور الحسين[٤].

٥٣- القاضي خليل الرحمن الرامبوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (نحو ١٢٠٠هـ) له «مئة عامل» صنفه لابنه عبد العزيز[٥].

٥٤- «أسلاك الجوهر في نظم مجدّد القرن الثالث عشر» نظمه الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٥٠هـ) وكتبه لولده أحمد[٦].

٥٥- ابن ملوكة التونسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٧٦هـ) له «رسالة في النحو»، وضعها لولده حمدان[٧].

٥٦- الشيخ محمد عاقل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (قبل ١٣٠٠هـ) ألَّف لابنه «إرشاد الولد لما يلزم لكل أحد»[٨].

٥٧- كتاب «عون الباري؛ لحل أدلة البخاري» للعلامة صديق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٠٧هـ) ألَّفه أولًا؛ لأجل ابنه الصغير الطاهر[٩].

---

(١) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم - علي بلوط - أحمد بلوط (٤/ ٢٤٨٠).
(٢) هدية العارفين (٢/ ٣٣٤).
(٣) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (٣/ ٢٣٦٧).
(٤) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٦/ ٧٧٢).
(٥) المصدر السابق (٧/ ٩٦٤).
(٦) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (٤/ ٢٩٧٦).
(٧) تراجم المؤلفين التونسيين (٤/ ٣٧٧).
(٨) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (٥/ ٣٤٧٨).
(٩) ومن عجائب اللطائف أن عنوانه يدل بالأبجدي على تاريخ تأليفه: ١٢٩٩هـ.

٥٨- وكتابه في التفسير -وهو المقدَّم عنده-: «فتح البيان في مقاصد القرآن». ألفه أولًا؛ لأجل ابنه الأكبر الطيب[١].

٥٩- كتيب «إلى ولدي» للأديب المؤرخ أحمد أمين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٧٣هـ) قال في أوله: كان لي ابنٌ يُتِمُّ تعليمه في إنجلترا، فاستحضرتُه في ذهني عند كتابتها[٢].

٦٠- رسالة: «هديتي لابنتي عند زفافها» للشيخ محمد بن رزق الطرهوني، أهداه إلى بناته: عائشة وجويرية وحفصة ورملة وسودة وميمونة وخديجة وصفية وهند. وقال: وعلى وجه الخصوص: إلى من اقترب زفافها[٣].

لفتة لابد منها:

أولاد طلاب العلم، وأولاد العلماء يَلْقَون من الناس نظرات لاذِعة، وعُتبى موجِعة، وذلك إذا رأَوهم كسائر أولاد البشر لم يتميزوا عليهم بشيء، ويُلاقون منهم نقدًا لاذعًا إذا واجهوا منهم هَنَّة أو زلة! وقد يرميهم الناس بأبصارهم قائلين: أتفعل هذا وأنت ابن الشيخ فلان؟! أو بنت المؤلف الدكتور فلان؟!

وكأنهم يُريدون منهم أن يكونوا نُسَخًا من آبائهم! أو كأنهم يتهكَّمون من آبائهم أن لم يُربُّوهم كما نشأ الآباء -زعموا-.

وهذه الأسلوب في التعامل منفِّر، لا يُطاق من الآباء أنفسهم، فضلًا عن أولادهم، حتى لربما نطق الصبي لأحدهم متذمِّرًا وقائلًا: ليت أبي لم يكن شيخًا، ولا مؤلفًا!

فيا أيها المجتمع أجْمَعُ: ارفقوا بأولاد طلاب العلم والعلماء، واحذروا النظرات والامتعاضات؛ فإنها لنفوسهم مهلِكات. ولربما صار هذا العتاب نوعًا من الشماتة المحرمة، والتي -ربما - ترتدُّ على ذرية الشامت! فلنحفظ ألسنتنا، ولنحافظ على مشاعر الآخرين.

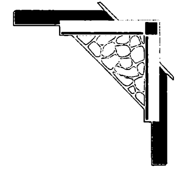


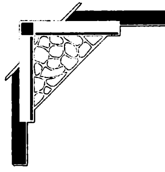
---

(١) السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج (١١/ ٨٤٣) وهذا الكتاب كسابقه، عنوانه يدل بالأبجدي على تاريخ تأليفه١٣٢٢هـ.

(٢) مقدمة «إلى ولدي» - أحمد أمين (ص٦).

(٣) هديتي لابنتي عند زفافها (ص٤).





رواية الكبير عن الصغير، والشيخ عن تلميذه، والأب عن ولده

كان العلماء الأوائل، لا يَستنكِف الواحد منهم، أن يأخذ عمَّن هو أصغر منه سنًا، أو يروي عن تلميذه، ويتلقَّى عنه العلم والقرآن.

وقد قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٩٨هـ): لا يكون الرجل من أهل الحديث، حتى يأخذ عمَّن فوقه، وعمن هو دونه، وعمن هو مثله(١).

بل من تمام التواضع، وكمال التجرد والإخلاص في التعلم، أن تنقل ما رويتَه -بلا تردد- عمَّن هو أصغر منك.

قال مجاهد لتلميذه الأعمش: يا سليمان! لو كان لي قوة لاختلفتُ إليك(٢).

وقد أعلنها صريحةً خارجةُ بن مصعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٦٨هـ) فقال: مَن سمع حديث مَن هو دونه، فلم يَرْوِهِ فهو مُراءٍ(٣).

أتتبّع العلماء أكتبُ عنهمُ ... كَيما أحدّث من لقيتُ فيَضحكا(٤)

وهذا المبحث يعطيك مؤشرًا واضحًا وصادقًا، بأن القوم لا يَعتبرون فارِق الأعمار مانعًا من تلَقِّي العلم؛ لشغَفِهم بالعلم، ولتواضعهم وإخلاصهم. وإنما شعارهم: «الحكمة ضالَّة المؤمن، فحيث وجَدَها فهو أحق بها»(٥).

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢١٨).

(٢) معجم ابن المقرئ (ص١٥٤).

(٣) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٣/ ٢٩٦) والجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١/ ١٨٠).

(٤) العقد الفريد (٢/ ٧٨).

(٥) جاء هذا اللفظ حديثًا مرفوعًا، رواه الترمذي في سننه (٢٦٨٧) لكنه لا يصح. ولذا ضعفه الترمذي نفسه.

فرحِمَ الله هؤلاء العلماء الأجِلَّة! الذين ما اعتبروا الفارق العُمري مُباعِدًا لهم عن تَلَقِّي الفائدة. فكأنهم يقولون: هضم العلوم ليس بطيِّ السنين، ولكن بتذاكر العلم وتَلَقِّيه ممن يُلْقيه، والأعمال ليست بالأعمار، وإنما العمُر مجرد رقم!

ولذلك قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٢٣هـ): إن العلم ليس على حَداثة السن وقِدَمه، ولكن الله يضعه حيث يشاء[(١)].

وفي علوم الحديث مبحث لطيف طريف، عنوانه: «رواية الأكابِر عن الأصاغِر». ولذا قال العلماء: تجوز رواية الأكابر عن الأصاغر، والمقصود بالأكابر: إما الأكبر سِنًّا، أو قَدْرًا، أو أن يرويَ الشيخ عن صاحبه أو تلميذه.

وكن بالعلم ذا لَهَجٍ فإني ... أجزتُك واستجزْتُ بكل حيٍّ
فَتَرْفُل في حُلَى حُلَلٍ تَسامَى ... إليها كل حَبر ألمَعِيٍّ[(٢)]

وإليك ثلاثة عشر مثالًا بديعًا، لنوادر لطيفة، تندرج تحت هذا المبحث العجيب، إما كبير يروي عن صغير، أو فاضل عن مفضول، أو شيخ عن تلميذه، أو أبٍ عن ولده:

١- قصة الجسَّاسة! فقد رواها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تميم الداري[(٣)].

٢- من عجيب الأمثلة ما اجتمع فيه رواية الأبوين عن ولدهما، كرواية أم رُومان عن ابنتها عائشة لحديثين، ورواية أبي بكر الصديق عنها -أيضًا- لحديثين![(٤)] فرضي الله عن هذه الأسرة البكرية المباركة.

٣- قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت٦٨هـ): كنتُ أُقرِئُ رجالًا من المهاجرين، منهم عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .. رواه البخاري[(٥)]. وبعد حساب أعمارهما تبين أن التلميذ أكبر من شيخه بثمان وثلاثين سنة!

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٢٠).

(٢) رحلة العبدري (ص١٧٩).

(٣) المعين على تفهم الأربعين (ص١٦٩). وقد نقل ابن الملقن: أنه لا يُعرف أن الشارع روى عن صحابي غيرُ تميم. لكن الأعجب والأغرب من هذا أيضاً، أنهم عَدُّوا من هذا القَبيل، روايته ﷺ عن أمه، في حديثه عنها: أنها أخبرت بإضاءة قصور الشام وبُصرى عند ولادته! كما في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٥٦). انظر: مشيخة القزويني (ص٨٣).

(٤) المدبج ورواية الأقران (ص٣٥).

(٥) صحيح البخاري (٦٨٣٠).

٤- حَكيم بن حزام (ت٥٤هـ) كان يَقرأ على معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقيل له: تقرأ على هذا الغلام الخزرجي؟! فقال: إنما أهلكَنا التكبر[١].

وبعد حساب أعمارهما، تبيَّن أن التلميذ أكبر من شيخه بثمان وأربعين سنة!

٥- الصحابة العبادلة الأربعة [ابن مسعود وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كلهم رَوَوْا عن التابعي كعب الأحبار رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٤هـ).

٦- عمرو بن شعيب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١١٨هـ) يعتبر من طبقة تابعيّ التابعين، ومع ذلك فقد روى عنه قرابة أربعين تابعيًا[٢].

٧- قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٧٩هـ): قَلَّ رجل كنتُ أتعلم منه، ما مات حتى يجيئني ويستفتيَني[٣].

٨- فعلق اليافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٦٨هـ) على كلمة مالك قائلًا: قلتُ: وقد -والحمد لله- وقع لي ذلك! فبعض شيوخي الْتَمَسَ مني أن يقرأ عليَّ بعض العلوم، وبعضهم سألني عن بعض الأحكام الفقهية، وبعضهم رجع عن بعض ما أفتى به، لما وقف على ما أفتيتُ به، مخالِفًا لفُتياه[٤].

٩- من الطريف أن جماعة رَوَوْا شيئًا لغيرهم ثم نَسُوُه، فطلبوه عند تلاميذهم، فحدَّثوهم به، فانقلب التلميذ ههنا شيخًا، والشيخ تلميذًا، وحينئذ قال الواحد منهم في روايته: حدثني فلان عني[٥].
ولذا بوَّب الرامَهُرْمُزي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٦٠هـ): باب من قال: حدَّثَني فلان عن نفسي[٦].

١٠- حمدان بن عون الخَولاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٤٠هـ) قرأ على إسماعيل النحاس. قال حمدان: قرأتُ على ابن هلال ثلاث مئة ختمة، ثم أَتى بي إلى شيخي النحاس، فقال له: هذا تلميذي، وقد قرأ عليَّ وجوَّد، فخُذْ عليه. فأخذ عليَّ[٧].

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٦٣).
(٢) الخلاصة في معرفة الحديث (ص١١٦) ومفتاح السعيدية في شرح الألفية الحديثية (ص٣٥٨) والمنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (ص٧٧).
(٣) طبقات الفقهاء (ص٦٨).
(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان (١/ ٢٩٠).
(٥) مشيخة القزويني (ص٨٣).
(٦) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (ص٥١٤).
(٧) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٢٦٠).

١١- قال أبو طالب، عزيز الدين العلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٣٢هـ): لما ورد الفخر الرازي إلى مرو، وكان من جلالة القدر، وعظم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يراجَع في كلامه، ولا يتنفّس أحد بين يديه؛ لإعظامه على ما هو مشهور متعارف، دخلت إليه، وترددت للقراءة عليه، فقال لي يومًا: أحبّ أن تصنّف لي كتابًا لطيفًا في «أنساب الطالبيين»؛ لأنظر فيه، فلا أحبّ أن أموت جاهلًا به. فقلت له: أتريده مشجّرًا أم منثورًا؟ فقال: المشجر لا ينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئًا أحفظه. فقلت له: السمع والطاعة. ومضيت وصنّفت له الكتاب الذي سميته بـ«الفخري» وحملته وجئته به، فلما وقف عليه نزل عن طُرَّاحته، وجلس على الحصير، وقال لي: اجلس على هذه الطراحة. فأعظمتُ ذلك وهِبْتُه، فانتهرني نهرة عظيمة مزعجة! وزعق فيّ قائلًا: اجلس بحيث أقول لك! فتَداخَلَني -عَلِمَ الله- من هيبته ما لم أتمالك، إلا أن جلست حيث أمرني، ثم أخذ يقرأ عليّ ذلك الكتاب، وهو جالس بين يديّ، ويستفهمني عما يستغلق عليه، إلى أن أنهاه قراءة، فلما فرغ من قراءته. قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علم أنت أستاذي فيه، وأنا أستفيد منك وأتتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدي الأستاذ، ومن لا يَحترم من يَقرأ عليه لا يُفلح. فقمتُ من مقامي، وجلس هو في منصبه، ثم أخذت أقرأ عليه وأنا جالس، بحيث كان أوّلًا.

فعلق على هذه القصة الجميلة ياقوت الحموي قائلًا: وهذا لَعَمري! من حُسْن الأدب حَسَن، ولا سيّما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة[١].

١٢- الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٤٨هـ) ترجم في «معجمه المختص» لأقوام سمع منهم، ثم سمعوا منه، وقد أحصيتُ له في « معجمه» عشرة رجال ، وأما الذين ترجَم لهم وهم في عداد طلابه؛ فقد أحصيتُ في كتابه خمسة عشر رجلًا! حقًا؛ إنه الذهبي أغلى بهذه المثابة من الذهب![٢].

ومن لطائف تعبيرات الذهبي أنه حدَّث في «معجم شيوخه» عن شاب أصغرَ منه، وقال عَقِبَه بكل تجرُّد: أملاه عَلَيَّ ابن مظفر وهو أَمْرَد![٣].

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٢/ ٦٥٤) والدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي (ص٣٠٦).

(٢) انظرها بصفحاتها في المعجم المختص بالمحدثين (ص ١٤ و٩٢ و١٤٠ و١٤٧ و١٦٦ و١٦٨ و١٨٣ و٢١٧ و٢٢٦ و٢٤٥).

(٣) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/ ١٠٤).

١٣- كان الزين العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٦هـ) كثير الاعتماد في إملائه على «المسند المعتلي» لتلميذه ابن حجر[١].

أمثلة لمن كان شيخُه تلميذَه[٢]:

سأسرد أسماء علماء، صار شيوخهم تلاميذَهم، فكان كلاهما شيخًا للآخر. وإذا روى الشيخ عن تلميذه صَدَقَ أن كُلًا منهما يروي عن الآخر.

وهذا -كما مر- يدلُّ دلالة صادقة، على تجرد الشيخ في تحصيل العلم، وانتفاء التعالي، وأن العلم رحِمٌ بين أهله، ولا اعتبار بالأعمار، وكأن الشيخ يقول لتلميذه: لنتلذذ بالعلم، ولو كنتُ شيخك!

كما أن فيه ترغيبًا للصغير في الازدياد، إذا رأى الكبير يأخذ عنه، ولذا يُحكى عن بعضهم: أنه سمِع صبيًا في بعض مجالس العلم يذكر فائدة، فطلب القلم، وكَتبها منه[٣].

وإليك -فيما يلي- عشرين مثالًا، لشيوخ تتلمذوا على تلاميذهم:

١- عطاء على أبو الزبير المكي.

٢- عمر بن عبد العزيز على أبي سلمة.

٣- الأعمش على أبي إسحاق السَّبيعي.

٤- الزهري على الأوزاعي.

٥- قتادة على الأوزاعي.

٦- قتادة على أيوب السِّخْتياني.

٧- الدارَ قطني على الحاكم.

٨- الحاكم على ابن مَندة.

٩- الأخفش على سيبويه.

١٠- مالك على عبد الله بن إدريس.

---

(١) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٢/ ٦٧٢).

(٢) الأمثلة كثيرة. وقد أحصيتُ قرابة السبعين، فاخترتُ منها أشهَر الأسماء.

(٣) النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (٣/ ٦٦٧).

١١- ابن المبارك على عبد الرحمن بن مَهدي.

١٢- الفضيل على الثوري.

١٣- ابن عُيينة على ابن المَديني.

١٤- عبد الرزاق على ابن عيينة.

١٥- الشافعي على أحمد.

١٦- البخاري على الفِرَبْري.

١٧- أبو الوليد الباجي على الخطيب البغدادي.

١٨- الذهبي على العلائي.

١٩- الذهبي وابن كثير.

٢٠- ابن حجر وسِبْط ابن العَجَمي.

عشرة أمثلة لآباء يَرْوُون عن أولادهم[١]:

١- روى أبو بكر الصديق، عن ابنته عائشة حديثين -وقد مرَّ-.

٢- روت أم رومان، عن ابنتها عائشة حديثين -وقد مرَّ-.

٣- روى العباس بن عبد المطلب عن ابنه الفضل حديثًا، وعن ابنه عبد الله حديثًا.

٤- روى أنس بن مالك، عن ابنته أمينة حديثًا، وعن أخرى حديثًا.

٥- روى محمد بن سيرين، عن ابنته حديثًا.

٦- روى وائل بن داود، عن ابنه بكر ثمانية أحاديث.

٧- روى سليمان التيمي، عن ابنه المعتمر حديثين.

٨- روى أبو بكر بن عياش، عن ابنه إبراهيم حديثًا.

٩- روى الفضيل بن عياض، عن ابنه علي حديثين.

١٠- روى أبو داود السجستاني، عن ابنه أبي بكر عبد الله.



(١) تلقيح فهوم أهل الأثر (ص٥٢٠).



إحصائية لمن قرؤوا الكتب أو درَّسوا أو ألَّفوا في رمضان ويوم الجمعة

لا زال الإعجاب والعَجَب من هؤلاء العلماء لا ينقضي! فإنك تجدهم حتى في مواسم العبادات يقرؤون ويدرِّسون؟!

فإن قلتَ: أفي فواضل المواسم يفرِّطون؟! فأين عِلمهم الذي به يعملون؟!

فيقال: العلماء في هذا الباب على قسمين:

* فمنهم من يقول: رمضان إنما هو شهر القرآن، وعصر الجمعة ساعة إجابة، فلا يشتغل المرء عن هذين بسائر الأعمال الصالحة.

ومن القائلين بهذا الإمام ابن القيم، حيث يقول: والأفضل في العشر الأخير من رمضان، لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف، دون التصدي لمخالطة الناس، والاشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن(١).

وقد كانوا يوقفون دروسهم الرمضانية، برغم شغف طلابهم للحضور.

قال أبو الحسن الكرخي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٤٠هـ): كنت أَحضر مجلس أبي حازم يوم الجمعة بالغداة، من غير أن يكون درس؛ لئلا أنقُضَ عادتي من الحضور(٢).

* ومنهم من أظهرت لنا كتاباتهم أنهم مشتغلون بالتصنيف، وبالتدريس، وبالإقراء، حتى في بعض أعصر الجمعة، بل حين تتضيَّف الشمس فيها للغروب، وفي جملةٍ من نهارات رمضان، بل في العشر الأواخر منها. ونحسبهم -مع ذلك- أنهم غير مفرطين بالختمات والصدقات.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١١٠).

(٢) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه للعسكري (ص٧٨).

وروي عن الإمام مالك قولان؛ فروي عنه أن الصلاة في رمضان أفضل من مذاكرة العلم، وروي عنه أن العلم أفضل[١].

والعجيب أن القول الأول اشتهر عن مالك، ولم يشتهر الثاني.

وقد قيل للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٤١هـ): إن رجلًا يُقرئ في المسجد، ويريد أن يعتكف، لعله أن يختم في كل يوم؟ فقال: إذا فعل هذا كان لنفسه، وإذا قعد في المسجد كان له ولغيره، يقرئ أحب إليّ[٢].

وقد بوَّب الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٦٣هـ) في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»: يستحب للمحدِّث أن يجعل تحديثه في المسجد، وألا يُخلي يوم الجمعة من الإملاء في مسجد الجامع[٣].

ثم ألم يعلموا أن من هو أعلم وأحرى بالاتباع كان لا يُفِرُّ مما يفِرُّ منه الإمام مالك؟! كالبحر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وسيأتيك الآن خبره، وخبر فئام كثير ألَّفوا ودرَّسوا وأقرؤوا في رمضان، وعصر الجمعة، وبعد صلاتها.

فلا يثرَّب -إذًا- على من اشتغل بالعلم في هذين الوقتين، لكن يوجَّه ألا ينهمك في غالبهما، فضلًا أن يَستوعِب وقتهما، أو يكون ذلك دَيدَنًا له.

ويقال لمن اعترض: كما أن قراءة القرآن في رمضان عبادة؛ فإن تدريس العلم، وتأليف الكتب عبادة أيضًا. والتنوع في العبادات مطلب، والتدريس والتأليف داخلان تحت «الجود في رمضان».

وإنك ستلاحظ عبر النماذج اشتغالهم بالعلم في أزمان تعبدية، ولو كانت ضيقة، كعَقيب صلاة الجمعة، التي يسبقها نوافل وقرآن وخطبة، ومع ذلك لا يمَلُّون من العلم! وهذا الصنيع لا يكاد يفعله أحد في أزماننا؛ لانشغال أذهانهم، ولتعلقهم غالبًا بولائم ولقاءات عائلية.

---

(١) الذخيرة للقرافي (٢/ ٤٠٨).

(٢) الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٤٦٢).

(٣) الجامع (٢/ ٦٠).

ثلاثون نموذجًا لمن درَّسوا وأقرؤوا في رمضان، أو عصر الجمعة، أو بعد صلاتها

١- ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت٦٨هـ) كان يَغشَى الناس في رمضان، وهو أمير البصْرة، فما يَنقضي الشهر حتى يُفقِّهَهم، وكان إذا كان آخر ليلة وعَظَهم(١).

أرأيت كيف أنه يجمع بين علم ووعظ، ولا يفوِّت اهتبال الإقبال على القرآن والدعاء، برغم اشتغاله بمصالح المسلمين!. فيا أيها الدعاة السَّراة: لتأتَسوا بهذا الحَبر البحر وأضرابه!.

٢- حضر الناس مجلس أبي يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٥٨هـ) وهو يُملي حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد صلاة الجمعة بالجامع(٢).

٣- أبو سعد ابن الرئيس السلار منصور رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٧٤هـ) عُقد له مجلس الإملاء يوم الجمعة وقت العصر، ويُقرأ عليه بعد صلاة الجمعة من مسموعاته بعض الكتب(٣).

٤- ابن أميرويه الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٤٣هـ) كان العلماء يقرؤون عليه التفسير والحديث في شهر رمضان(٤).

٥- أبو المعالي عبد الكريم القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٥٦هـ) كان واعظًا بعد عصر الجمعة بجامع نيسابور(٥).

٦- أبو البقاء الدميري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٥٦هـ) كان يُذكِّر الناس بفنون العلم، يوم الجمعة بعد عصرها غالبًا(٦).

٧- ابن هراش التامقلتي رَحِمَهُ اللَّهُ (قبل ٥٦٣هـ) كان في شهر رمضان يقرأ «سنن أبي داود» في الجامع(٧).

٨- الشيخ أبو الخير القزويني الطالقاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٩٠هـ) يصلي بالناس التراويح في رمضان، ثم يشرع في تفسير القرآن من أوله. فإذا كانت ليلة الختم لم يزل يفسر سورةً سورةً، حتى يطلع الفجر(٨).

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٣/ ٢٠٥).
(٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٠).
(٣) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور (ص٣٤٤).
(٤) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (ص١٠٠٨).
(٥) المصدر السابق (ص١١٠٨).
(٦) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠/ ٦١).
(٧) معجم السفر (ص١٦١).
(٨) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ١٠).

٩- عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٠٠هـ) كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة بجامع دمشق، فيجتمع الناس إليه[١].

١٠- أحمد بن عبد الدائم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٦٨هـ) كان يتكلم على الناس من حفظه، من بعد صلاة الجمعة إلى العصر[٢].

١١- ابن شرف الصالحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٢٨هـ) كان يتكلم على الناس بعد صلاة الجمعة إلى العصر من حفظه[٣].

١٢- ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٢٨هـ) كان يتكلم في جوامع مصر على المنابر، بتفسير القرآن وغيره، من بعد صلاة الجمعة إلى العصر، ويجتمع خلق كثير[٤].

١٣- عفيف الدين النشاوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٧٨٥هـ) قال عنه ابن حجر: هو أول شيخ أعرف أنني سمعت عليه الحديث، وذلك في شهر رمضان سنة ٧٨٥هـ، وأنا مجاور مع بعض أهلي، وصليت في تلك السنة بالناس التراويح[٥]. أي أن ابن حجر عمره ثنتا عشرة سنة!

١٤- محمد بن مكتوم السويدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٩٧هـ) كان يقرأ «البخاري» في رمضان بعد الظهر[٦].

١٥- أبو البقاء الدَّميري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٨هـ) تكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم، وله درس بالجامع بعد عصر الجمعة غالبًا[٧].

١٦- علي بن مسعود الفراء الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٠هـ) أقرأ «صحيح مسلم» في رمضان بالجامع الأموي[٨].

١٧- بدر الدين محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٦٩هـ) أكبر أولاد ابن حجر، سمع على والده كثيرًا من الكتب الكبار في رمضان[٩].

---

(١) البداية والنهاية ط هجر (١٦/ ٧٣٣).
(٢) الرد الوافر (ص١٣٥).
(٣) البداية والنهاية ط هجر (١٨/ ٣٠٥).
(٤) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص٢٨٣).
(٥) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٣/ ٨٥).
(٦) إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٥٠٢).
(٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠/ ٥٩).
(٨) المصدر السابق (٦/ ٣٩).
(٩) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٣/ ١٢٢٠).

١٨- القاضي شهاب الدين اللُّدي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٨٠هـ) كان يختم «صحيح البخاري» في رمضان بالجامع الأقصى، وختمه مرة بالأقصى في أواخر شهر رمضان .. وكان بالمجلس رجل، فأخذته سِنة من النوم وقت الختم، فرأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو حاضر في المجلس، فاستيقظ الرجل، وقَصَّ الرؤيا على من حضر -وكان مجلسًا حافلًا- فحصل للقاضي اللدي السرور بذلك، وبكى هو ومن حضر[١].

١٩- في رمضان سنة ٩٠٠هـ خُتم «مسند الشافعي»، بجامع نخلة بدمشق[٢].

٢٠- بركات بن سبط الأذرعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٩٠٢هـ) كان يختم «البخاري» بالجامع الأموي كل سابع عشر شهر رمضان، ويُسمِعه الناس كل سنة[٣].

٢١- أبو القاسم بن علي الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٥٠هـ) له إقراء سنوي رمضاني في «صحيح البخاري».

٢٢- عفيف الدين حسين الكيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٥٣هـ) له حلقة في الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة[٤].

٢٣- حسن بن المزلق الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٦٥هـ) كان يختم في رمضان كل سنة «صحيح البخاري» حفظًا[٥].

٢٤- ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٧٣هـ) له كتاب «الصواعق المحرقة على أهل الرفض والزندقة». يقول: سُئلت في إقرائه، في رمضان، بالمسجد الحرام؛ لكثرة الشيعة والرافضة؛ فأَجبتُ[٦].

٢٥- أبو الضياء الغيثي المقصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٧٥هـ) يُقرأ عليه «صحيح البخاري» في شهر رجب وشعبان ورمضان، ويكون ختمه صبح اليوم التاسع والعشرين من رمضان[٧].

٢٦- السلطان الناصر ابن السلطان الغالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٠٤هـ) كان في شهر رمضان يختم «صحيح البخاري» مع القاضي وأعيان الفقهاء، مجزأة على خمسة وثلاثين سِفرًا، في كل يوم سِفرٌ

---

(١) الأنس الجليل (٢/ ١٩٦).
(٢) تاريخ البصروي (ص١٦١).
(٣) المصدر السابق (ص٢١٤).
(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٤٢٤).
(٥) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٢/ ١٣٧).
(٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٠٨٣).
(٧) النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص٢٧٣).

إلا يوم العيد وتاليه، فإذا كان يوم سابع العيد ختم فيه «صحيح البخاري»، وتهيأ له السلطان أحسن تهيؤ .. ولا يزالون في المذاكرة، فإذا تعالَى النهار ختم المجلس[١].

٢٧- الشيخ أحمد المَقَّرِيُّ التلمسانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٠٤١هـ) أنهى إملاء «صحيح البخاري» في سابع عشري رمضان[٢].

٢٨- المحدث المغربي ابن ناصر الدرعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١١٢٩هـ) كان في رمضان يسرد «البخاري»[٣].

٢٩- الشيخ عبد الله الكزبري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٢٦٥هـ) يقرأ على الناس «صحيح البخاري»، في شهر رجب وشعبان ورمضان، وذلك كل يوم بعد العصر[٤].

٣٠- عم الشيخ حماد الأنصاري، الملقب بالبحر رَحِمَهُمَا اللَّهُ يحفظ «صحيح البخاري» بالأسانيد، وكان هو القارئ في «البخاري» في أيام رمضان، حيث إن العادة في البلاد أنهم يُجزِّئونه الى ثلاثين جزءًا، يقرؤون كل يوم جزءًا منه[٥].

قائمة بخمسين ممن أَلَّفوا في رمضان، أو عصر الجمعة، أو بعد صلاتها:

وكما أنهم يُدرِّسون في مواسم العبادات، فكذلك شأنهم في التأليفات. فهم مع العلم، حيث دارَ يَدُورون.

ولعل أحدهم يَشرع في تأليف كتاب في الأشهر السابقة لرمضان، فيدْلُف عليه رمضان، وتتالَى الجمُعات، فيَصِلُ الأسابيع بالشهور في رمضان وما بعده؛ من شدة لَذَّته بالعلم ونَهْمته.

فإلى النماذج العجيبة، لمؤلفات فُرغ منها في رمضان، أو عصر الجمعة، أو بعد صلاتها:

١- مناقب أبي حنيفة - الصيمري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٣٦هـ) فَرغ منه في رمضان.

٢- المستقصى في الأمثال - الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٣٨هـ) فَرغ من تأليفه في رمضان.

٣- الإلهام الصادر عن الإنعام الوافر (في الأدعية) لأحمد بن علي القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٣٦هـ) ألَّفه في رمضان.

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٥/ ١٥٤).
(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (١/ ٥).
(٣) فهرس الفهارس (٢/ ٦٧٩).
(٤) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٠٠٤).
(٥) المجموع في ترجمة الشيخ حماد الأنصاري (٢/ ٦٢٦). ولم أظفر بترجمة لهذا البحر!.

٤- مختار الصحاح في اللغة للرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٦٠هـ) فَرغ منه أول رمضان.

٥- الفوائد المظفرية في حل عقائد تكملة الشاطبية - المحلي الضرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٧٢هـ) قال: أتممْتُه في رمضان.

٦- رياض الصالحين. قال مؤلفه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٧٦هـ): فرغتُ منه رابع عشر شهر رمضان، سنة سبعين وست مئة[١]. وقد كان عمره آنذاك تسع وثلاثون سنة.

٧- الدرة المضية في الرد على ابن تيمية في مسألة تعليق الطلاق باليمين، لابن الزملكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٢٧هـ) فَرغ منه في رمضان.

٨- وصف الاهتدا في الوقف والابتدا -برهان الدين الجعبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٣٢هـ) تم تصنيفه في رمضان.

٩- شرح ملحة الإعراب في النحو - أبو المحاسن عبد الله بن عبد الحق رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٧٣٥هـ) فرغ من تأليفه في رمضان.

١٠- تفسير الخازن رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٤١هـ) - فَرغ منه في رمضان.

١١- نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم- الصفدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٦٤هـ) قال: تم تأليفه في رمضان.

١٢- الهداية إلى أوهام الكفاية للإسنوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٧٢هـ) بُيِّض وقُوبل في الخامس والعشرين من رمضان.

١٣- النجم الثاقب في أشرف المناقب - ابن حبيب الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٧٩هـ) ألَّفه في رمضان.

١٤- شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان أكمل الدين البابرتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٨٦هـ) فرغ منه في رمضان.

١٥- المعين على تفهم الأربعين لابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٤هـ) فرغ من تسويده سابع عشر رمضان.

١٦- «تحفة المحتاج» لابن الملقن -أيضًا-: بدأه في رجب، وأنهاه في السابع عشرين من رمضان.

١٧- القراءات الشاذة - ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٣٣هـ) أتمَّه في رمضان.

---

(١) رياض الصالحين ط الرسالة (ص٥٢٧).

١٨- مفتاح الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، للجزري. فرغ منه في رمضان بعد أربعين سنة من تأليفه للحصن الحصين.

١٩- عجالة يوم في عشرين علمًا، للفناري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٣٤هـ) فرغ منه في رمضان.

٢٠- كفاية الناسك في المناسك - الوانوغي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٣٨هـ) فرغ منه في رمضان.

٢١- شرح الأسماء الحسنى، لعبد الرحمن البسطامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٨هـ) شرحها في رمضان.

٢٢- مشتمل الأحكام في الفتاوى الحنفية، للشيخ فخر الدين الرومي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٦٤هـ) وقال في آخره: وقع الفراغ من ترتيبه في وقت الضحى من يوم الجمعة.

٢٣- التقرير والتحبير شرح التحرير، في أصول الفقه لابن أمير الحاج الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٧٩هـ) فرغ في رمضان.

٢٤- رسالة التيسير في علم التفسير للكافيجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٧٩هـ) فرغ منها في رمضان.

٢٥- اللباب في علوم الكتاب في تفسير القرآن، لابن عادل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٨٠هـ) فرغ من تأليفه في رمضان، وذلك قبل وفاته بسنة واحدة.

٢٦- زهر الربيع في شواهد البديع ، لابن قرقماش رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٨٣هـ) فرغ منه في رمضان.

٢٧- رسالة في الولاء، لملا خسرو رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٨٥هـ) فَرَغ منها في رمضان.

٢٨- بهجة المحافل، في السير والمعجزات والشمائل - يحيى العامري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٩٣هـ) فرغ من تأليفه في رمضان.

٢٩- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٠٢هـ). أنهاه في الخامس والعشرين من رمضان.

٣٠- ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد، للسخاوي -أيضًا- ألّفه في رمضان.

٣١- القول البديع في الصلاة على الشفيع، للسخاوي كذلك، فرغ من تأليفه في أواخر رمضان.

٣٢- تمرين الطلاب في صناعة الإعراب، لخالد الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٠٥هـ) فرغ منه في رمضان.

٣٣- جوامع التبيان في التفسير للإيجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٠٥هـ) اختتمه منتصف العشر الأواخر.

٣٤- فيض المولى الكريم على عبده إبراهيم - إبراهيم الكركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٢٢هـ) فرغ منه في رمضان.

٣٥- شرح عقائد النسفي - ابن الغرس الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٣٢هـ) فرغ منه في رمضان.

٣٦- معونة القاري لصحيح البخاري - للمنوفي الشَّاذِلِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٣٩هـ) فرغ منه في رمضان.

٣٧- تمييز الطيب من الخبيث - لابن الدِّيْبَع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٤٤هـ) أنهاه في أربعة أيام من رمضان.

٣٨- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لطاشكبري زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٦٨هـ) تم تأليفه في رمضان.

٣٩- ملخص فتح المغيث للسخاوي، لأمير بادشاه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٩٧٢هـ) فَرَغ منه بمكة في رمضان.

٤٠- أشرف الوسائل في شرح الشمائل، للهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٧٣هـ) ألَّفه في رمضان وبحرم مكة.

٤١- الصلاة على شفيع العصاة (مجهول) جَمعه مؤلفه عام ٩٩١هـ، معتكِفًا في شهر رمضان.

٤٢- غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى، لمرعي الكرمي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٣٣هـ) تم تبييضه عقب صلاة الجمعة بالأزهر، ثامن عشر رمضان.

٤٣- الحكم المندرجة في شرح القصيدة المنفرجة، للأنقروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٤٢هـ) فرغ منه في رمضان.

٤٤- إدراك الحقيقة في تخريج أحاديث الطريقة -إمام بيرام باشا رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ١٠٥٨هـ) فرغ من تأليفه في رمضان.

٤٥- الآداب الباقية شرح الشريفية في فن المناظرة - عبد الباقي الجونبوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٨٢هـ) صنفه في رمضان.

٤٦- مختصر الإفادات في الفقه لابن بلبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٨٣هـ) ختمه عصر الجمعة وفي رمضان.

٤٧- «منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد» للشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمَّر النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٤٤هـ) انتقاه مدة إقامته في البحرين. وفي آخره ما نصه: كان الفراغ من انتقائه يوم الجمعة، سادس ربيع الأول سنة ألف ومئتين وأربع وستين[١].

٤٨- محمد بن علي السلوم النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٤٦هـ) قال في ختام كتابه: «الفواكه الشهية في حل المنظومة المسماة بالقلائد البرهانية»: وقع الفراغ من جَمعه يوم الجمعة، سابع أو ثامن محرم، سنة ألف ومئتين وثلاث عشرة هجرية[٢].

---

(١) كشف النقاب عن مؤلفات الأصحاب (ص٢٥٧).

(٢) المصدر السابق (ص١٦٨).

٤٩- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، للقاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٣٢هـ) كان تبييضه ليلة العشر الأخير من رمضان.

٥٠- توفيق الرحمن في دروس القرآن، للشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٧٦هـ) أتمَّه في يوم الجمعة.

محصَّلة الاستعراض

بعد استعراض ثمانين نموذجًا من الدروس والمؤلفات الرمضانية والجُمُعية، نَخلُص إلى ما يلي:

١- أن الاشتغال بالعلم زمن العبادات لا تثريب فيه، ولا مَلام على مواتيه، ما لم يُشغِلْه عن القرآن، والجمع بين العبادة والعلم في آنٍ واحد هو عين الكمال.

٢- كما أن انهماكهم في تلك الأوقات الشريفة، دليل واضح على تلَذُّذِهم بالعلم:

فَلَو قد ذُقتَ من حَلواه طعمًا ... لآثرْتَ التَّعَلُّم واجتهدتا[1]



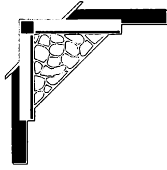
اكتشف العناوين الأربعة المختفية من أسماء الكتب، ومؤلفيها:

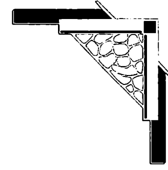
لك الله من خِل حباني برقعةٍ ... حبَتْنيَ من آياته بالنوادرِ

رسالة رمز في الجمال نهايةٌ ... ذخيرة نظم أُتحِفتُ بالجواهرِ

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس (٥/ ٥٣٦)

(١) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقِتِهم السخيف للوصابي (ص١٧٦).





عجائب وأسرار في أحوال المؤلفين وأوقات وأماكن تأليفاتهم

هذا المبحث ممتع ومتشعِّب، أمّا أنه ممتع؛ فلأنه أشبه مايكون بالمقبِّلات، التي يقدمها نادل المطعم؛ لتكون فاتحة شهية للأطعمة الألذ.

وأما كونه متشعبًا؛ فلهذا سأُقَسِّمْه إلى أربعة أقسام:

أ- عجائب ولطائف في أحوالهم في مؤلفاتهم:

١- كثير من مؤلفاتهم لها حكاية وسبب:

المازِري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٣٦هـ) صاحب «المُعْلِم بفوائد مسلم» فقد ألَّف كتاب «كشف الغطاء عن لمس الخطأ» وسبب تأليفه: أنه سئل عمَّن وقعت يده على ساق ابنته، وهو يظنها زوجتَه، ففارَق الزوجةَ أُمَ البنت، ورأى أنها حَرُمتْ عليه بهذا القَدر. ثم أخذ المازري يناقش المسألة، مصحِّحًا قول من يقول: بعدم التحريم(١).

٢- اختيار عنوان للكتاب يشغل بالَهم:

قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٨٦هـ) شارح «البخاري»: وكنت زمان مجاورتي بمكة المشرَّفة، مكملًا لهذا الشرح فيها، إذا عانقت الملتزم المبارك .. [أدعو] أن يتقبله الله -تعالى- مني أحسن التقبُّلات .. ولا زلت متفكرًا في تسميته، إذ كنت في بعض الليالي في المطاف، بعد فراغي من الطواف، فألهمني مُلْهِم بأنه هو «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» فسميته به(٢).

---

(١) شرح التلقين (١/ ٧٧).

(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١/ ٦).

٣- يُعجِبون ويُوعِبون:

«حياة الحيوان» للدَميري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٨هـ) قال في أوله: هذا كتاب؛ لم يسألني أحد تصنيفه، وإنما دعاني إلى ذلك، أنه وقع في بعض الدروس ذِكْر مالك الحزين .. فاستخرتُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في وضعه. وذكر أنه: جَمَعَه من خمس مئة وستين كتابًا، ومئة وتسعة وتسعين ديوانًا، من دواوين شعراء العرب[(١)].

٤- يدربون ذرياتهم على العلم؛ ليُذيقوهم من حُلواه طعمًا:

السفَّاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١١٨٨هـ) ألَّف كتابه «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» وكان عمره تسعًا وعشرين سنة، والذي كتبه -فيما بعد- حفيده سعيد السفاريني[(٢)].

٥- يُعِيدون ويُبدئون في مراجعة مؤلفاتهم:

«فتح القدير» للشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٥٠هـ) كان الفراغ منه سنة (١٢٢٩هـ). وتم سماعًا على مؤلفه بعد ثِنتي عشرة سنة (١٢٤١هـ). وقد كتبه أخوه يحيى بن علي الشوكاني[(٣)].

٦- حتى في شدة الخوف لا يَدَعون العلم:

«مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى» لمصطفى السيوطي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٤٣هـ) يقول في آخره: فرغت من تسويده عقب صلاة الجمعة، بالجامع الأزهر من مصر القاهرة -خلصها الله من أيدي طائفة الفرنساوية الكافرة- فقد استولوا عليها قبل هذا العام، وصيَّروها دار حرب[(٤)].

٧- في العلم سلوة عن الكروب والحروب:

«تخريج الطحاوية» للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢٠هـ) جهَّزها للطباعة الشيخ زهير الشاويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٣٤هـ) وذلك سنة ١٣٩٥ ولكن تعذر إتمامها؛ بسبب حوادث لبنان الأليمة، حتى أواخر سنة ١٣٩٦هـ[(٥)].

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ٦٩٦).

(٢) البحور الزاخرة في علوم الآخرة للسفاريني الحنبلي (٣/ ١٦١٠).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٤٤).

(٤) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٦/ ٧٠٦).

(٥) تخريج الطحاوية (ص٨٨).

ب- عجائب ولطائف في أوقات بعض التأليفات

١- الحافظ المزي رحمه الله (ت٧٤٢هـ) انتهى من «تهذيب الكمال» في عيد الأضحى سنة (٧١٢هـ)(١).

حتى في العيد علم وتأليف!

٢- «التمهيد في علم التجويد» قال مؤلفه ابن الجزري رحمه الله (ت٨٣٣هـ): فرغت من تحريره آخر ثلث ساعة مضت من [نزوله] -تعالى-(٢).

أرأيت كيف يَجمعون بين العلم والعبادة؟!

٣- قال ابن حجر رحمه الله (ت٨٥٢هـ) في ختام «تهذيب التهذيب»: فرغتُ منه يوم النحر(٣).

٤- قال السيوطي رحمه الله (ت٩١١هـ): فرغت من تبييض «الدر المنثور» يوم عيد الفطر سنة ٨٩٨هـ(٤).

عجبًا: حتى في الأعياد يعيِّدون، وللعلم يعودون!

٥- الشيخ عبد الله عبادي اللَّحْجي رحمه الله (ت١٤١٠هـ) المدرس بالمسجد الحرام: استغرق خمسًا وعشرين سنة في تأليف كتابه «منتهى السُّوْل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم» ثم فرغ منه في الخامس عشر من شهر محرم، سنة ١٤٠٠هـ، بمكة المكرمة -جعلها الله آمنة مطمئنة رَخِيَّة، وسائر بلاد المسلمين-(٥).

أي بعد يوم من انتهاء أحداث جهيمان الإجرامية! حقًا؛ فالاشتغال بالعلم يهدئ النفوس المضطرِبة، وينأى بها عن الفتن الملتهِبة.

٦- «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» لمؤلفه كاتب جلبي رحمه الله (ت١٠٦٧هـ) انتهى من تأليفه في ليلة القدر سنة ١٠٥٣هـ(٦).

---

(١) مقدمة تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١/ ٧٧).

(٢) التمهيد في علم التجويد (ص٢٢٤).

(٣) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٩٣).

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١٥/ ٨٢٤).

(٥) منتهى السُّول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ((٤/ ٥٣٠).

(٦) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٥/ ٤١٧). والجزم بأنها ليلة القدر فيه نظر! لكن لعله قالها لأجل الاستفاضة لدى عموم المسلمين أنها ليلة سبع وعشرين.

٧- المقَّري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٠٤١هـ) فرغ من كتابه: «نفح الطيب» عشية ليلة السابع والعشرين لرمضان، بالقاهرة المحروسة(١).

وفي رمضان تَرْمَض قلوبهم للعلم!

٨- وُجد مكتوبًا على مسودة «وفيات الأعيان» لابن خَلكان رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٨١هـ): وكان الفراغ منه يوم الجمعة، بعد الصلاة(٢).

٩- برهان الدين ابن حمزة الحسيني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١١٢٠هـ) له كتاب «البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف» وقد فرغ من تحريره وتأليفه وقت السحر، وذلك قبل وفاته بسَنة واحدة(٣).

الخلاصة المستفادة: أرأيتَ كيف يتعبَّدون الله بعبادة العلم طيلة حياتهم، وحتى في أشرف مواسم العبادة، بل وفي الهرج والمرج؟!

ت- عجائب ولطائف في أماكن بعض التأليفات

١- الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٣٨هـ) بعد تمام كتابه الشهير « الكشاف» ابتهلَ إلى الله، وتذلَّل بكلام مؤثر، فقال: .. وأسأله مستشفِعًا إليه بنُوره، الذي هو الشَّيبة في الإسلام، متوسلًا بالتوبة الممحِّصة للآثام، وبما عُنيت به من مهاجرتي إليه ومجاورتي، ومرابطتي بمكة ومصابرتي، على تواكُل من القُوى، وتخاذُل من الخُطا .. حتى وقع التأويل، حيث وجد التنزيل: أن يهَبَ لي خاتمة الخير، ويقيَني مصارع السوء، ويتجاوز عن فَرَطاتي يوم التناد(٤).

٢- «تهذيب سنن أبي داود» لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٥١هـ) مكث في تأليفه أربعة أشهر فقط، وكان الفراغ منه في الحِجْر تحت الميزاب(٥). وكان عُمُر ابن القيم -حينئذ- إحدى وأربعين سنة، وفي مكان يخلو فيه الذهن والقلب، عن مشاغل الفتيا والتدريس، وتزاحُم الطلاب!

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس (٧/ ٥١٩).
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٢).
(٣) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (٢/ ٣١٠).
(٤) تفسير الزمخشري = الكشاف (٤/ ٨٢٥).
(٥) تهذيب السنن لابن القيم (٤/ ٥١٩).

٣- ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٩٧٤هـ) فرغ من كتابه «المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية» بمنزله بمكة المشرفة، القريب من سوق الليل، وكان عُمُره -آنذاك- خمسًا وثلاثين سنة[١].

٤- الرعيني البيري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٧٩هـ) قال عن كتابه «تحفة الأقران»: وقد وقع الفراغ من تأليفه بشاطئ الفرات، بجامع البيرة المحروسة[٢].

٥- البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٨٥هـ) فرغ من كتابه «مصاعد النظر» مترددًا بين منزله ومسجده[٣]. ويُفهم منه أنه انشغل بتأليفه في المسجد حينًا، وبالمنزل حينًا أخرى.

٦- ابن عابدين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٢٥٢هـ) ابتدأ تبييض «حاشيته على الدر المختار» للحصفكي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٠٨٨هـ) وكان تجاه قبر الحصفكي، ثم ختمه تجاه قبره أيضًا. ولذا قال مؤلفه ناظمًا:

فتقبَّلُني مع ماتنٍ وأساتذٍ ... وتحشرنا جَمعًا مع المصطفى أحمدِ[٤]

٧- قال الشيخ المحقق نظام يعقوبي -حفظه الله تعالى-: فرغتُ من تبييض تحقيق «القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة» ومقابلته في طائرة الخطوط الجوية البريطانية، في رحلة العودة من لندن إلى البحرين، عام ١٤٢٢هـ[٥].

ث- لطائف وطرائف وغرائب عناوين مؤلفاتهم

مما يحتار فيه المؤلف ويُشغِل بالَه: البحث عن صياغة عنوان مناسب للكتاب، وقد يبذل لأجله مالًا. وإني لأعرف أحد المؤلفين الأسخياء في سبيل العلم، قد بذَل ألف دولار، لمن يَعثر له على عنوان جذاب لكتابهِ، الذي تعِب فيه سنوات.

وهذه الحَيرة عند اختيار العنوان، تدل على مزيد حرصهم، على الترغيب بكتبهم، وإضفاء الأساليب الجاذبة لاقتنائها، فكما تعِبوا في جمعها؛ فكذلك تعِبوا في صياغة عناوينها.

---

(١) المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية (ص٣١٣). والعجيب أن مسمى «سوق الليل» استمر بهذا الاسم حتى عام ١٤٣٠هـ، بعد أن هُدِم مؤخرًا بالتوسعة السعودية الثالثة المباركة.

(٢) تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن (ص١٩٦).

(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٣/ ٣١٧).

(٤) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٦/ ٨١٤). فأما المكوث عند القبور لغير الزيارة والدعاء لأهلها؛ فهو بدعة.

(٥) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ص٤٦).

وإليك الآن طائفة من لطائف وطرائف وغرائب عَنْوَنة الكتب:

١- من لطائف العناوين تلك العناوين الطويلة، التي تبلغ سطرين فأكثر. ولكن العلماء والأجيال المتعاقبة يختصرون تسميتها تخفيفًا. ومن أمثلة العناوين الطويلة:

* كتاب «الضعفاء» للعقيلي رحمه الله (ت٣٢٣هـ) والعنوان الكامل طويل، مكون من ٣٥ كلمة! وهو: الضعفاء، ومن نُسب إلى الكذب، ووضع الحديث، ومن غلب على حديثه الوهم، ومن يُتهم في بعض حديثه، ومجهول روَى ما لا يُتابَع عليه، وصاحب بدعة يغلو فيها، ويدعو إليها، وإن كانت حاله في الحديث مستقيمة.

* «صحيح البخاري» اسمه -كما سماه مصنفه-: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُنَنِه وأيامِه.

* «صحيح ابن خزيمة». فقد سمَّى كتابه في موضعين، فقال: مختصر المختصر من المسند الصحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنقل العدل عن العدل، موصولًا إليه صلى الله عليه وسلم من غير قطع في أثناء الإسناد، ولا جرح في ناقلي الأخبار[(١)].

* «مقدمة ابن خلدون». واسمها الكامل: العِبَر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصَرَهم من ذوي السلطان الأكبر.

* كتاب ابن عساكر «تاريخ دمشق». واسمه الكامل: تاريخ مدينة دمشق -حماها الله- وذكر فضائلها وتسمية من حلّها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها، من وارِد بها وأهلها.

* لابن تيمية «تفسير آيات أشكلت». واسمه الكامل هو: تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب، بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ!.

٢- من طرائف عناوين الكتب: المتن الحنفي المشهور بـ: «أصول الشاشي» له اسم آخر، سمَّاه به مصنِّفه رحمه الله (ت٣٤٤هـ) بِاسم: «الخمسين» لأنه حين صنَّفه، كان قد بلغ الخمسين سنة![(٢)].

(١) صحيح ابن خزيمة (١/ ٣) و(٣/ ١٨٦).
(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص٢٤٤).

٣- ومن غرائب العناوين العجيبة، هذهِ الكَوْمة من العناوين:

* الوَدِيك في فضل الديك.
* الإفصاح في أسماء النكاح.
* اليواقيت الثمينة في صفات السمينة. ثلاثتها للسيوطي.
* الكاوي لدماغ السخاوي للسيوطي.
* ورد عليه السخاوي بـ: الهاوي على الكاوي -عفا الله عنهما ورحمهما-.
* القاموس المحيط، والقابوس الوسيط، الجامع لما ذهب من لغة العرب شماطيط، للفيروزآبادي.
* البرصان والعرجان والعميان والحُولان، للجاحظ.
* نَكْث الهِمْيان في نُكَت العِميان، للصفدي.
* بيضة الفرخة: د. نجيب المقدسي.
* بيضة الديك للصيداوي.
* مذكرات قطة لمحمد نجيب اللبدي.
* قضِّ نهارك بأخبار ابن المبارك للذهبي.
* القَرَعْبَلانة في فن التصريف د. عبد العزيز بن علي الحربي.
* كشف الحال في وصف الخال للصفدي.
* رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس لابن كرامة الجشمي.
* تنوير الغبش في فضل السودان والحبش لابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)
* فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب لابن بسام (المتوفى: ٣٠٩هـ)

٤- «ألف با في المحاضرات» لابن الشيخ البلوي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٠٤هـ) مجلد ضخم، جمعه لابنه الطفل: عبد الرحيم. ولكن الابن لم يقرأه إلا بعد موت أبيه؛ لصغره. وهو تأليف غريب، لكن فيه فوائد كثيرة. ومن نظمه في أوله:

هـــذا كـــتـــاب ألـــف بـــا صـــنـــفـــتـــه يـــا أَلِـــبَّـــا
مـــن أجـــل نَـــجْـــلـــيَ الـــمـــرجَّـــى إذا شـــدا أن يـــلـــبَّـــى

وأنت عبد الرحيم ابـ ـني الطفل الصغير المربَّى
إذا عقلت فقل قد رضيت بالله ربَّا[١]

٥- علاء الدين مُغَلْطاي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٦٢هـ) له «الواضح المبين في ذكر من استُشهد من المحبين» أي عشاق النساء والمردان! فحصل له بسبب الكتاب محنة، واعتُقل، ومُنع أهل سوق الكتب من بيعه، وشَمَتَتْ به جماعة من أقرانه[٢].

٦- الشاعر شعبان الآثاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٢٨هـ) عمل أرجوزة في النحو، وسماها «الحلاوة السكرية»[٣].

٧- الوزير جمال الدين ابن القفطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٤٦هـ) له كتابان عجيبان: الأول «من ألْوَت الأيام عليه فرفعته، ثم ألْوَت عليه فوضعته» والثاني «نُهْزة الخاطر ونُزهة الناظر في أحاسن ما نُقل من ظهور الكتب»[٤].

٨- كتاب لابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٢هـ) وهو «تحفة المستريض بمسألة التحميض» وهو في طرق أحاديث النهي عن إتيان النساء في أدبارهن[٥]. والتحميض في عصرنا غير ما يقصد المؤلف!

٩- «الدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم» للمفسر أبي زيد الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٧٦هـ)[٦].

١٠- البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٨٥هـ) كتابه الشهير اسمه: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» وقد أطلق هو عليه اسمًا آخر، وهو «كتاب لمَّا» لأجل كثرة تكرار كلمة (لما) في الكتاب[٧].

١١- يوسف ابن عبد الهادي ابن المِبْرَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٠٩هـ) له اختيارات غريبة لمضامين وعناوين كتبه، ومنها: الكمال في أدوية الصدر والسعال - لقط السنبل في أخبار البلبل [زوجته] - بيان فضيلة شهر نيسان[٨].

---

(١) السابق (١/ ١٥٠).
(٢) لسان الميزان ت أبي غدة (٨/ ١٢٥) ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (ص٩٤).
(٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٣/ ٣٠٣).
(٤) الوافي بالوفيات (٢٢/ ٢١١).
(٥) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٢/ ٦٩٢).
(٦) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص٥٠٨).
(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٤٤٦).
(٨) انظر تحقيق كتاب: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ٦٤) والعجيب جدًا أن ابن المِبرَد قد بلغت مؤلفاته ٦٣٤ -كما ذكر المحقق- والأعجب أنه لم يُطبع منها إلا ثمانية عشر كتابًا فقط!.

١٢- السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩١١هـ) قد يسمي كتابه باسْمَينِ اثنين، ويعطي القارئ حرية الاختيار، كقوله: فإن شئتَ فسَمِّه: «عقود الزبرجد على مسند أحمد» وإن شئت فقل: «عقود الزبرجد في إعراب الحديث» ولا تتقيدّ[(١)].

١٣- رسالة في «الكرة المدحرجة» لابن المؤيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٢٢هـ) وقد جمع فيها غرائب من الكتب. وفيها كُتب لم يسمع بها أحد من أبناء الزمان، فضلًا عن الاطلاع عليها[(٢)].

١٤- الشماع الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٣٦هـ) سَمّى كتابًا له بخمسة عناوين، وهن: «تحرير المقال، في ضبط ما وقع لجامعه في الإقامة أو الارتحال» أو «الفوائد الدرر، فيما وقع له في السفر والحضر» أو «ملء العَيبة، فيما وقع في الإقامة والوجهة» أو «زبدة الخبر فيما وقع في الإقامة والسفر» أو «عيون الأخبار، فيما وقع لجامعه في الأوقات والأسفار». ثم قال: وقد سنح لي اختيار الأخير[(٣)].

١٥- ابن نجيم المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٧٠هـ) شرَحَ «منار الأنوار في أصول الفقه» للنسفي، وقال: وقع الفراغ من تأليف هذا الشرح، المسمى أولًا بـ «تعليق الأنوار على أصول المنار» وهو الذي استقر عليه اسمه، بإشارة بعض العلماء بـ «فتح الغفار». وكانت مدة تأليفه خمسة أشهر[(٤)].

١٦- كتاب «عون الباري؛ لحل أدلة البخاري»، للعلامة صديق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٠٧هـ) ألَّفه؛ لأجل ابنه الصغير الطاهر. ومن عجائب اللطائف أن عنوانه يدل بالأبجدي على تاريخ تأليفه: ١٢٩٩هـ[(٥)].

ج- عجائب ولطائف المضامين:

١- مسائل «المدوّنة» للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٧٩هـ) فيها ستة وثلاثون ألف مسألة[(٦)].

---

(١) عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد في إعراب الحديث (٦٣ - ٦٤/ ١٧٧).

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ٨٨٦).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١١٨٤).

(٤) المصدر السابق (٢/ ١٨٢٣).

(٥) السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج (١١/ ٨٤٣) وهذا الكتاب كسابقه، عنوانه يدل بالأبجدي على تاريخ تأليفه١٣٢٢هـ.

(٦) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٣/ ٣٦٧).

٢- محمد بن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٨٩هـ) جمع سبعة وعشرين ألف مسألة، قياسية عقلية في الحلال والحرام[(١)].

٣- ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣٨٦هـ) له كتاب «المختصر» يحتوي على نحو خمسين ألف مسألة[(٢)].

٤- القزاز القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤١٢هـ) ألف كتابًا يجمع فيه سائر الحروف التي ذكر النحويون، أن الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فبلغ جملة الكتاب ألف ورقة، وجمعه على حروف المعجم، وما يُعلم أن نحويًا أَلَّف في النحو على حروف المعجم سواه[(٣)].

٥- السلطان محمود بن سبكتكين الغَزْنوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٢٢هـ) كان من أعيان الفقهاء، وكتابه «التفريد في الفروع» في غاية الجودة، وكثرة المسائل، بنحو: ستين ألف مسألة[(٤)].

٦- قال أبو إسحاق البرمكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٤٥هـ): عدد مسائل «مختصر الخِرَقي» ألفان وثلاث مئة مسألة[(٥)].

٧- كتاب «التنبيه» في الفقه للشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٧٦هـ) كتاب مبارك، ما حفظه أحد إلا وانتفع، وفيه اثنتا عشرة ألف مسألة؛ ما وضع فيه مسألة حتى توضأ وصلّى ركعتين، وسأل الله أن ينفع المشتغل به[(٦)].

٨- مهدي بن نصر المشطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٧١هـ) ذمَّه وانتقص من علمه رجل عند الأمير عميد الملك، فصنَّف «الفتاوى العَميدية» ذكر فيه مئة مسألة، كل عشر مسائل في نوع من العلوم، فتعجبوا منها[(٧)].

٩- ابن الحسن البرداني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٩٨هـ) جمع مجلدًا في «المنامات النبوية»[(٨)].

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار (٢/ ٥٦١).
(٢) الفهرست (ص٢٥٠).
(٣) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (٣/ ٣٢٨).
(٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ٤٢٦).
(٥) المقصد الارشد (٢/ ٢٩٨).
(٦) الوافي بالوفيات (٦/ ٤٢) والدر الثمين في أسماء المصنفين (ص٢٤٩).
(٧) معجم السفر (ص٣٩٨).
(٨) المقصد الارشد (١/ ١٧٠).

١٠- أبو الحسن ابن الزاغوني الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٢٧هـ) له جزء في «عويص المسائل الحسابية»[١].

١١- أبو نزار الحسن بن صافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٦٨هـ) الملقب بـ «ملك النحاة» أنفق عامة عمره في تعلم النحو وتعليمه، ثم استشكل عشر مسائل، واستعصت عليه، فسماها «المسائل العشر المتعِبات إلى الحشر» وأمر أن توضع معه في قبره، ليَحُلها هناك![٢].

١٢- «عَجَب الخطب» لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٩٧هـ) فيه ثلاثون خطبة، وقد حذف في كل منها حرفًا، فأوَّلها بلا ألف، والثاني بلا باء، والثالث بلا تاء، وخطبةٌ كلها من غير نقط، وأخرى كلها معجمة[٣].

١٣- عبد القادر الرهاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦١٢هـ) عمل «الأربعين المتباينة الإسناد والبلدان». وهذا شيء لم يُسبق إليه، ولا يرجوه أحد بعده[٤].

١٤- «معجم البلدان» ذلكم الكتاب الأشهر في بابه! والباعث لتأليفه عجيب وطريف، يحكيه لنا مؤلفه الحموي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٢٦هـ) فيقول: سُئلتُ في مجلس عن حُباشَةَ، اسم موضع جاءَ في الحديث النبويّ، وهو سوقٌ في الجاهلية. فقلت: أَرى أنه حُباشَةُ بضم الحاء .. فانبرى لي رجلٌ من المحدّثين، وقال: إنما هو حَباشةُ بالفتح. وصَمَّمَ على ذلك وكابَرَ .. فأُلقي حينئذ في رُوعي، افتقارُ العالَم إلى كتاب في هذا الشأن .. وشُرِحَ صدري لنَيل هذه المنقَبَة، التي غفل عنها الأَولون، ولم يَهتَدِ لها الغابرون[٥].

١٥- ابن سالم الحميري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٣٤هـ) له كتاب «مجاز فتيا اللّحن للّاحن الممتحن» يشتمل على مئة مسألة ملغّزة[٦].

١٦- النحوي ابن عسكر الغسّاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٣٦هـ) له «الأربعون حديثًا الموافق فيها اسم الشيخ لاسم الصحابي» وهو مَنزَع لم يُسبق إليه[٧].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤٠٥).
(٢) بغية الوعاة (١/ ٥٠٥) وانظر: مجلة الرسالة (٧٩/ ١٧).
(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١١٢٨).
(٤) الوافي بالوفيات (١٩/ ٢٨).
(٥) معجم البلدان (١/ ١٠).
(٦) الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/ ٢٥٦).
(٧) مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار (ص١٧٥).

١٧- عبد المحسن بن حمود التَّنوخيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٦٣٨هـ) اعتنى بتأليف كتاب عجيب في فنِّه، حَسَن الترتيب، لم يسبقه أحد من الأوائل، وهو عشرون كتابًا في فنون العلم، ويقع في ستين مجلدًا، سمَّاه: «أخايِر الذخائر من جواهر الجماهِر»[١].

١٨- كتاب «الأعداد» لابن سراقة المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٦٢هـ) وهو تأليف غريب، يذكر فيه الأعداد في القرآن، وما رُتب عليها من الأحكام[٢].

١٩- «المختار في كشف الأسرار» للجوبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٦٦٣هـ). وهو كتاب ليس له نظير في بابه، أخذه مؤلفه من نحو ألف وثلاث مئة كتاب[٣].

٢٠- ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٠٢هـ) كان يُدرِّس «مختصر ابن الحاجب» ويُثْني عليه كثيرًا، ويقول: إنه احتوى على أربعين ألف مسألة[٤].

٢١- القاضي عز الدين الهكاري الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٢٧هـ) له تصنيف في مجلدين، على حديث المُجامِع في رمضان؛ استنبط فيه ألف حكم[٥].

٢٢- ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٢٨هـ) فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل، دوِّن منها على أبواب الفقه فقط سبعة عشر مجلدًا، بأكثر من أربعين ألف مسألة[٦].

٢٣- علي بن أحمد الخشني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٥٠هـ) له تأليف غريب، عكف عليه عمرَه في «فضل مكة»، وتكلم على حروفِ اسمها، من جهة تَناسُب أعداد الحروف، مما الناظر فيه مخيَّر في نسبة مؤلفه إلى العرفان أو الهذيان![٧].

٢٤- قال الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٥١هـ) عن مسألة نحوية: وسنُفرد -إن شاء الله- كتابًا للحكومة بين البصريين والكوفيين[٨].

---

(١) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان (٣/ ٩٣).
(٢) المهمات في شرح الروضة والرافعي للإسنوي (١/ ١١٩).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٦٢٣).
(٤) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص٣٩٣).
(٥) البداية والنهاية ط هجر (١٨/ ٢٨٥) وفتح الباري لابن حجر (٤/ ١٧٣) والبلدانيات للسخاوي (ص٢٥٤) وإرشاد الساري للقسطلاني (٣/ ٣٧٩).
(٦) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص٢٦).
(٧) الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/ ١٥٤).
(٨) بدائع الفوائد (٣/ ٢٨).

٢٥- وقال: سنُفرد -إن شاء الله- مقالة نبين فيها «فضل العسل على السكر»[١]. وله مبحث في «المفاضلة بين التمر والعنب»[٢]. وقد ألَّف في «الفروسية»، وفي الطب النبوي ضِمْنًا، كما في المجلد الرابع من «زاد المعاد».

٢٦- أبو عبد الله الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٨٦هـ) له شرح على «مختصر ابن الحاجب» احتوى على خلاصة عشرة شروح سابقة[٣].

٢٧- المقرئ محمد بن محمد بن محمد الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨١٣هـ) له قصائد بمدح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكلها بغير نَقْط[٤].

٢٨- عز الدين ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨١٩هـ) كان من علو هِمته، لا ينظر علمًا إلا وأحب أن يشارِك فيه، حتى إن له تصنيفًا في «الرمي»، وفي «لعب الرمح والنُّشَّاب»[٥].

٢٩- الشرف ابن المقرئ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٣٧هـ) له كتاب عجيب اسمه: «عنوان الشرف» فيه ما يعجز عنه غالب الطباع البشرية، فإنه إذا قرأه القارئ جميعًا وجده فقهًا، وإذا قرأ أوائل السطور فقط، وأوساطها فقط، وأواخرها فقط، استخرج من ذلك علم النحو، والتاريخ، والعروض والقوافي[٦].

٣٠- المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٤٥هـ) له رسالة لطيفة الحجم بعنوان: «إغاثة الأمة بكشف الغمة» وقد ألَّفها في ليلة واحدة. وهي رسالة نفيسة المحتوى؛ لأنها تعتبر من مراجع المؤرخين وعلماء الاقتصاد، في طرح الحلول في نظام النقد الإسلامي. وقد كتبها بعد زوال مجاعات وكوارث اقتصادية بمصر، فيما بين عامي (٧٩٦ -٨٠٨هـ) وقد قرر أن المجاعات يمكن تجاوزها، بالتخطيط ومعرفة الأسباب والدوافع. كما قرر أن ارتفاع النفقات، واختلاف قيمة النقد، أتلف الزيادة في الدخل النقدي[٧].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٤٩).
(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٧١).
(٣) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ١٨٠).
(٤) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (٣/ ٢١٩).
(٥) بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين (ص٥٢). والنُّشَّاب - كما في المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (٣/ ٢٥٥) - هو السَّهمُ العَربِيُّ اللَّطِيفُ الطَّوِيل.
(٦) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (٣/ ٨٦).
(٧) إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي - ت. كرم فرحات (ص١٦١). وانظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٨/ ١٥٥١).

٣١- الأديب ابن عربشاه رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٤هـ) آخر ما ألَّفه كتاب على لسان الحيوانات، فيه العجائب والغرائب[١].

٣٢- «موضوعات العلوم» لعبد الرحمن البسطامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٨هـ) ذكر فيه طرفًا من العلوم، حتى بلغت مقدار مئة علم! وأورد فيها غرائب وعجائب، لم تسمعها آذان الزمان[٢].

٣٣- الشيخ الغزولي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٦٥هـ) له كتاب يتكون من خمسة علوم، منها ما يُقرأ من أول السطر، فأوله قصيدة في علم الجبر، والذي يليه في علم النحو، والذي يليه في علم العروض[٣].

٣٤- ابن كُمَيْل المنصوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٧٨هـ) رأى لابن المقرئ خمسة أبيات من نظمه، إن قُرئت طردًا كانت مدحًا، أو عكسًا كانت ذمًّا! وأنه يتبجّح بها؛ لعدم سبْقه إليها، فقام بنظم ستة وأربعين بيتًا على مِنوالها[٤].

٣٥- «انتهاز الفرص في الصيد والقنَص» للشيخ حمزة الناشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ٩١٦هـ). وهو كتاب لم يُسبق إليه[٥].

٣٦- الشيخ الصالحي الشّامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٤٢هـ) ألَّفَ في السيرة النبوية بعنوان «سبل الهدى والرشاد» وقد جمعه من ألْفِ كتاب، ومشى فيه على أنموذج لم يُسبق إليه[٦].

٣٧- أبو البركات الغَزِّي العَامري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٨٤هـ) له تفسير منظوم سمّاه «تيسير التبيان في تفسير القرآن» وهو مما لم يُسبق إليه[٧]

٣٨- المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٣٠هـ) له كتاب «كنز الحقائق في حديث خير الخلائق» جمع فيه عشرة آلاف من الأحاديث القصار، كل حديث في نصف سطر، يُقرأ طردًا وعكسًا![٨].

---

(١) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٣٢٠).
(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٩٠٥).
(٣) تاريخ البريهي (ص٣٥١).
(٤) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣/ ٢٣٠).
(٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ١٧٥).
(٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٣٥٣).
(٧) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣/ ٢٤٢).
(٨) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٢/ ٤١٤).

٣٩- جليلة تمرهان رَحِمَهَاٱللَّهُ (ت١٣١٧هـ) مصرية من أصل حبشي، وكانت تعمل قابلة لإيلاد الحوامل، واختيرت معلمة في مدرسة القوابل بالقاهرة. من تصانيفها بمشاركة أمها القابلة -أيضًا- «محكم الدلالة في أعمال القِبالة»[1].

٤٠- يسَّر الله لكاتب هذه السطور، جمع كتيِّب لم يُسبق إليه، وهو بعنوان: «أربعون حديثًا من كلمتين». وقد تُرجم -بحمد الله- للإنجليزية والأوردية والفارسية.



عرائس مدحي كم أتَيْنَ لغيرهِ فلمّا رأته قُلْنَ هذا من الأكْفَا
نوادر آدابي ذخيرة ماجدٍ شمائل كم فيهن من نُكَتٍ تُلْفَى
مطالعها هنّ المشارق للعلا قلائد قد راقت جواهرها رَصْفا
رسالة مدحي فيك واضحةٌ، ولِيّ مسالك تهذيبٍ لتنبيهِ مَن أغفَى
فيا منتهَى سُؤْلي ومحصول غايتي لأنت امرؤٌ من حاصل المجد مستصفَى

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس (٢/ ٦٦٥)

اشتملت هذه الأبيات الخمسة على التورية بعشرين كتاباً، وهي:

«العرائس» للثعالبي، و«النوادر» للقالي وغيره و«المطالع» لابن قرقول وغيره و«المشارق» للقاضي عياض وغيره، و«الذخيرة» لابن بسام وغيره، «والشمائل» للترمذي، و«النكت» لعبد الحق الصقلي، و«القلائد» لابن خاقان، و«رصف المباني في حروف المعاني» لابن عبد النور، و«الرسالة» للشافعي، و«الواضحة» لابن حبيب، و«المسالك» للبكري، و«الجواهر» لابن شاس، «والتهذيب في اختصار المدونة»، و«التنبيه» لأبي إسحاق، و«منتهى السؤل» لابن الحاجب، و«المحصول» للرازي، و«الغاية» للنووي، و«الحاصل مختصر المحصول»، و«المستصفى» للغزالي.

(١) معجم المؤلفين معجم المؤلفين (٣/ ٩٣ و١٥٤).

قُرَّاء الكتب وطقوسهم العجيبة والغريبة والطريفة عند القراءة

هذا المبحث -فعلًا- عجيب وغريب وطريف[١]!

وعالَم القُراء يَشوبه شيء من الحرية والمزاجية، ويكتنفه فوضىً خلّاقة إبداعية، ولذا تجد عندهم رغبات جامحة، وأحيانًا جانحة، وفي بعضها غرابة، بل وتعجُّبٌ يدعو غالبًا للإعجاب.

فلنَخُضْ في شيء من عالَمِهم العجيب المعجِب، حسبما كَتبوا، أو غرَّدوا، أو أخبر عنهم جُلّاسُهم.

فلا تعجَبْ حينئذ من قارئ عاشق يقول: أسهل وسيلة للانتحار: هي ألا تقرأ!.

نعم؛ ربما في العبارة تهوُّر؛ لكنه يَرمي إلى أنه حينما لا تزوِّد نفسك بالمعرفة، ولا تتسلح بالعلم، فكأنك تموت ضِمنيًا؛ لأن الجهل كالموت!.

حنانَيك! ليسوا يُبالغون، ولا يتصنَّعون! بل يُخبرون ببعض ما يشعرون!.

وهذا عاشق آخر يغرِّد، فيقول: قبل سنة قرأتُ تغريدة لأحدهم فاستغربتُها، فبحثت في المصدر الذي ذكر، وكان أحد عشر مجلدًا قرأتها كلّها، ولم أجد موضعها، لكن الكتاب عرّفني بكِتاب، والكِتاب بكِتاب، ولا زِلت حتى الساعة أقرأ بسبب تلك التغريدة!.

كتابي عَشيقي حين لم يَبْقَ مُعْشَقٌ   أُغازِلُه لو كان يدري غَزاليا

وثالث تألَّق، فقال: أؤمن بأن الإعراض عن القراءة أكبر من مشكلة البطالة، إدمان المخدرات، الطلاق؛ لأن الجهل هو الطريق الأسرع لذلك.

---

(١) السبب الذي دعاني لجمع وطرح هذا المبحث، هو فكرة طيبة أشار بها أخي الشيخ عبد العزيز بن محمد الحُبيشي، وكانت الأمثلة قليلة، فكثَّرها الله -بفضله-.

ورابع شَغوف، لكنه جَنَح شيئًا، ليقول: لو صحَّ القول بأن إدمان القراءة مرض! فهي المرض الجميل، بل هي الإدمان الأجمل في حياة الإنسان. فيا مُدمني القراءة: لا شفاكم الله منها!

نعم؛ القراءة وسيلة طيبة المجتبَى، ثم تستحيل ثمرة لذيذة المجتنَى. ومن يقول: القراءة هوايتي، يقال له: بل قل: القراءة هدايتي.

ليس المُدامة مما أستريح له ... ولا مجاوبة الأوتار والنغَم
وإنما لذَّتي كُتْب أطالعها ... وصارمي أبدًا في نصرتي قلمي[1]

لا تحديث إلا بعسل

* كان ابن شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٢٤هـ) يَسهر على العسل كما يسهر أهل الخمر. فكان يُحدِّثهم ثم يقول: اسقُونا، حدِّثونا[2].

قَيظٌ ودخان وضيق

* الحافظ محمد الذُّهلي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٥٨هـ) قال عنه ابنه الحافظ يحيى رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٦٧هـ): دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة، وهو في بيت كتبه، وبين يديه السراج، وهو يصنف، فقلت: يا أبَة! هذا وقت الصلاة، ودخان هذا السراج بالنهار، فلو نفَّست عن نفسك، قال: يا بُني! تقول لي هذا، وأنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين؟!![3].

يقرؤون وهم يمشون:

* سليم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٤٧هـ) كان لا يدَع وقتًا يمضي عليه بغير فائدة، ونزل يومًا إلى داره ورجع، فقال: قد قرأتُ جزءًا في طريقي[4].

* إمام النحو ثعلب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٩١هـ) كان يطالع كتابًا في الطريق، فصدمته فرس، فأوقعته في بئر، وأخرج منها وقد اختلط، فمات في اليوم الثاني[5].

---

(١) المغرب في حلى المغرب (١/ ٣٩٩).
(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٦٢٦).
(٣) تاريخ بغداد (٣/ ٤١٩).
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٢/ ٢٦٠).
(٥) وفيات الأعيان (١/ ١٠٤) وإرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني (ص١٩٦).

* ففي المشي يَقرؤون، وحتى عند ذوي الأُبَّهة يقرؤون.

بل ليس لهم زمان ولا مكان محدد للقراءة

* النحوي الأديب ابن الخشَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٦٧هـ) كان لا يخلو كُمُّه من كتب العلم(١).

* علاء الدين ابن ناجية الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٤٣هـ) كان يخرج من بيته إلى بيت الكتب، من ثلث الليل الآخر، فيطالع إلى صلاة الصبح، ثم يشتغل حتى الضحى .. فإن جاء أحد فلا يتكلم معه إلا كلمة أو كلمتين، وبعد الظهر يُغلق الباب، ويُقبل على المطالعة حتى يدخل وقت العصر، ثم بعد المغرب إلى بعد صلاة العشاء بزمان، ثم يدخل إلى حريمه(٢).

عادة قبيحة

* قال ابن العربي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٥٣هـ): اعتاد كثير من الناس إذا أرادوا أن يقرؤوا في مصحف أو كتاب، يطرقون البزاق عليهم، ويلطخون صفحات الأوراق؛ ليسهل قلبها! وهذه قذارة كريهة! وإهانة قبيحة، ينبغي للمسلم أن يتركها ديانة(٣).

التأنق بالملبس للتهيؤ للقراءة:

* محمد بن خليفة (ت٧١٧هـ): ربما بلغ درجة الاجتهاد، وكان يلبس الثياب الفاخرة، ويقول: قصدي تعظيم العلم(٤).

* المؤلف والصحفي الشهير: حسنين هيكل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٤٣٧هـ) إذا أراد أن يمكث في مكتبته يلبس أحسن ثيابه الرسمية، كأنما يريد الدخول على رئيس دولة.

* ويُقارِبُه الروائي فؤاد قنديل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٤٣٦هـ) فإنه يلبس أجمل ثيابه ويتعطر، ويمكث في مكتبته بهذه الهيئة أربعَ عشرة ساعة(٥).

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٥٢).

(٢) كنوز الذهب في تاريخ حلب (٢/ ١٤٦).

(٣) عارضة الأحوذي (٥/ ٤٠٨).

(٤) السلوك في طبقات العلماء والملوك (٢/ ٣٠٨) والعطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية للملك الأفضل (ت٧٧٨هـ).

(٥) أفادني بهاتين الإفادتين الشيخ الأديب محمد بن سعود الحمد.

حتى بمجلس السلطان يقرؤون:

* الفتح بن خاقان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٤٧هـ)، كان يحمل الكتاب في كُمِّه، فإذا قام من بين يدي الخليفة لأمرٍ؛ نَظَرَ فيه وهو يمشي، وكذلك في رجوعه(١).

* الفقيه الفرضي محمد بن سليمان السطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٥٠هـ) لا تراه إلا مُكِبًا على القراءة والتقييد، حتى في مجلس السلطان(٢).

حتى في الأسواق يقرؤون:

* كان الجاحظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٥٥هـ) يكتري دكاكين الكُتُبِيِّين، ويبيت فيها للمطالعة(٣).

* كان ابن المَكْوِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٠١هـ) يتَّجر في سوق البزَّازين، لا يفارق أثناء ذلك المطالعة في جلوسه وحركته(٤).

* البدر الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٩٤هـ) كان يُكثر الجلوس بحانوت طوال النهار غالبًا؛ للمطالعة والكتابة(٥).

غرفة خاصة للقراءة:

* درويش الأرتقي الدمشقي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠١٤هـ) عَمَر في داخل بيته بيتًا صغيرًا، وكان يقول هذا البيت بيت الفتاوى، وموضع الكتب(٦).

* قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٤٩هـ): ما دخلت بيت الكتب قط، إلا على طهارة(٧).

القراءة في جوف الكعبة:

* ابن عَلَّان الصديقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٥٧هـ) من عجائبه: أنه خَتَمَ «صحيح البخاري» في جوف الكعبة، حين ترميمها لما انهدَمَتْ؛ بسبب السيل.

---

(١) تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص١٤٠) وعنه الذهبي في: تاريخ الإسلام ت بشار (٥/ ١١٩٤) وعبارة «في كُمِّه» ضُبطت بالأصل: في خُفِّه(!) ولعل الصواب ما أثبتُّه.

(٢) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص٤٠٩).

(٣) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١/ ٥٢٧).

(٤) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية (١/ ٢٣١).

(٥) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ٣٠٦).

(٦) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٢/ ١٥٥).

(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر (٩/ ٩).

وله كذلك قصة طريفة وغريبة: فقد اتفق أنه قارَب خَتْمَ «الصحيح»، وكان البنَّاؤون قد جعلوا لهم سِترًا حال التعمير، فخَطَر له أن يَدخله، ويَختِم فيه، ويشرب فيه القهوة، ففعل، فوشَى بعض أعدائه إلى الشريف، وقالوا: إنه قد جَعل بيتَ الله حانةً للقهوة، فأغضبوا الشريف عليه، فأرسل في الحال، وأَحضره، وحبسه[١].

وقبله العالم ابن غلام الفرس الداني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٤٦هـ) قرأ من سورة الصفّ، إلى أن ختم داخل الكعبة[٢].

لأجل مواصلة القراءة قد يتركون نوافل الصلاة:

ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٠٢هـ) لما ظهر «الشرح الكبير» للرافعي، اشتراه بألف درهم، وصار يصلي الفرائض فقط، ويشتغل بالمطالعة إلى أن أنهاه[٣].

في كل يوم مجلد أو أكثر:

* سبق ذِكر حكاية الشيخ العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٦٠هـ) وأنه يخرج إلى المسجد يوم الأربعاء، ومعه كتاب «نهاية المطلب في دراية المذهب» في فقه الشافعية للجويني، فيمكث بالمسجد ثلاثة أيام، فيُنهِي «النهاية» قُبيل صلاة الجمعة.

وهذه الحكاية العجيبة الآنِفة حُكِيَت لعالِمَين اثنين، فانظر تعليقهما عليها:

* فالبلقيني يحكي عن نفسه، أنه يُنجِز قراءة «النهاية» في اثني عشر يومًا! قال البُلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٠٥هـ): ولا أَستبعِد .. وأنا أنظر مجلدًا في يوم واحد.
* وعقَّب بعدها ابن الملقِّن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٠٤هـ) عن إنجاز أعجب مضاعف، فقال: أنا نظرتُ مجلدين من «الأحكام» للمحب الطبري في يوم واحد[٤].
* الأمير النيجيري محمد بن يوسف السنوسي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٩٥هـ) كان ربما طالع سِفرًا ضخمًا لا يمكن مطالعته إلا في ثلاثة أيام، فيطالعه يومًا واحدًا[٥].

---

(١) المصدر السابق (٤/ ١٨٦).
(٢) المقفى الكبير (١/ ١٨٠).
(٣) المقفى الكبير (٦/ ٢٠٠).
(٤) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (ص١٣١).
(٥) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص٥٦٣).

* قال أبو العباس الطبنداوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٤٨هـ): طالعت جميع «الإيضاح شرح الحاوي» للقاضي الطيب الناشري في ليلة واحدة، وهو مجلدان ضخمان، وعلقت من كل باب فائدة[١].

* وحدثني أحد كبار طلبة العلم: أنه لما طُبع كتاب «فتح الباري» لابن رجب، فرح به كثيرًا، فقرأ في كل يوم مجلدًا، فأنهاه بعد أسبوع من شرائه!. وحدثني هو -أيضًا-: أنه وجد في فترةٍ فراغًا، فاستعار «المنتظم» لابن الجوزي، فقرأ كل مجلد في يوم، حتى أنهاه.

وكانوا يَجعلون بعض الكتب مقام الحلوى والفاكهة:

* محمد البساطي المالكي، قاضي مصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٤٢هـ) قال لتلميذه سبط ابن العجمي: تتفكه قبل أن تتغدى؟ فقال له: ما معنى هذا؟ فقال: طالِع «الروضة» و«الشرح»؛ فإنها بمنزلة الخبز واللحم، وأما شروح «المنهاج» فإنما هي بمنزلة الفاكهة[٢].

* كان القاضي أبو السرور المُزَجَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٣٠هـ) إذا سئم من القراءة والمطالعة، استدعى بـ «مقامات الحريري» فيطالع فيها، ويسمِّيها «طبق الحلوى»[٣].

ومن نَهَمِهم أنهم يقرؤون كل شيء، ولا يتوقفون، حتى في غير تخصصهم:

* قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٤١هـ): قَلَّ رجل يأخذ كتابًا ينظر فيه، إلا استفاد منه شيئًا[٤].

* قال ابن الجهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٧٧هـ): ما قرأت قطّ كتابًا كبيرًا؛ فأخلاني من فائدة، وما أُحصي كم قرأت من صغار الكتب، فخرجتُ منها كما دخلتُ[٥].

* الأديب عباس العقاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٨٣هـ) مِن شغَفه بالقراءة وُجد على مكتبه مجلدات، في «غرائز الحشرات وسلوكها»، فسئل عنها، فأجاب: لأقيسَ عليها دنيا الناس والسياسة[٦].

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص٢٠٧).
(٢) كنوز الذهب في تاريخ حلب (٢/ ١٥٣).
(٣) النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص١٣٠).
(٤) العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله (٢/ ٣١٤).
(٥) الحيوان (١/ ٤١).
(٦) المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين (ص١٤٦).

* والعقاد نفسه يقول في كتابه «أنا»: يقول لك المرشدون: اقرأ ما ينفعك، ولكني أقول: بل انتفع بما تقرأ[١].

يُشْفِقون عند قُرب ختام أوراق الكتاب:

* قال ابن الجهم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٧٧هـ): فإني إذا استحسنتُ كتابًا واستجَدْتُه، ورجوتُ فائدته لم أُوثِر عليه عِوضًا، ولم أبغِ به بدلًا، فلا أزال أنظر فيه ساعةً كم بقي من ورقِهِ؛ مخافة استنفادِهِ[٢].

وفي أسفارهم يقرؤون:

* اللغوي المتفنن الفيروزآبادي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨١٧هـ) كان لا يسافر إلا وصحبته عدة أحمال من الكُتُب، ويُخرج أكثرَها في كل منزلة، يَنظر فيها، ويُعيدها إذا رحل[٣].

* الشيخ عبد الله بن محمد الدويش رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٤٠٨هـ) يقرأ كل وقت، حتى في أصعب الظروف، فقد كان في سفر، راكبًا في حوض السيارة، فإذا رأى ضوء سيارة قادمة رفع كتابه، وقرأ على ضوئه، وكان يقرأ على ضوء النار، إذا نزلوا في السفر[٤].

والمجتمع الغربي -خصوصًا- مجتمع شغوف بالقراءة، فهم يعتبرون القراءة وجبة، كوجبة الأكل. وقد حدثني أحد الإخوة من طلبة العلم أنه: سافر في الحر الشديد لمدريد؛ لسياحة علمية، فتعطلت حافلتهم، فنزل الركاب الأسبان، وجلسوا على الأرض؛ ينتظرون إصلاحها، وفتح كل واحد منهم حقيبته، وأخرج كتابه يقرأ تحت حر الشمس، وفي لهيب الصيف!

حتى الليل لا يفوِّتون القراءة، ولو ضعفت الإضاءة:

* كان أبو حامد الإسفراييني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٠٦هـ) في أول أمره كان يحرس في درب، فكان يطالع الدرس على زيت الحرس[٥].

---

(١) ضمن مقال بعنوان: «لماذا هويت القراءة؟» (ص١٠٢) وهذه العبارة قد يخاطَب بها المتمكن المنتهِي، لا القارئ المتوسط ولا المبتدئ.

(٢) الحيوان (١/ ٤٠).

(٣) بغية الوعاة (١/ ٢٧٤) والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص٢٨).

(٤) المحدث الشيخ عبد الله الدويش - نواف الرعوجي (ص ٦٨ و٦٩).

(٥) تاريخ الإسلام ت بشار (٩/ ١٠٢). =

مـا تـطـعَّـمـتُ لـذة الـعـيـش حـتـى   صـرتُ لـلـبـيـت والـكـتـاب جـلـيـسـا[١]

* عبد الكريم الرافعي، صاحب «الشرح الكبير» رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٢٣هـ) لم يجِدْ زَيتًا للمطالعة في ليلة، فتألَّمَ، فأضاء له عِرق كَرْمة، فجلس يطالع، ويكتب على ضَوئه[٢].

* الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٧٤هـ) ضَعُفَ بصره، من جراء البحث والجمع لكتابه الضخم «جامع المسانيد». وفيه قال: لازلتُ فيه في الليل، والسراج يُنَوْنِصُ، حتى ذهب بصري معه[٣].

* وقال الشيخ حماد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤١٨هـ): مكثت مرة شهرًا لا أبصر بعيني، وأظن أن السبب قراءة المخطوط[٤].

ولقد كانوا قبل الكهرباء يتحرون الليالي القمرية؛ ليكتبوا ويقرؤوا فيها.

وخذ ثلاثة أمثلة:

* قال فتح بن شَخْرَف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٧٣هـ): عندي قلم كتبت به أربعين سنة، كنت أكتب به بالليل في القمر حتى يرتفع[٥].

* محمد بن قرقماس الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٨٢هـ) أكثرُ كتابته في الليل، حتى إنه يكتب في ضوء القمر[٦].

* أبو المعالي الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٤٢هـ) لما اشتغل في تفسيره «روح المعاني» قال واصفًا مقدار عَنائه في أدائه: فلو رأيتَني وأنا أصافح بالجبين صفحات الكتاب من السهر، وأطالع -إن أعْوَزَ الشمع يومًا- على نور القمر، في كثير من ليالي الشهر، وأمثالي إذ ذاك يَرفُلون في مَطارِف اللهو، ويَرقُلون في ميادين الزَّهْو[٧].

= إضافة: أبو نصر الفارابي -برغم ضلالاته وضعف حاله إلا أنه- كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف، ويستضيء بقنديل الحارس. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٦٠٣).

(١) معجم الأدباء (٤/ ١٧٩٨).

(٢) طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٤١). عِرْق كَرْمة: عود من أسفل شجرة العِنب.

(٣) مقدمة جامع المسانيد (ص٥) عن المصعد الأحمد في ختم مسند أحمد لابن الجزري (ص٤٠).

(٤) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (١/ ٤٢٥).

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/ ٢٣٢).

(٦) الضوء اللامع (٤/ ٢٥٥).

(٧) تفسير الألوسي (١/ ٤).

واهجر النوم في اقتناص سرورٍ　　انما الليل نصف عمر الشباب[١]

كانوا يسهرون، فإذا هجم عليهم النوم طردوه شر طِردة:

* **النحوي الخِدَبُّ الإشبيلي** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت٥٨٠هـ) قال: كنت في صباي أربط شعري بالحائط، حتى لا أنام؛ إيثارًا لطلب العلم**[٢]**.**

* **أبو العباس ابن العشاب** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت٦٣٧هـ) كان كثير مداومة سهر الليل من أجل العلم**[٣]**.**

* **الشيخ عبد الرحمن المعلمي** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت١٣٨٦هـ) كان إذا أراد النوم يضع عن يمينه «ألفية ابن مالك» وعن يساره «منتهى الإرادات» ويترك الأنوار مُضاءة، فيغفو ثم يقرأ في أحدهما، حتى يغلبه النوم!**

* **قال الفيروز آبادي** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت٨١٧هـ) عن نفسه: ما كنتُ أنام حتى أحفظَ مئتي سطر**[٤]**.**

ولا تسأمنَّ العلم واسهر لنيلهِ　　بلا ضجر تحمد سُرى الليل في غدِ[٥]

فإذا مرضوا تداووا بدواء المطالعة:

وخذ على ذلك سبعة أمثلة:

١- **ابن عبدربه التجيبي** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت٦٠٢هـ) أُقعِدَ من شِكاية بقدميه، منعته من القيام والتصرف، فعكف على النظر والمطالعة، فانتفع بذلك**[٦]**.**

٢- **قال الأديب ابن الفوطي** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت٧٢٣هـ): عرض لي مرض .. وأحضروا لي من الكُتُب العربيّة والفارسيّة، ما كنت أستريح إلى مطالعته**[٧]**.**

٣- **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت٧٢٨هـ): ابتدأني مرض، فقال لي الطبيب: إن مطالعتك، وكلامك في العلم يزيد المرض. فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمُك إلى علمك، أليست**

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٢/ ٢٢٤).

(٢) المقفى الكبير (٥/ ١٠٣).

(٣) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (١/ ٦٨٨).

(٤) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٢/ ٤٢٥ - ٤٣١).

(٥) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٥١٦).

(٦) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٤/ ٥٣٢).

(٧) مجمع الآداب في معجم الألقاب (٥/ ٨٥).

النفس إذا فرحت وسُرَّت قويت الطبيعة، فدفعت المرض؟ فقال: بلى. فقلت له: فإن نفسي تُسَرُّ بالعلم، فتقوَى به الطبيعة، فأجدُ راحة. فقال: هذا خارج عن علاجنا[١].

٤- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٥١هـ) -وأظنه يقصد نفسه-: وأعرف مَن أصابه مرض من صداع وحمى، وكان الكتاب عند رأسه، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غُلب وضعَه[٢].

٥- المقرئ أبو الفتح السنهوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٩٤هـ) عرض له رمَدٌ بعينيه، وفالِجٌ، ومع ذلك لم ينفكَّ عن الكتابة والإقراء[٣].

٦- رفيق بك العظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٤٣هـ) لكثرة المطالعة والسهر؛ أصيب بمرض العصَب، فاضطر إلى ترك المطالعة، وسافر إلى الشام؛ لأجل تبديل الهواء، ولما عوفي عاد إلى مصر، فعاد للقراءة[٤].

٧- يقول الأديب أحمد أمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٧٣هـ) بعد منعه من القراءة؛ لمرض في عينه: وأدخل المكتبة؛ لذكرى الماضي، فيزيد ألمي! غذاء شهي، وجوع مفرط، وقد حِيل بين الجائع وغذائه! وأتساءل: هل يعود نظري، فأستفيد منها كما كنت أستفيد؟![٥].

بل إنهم عند احتضارهم يقرؤون!

وإليك عشرة شواهد على ذلك:

١- قال عبد الله بن بشر الطالقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٧٥هـ): أرجو أن يأتيَني أمر الله والمحبرة بين يدي، ولم يفارقني القلم والمحبرة[٦].

٢- أبو القاسم البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٣١٧هـ) كانوا يقرؤون عليه جزءًا، وقد وضع رأسه بين ركبتيه، فرفع رأسه وقال: كأني بهم إذا متُّ يقولون: مات البغوي، ولا يقولون: مات جبل العلم!. ثم وضع رأسه بين ركبتيه واستند، فلما فرغوا من قراءة الجزء حرَّكوه، فإذا به قد مات[٧].

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٧٠).

(٢) المصدر السابق (ص٧٠).

(٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٣/ ٦٩).

(٤) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص٦٣٠) والأعلام للزركلي (٣/ ٣٠).

(٥) حياتي، لأحمد أمين (ص ٣٩).

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ١٦٨).

(٧) المنثور من الحكايات والسؤالات لابن طاهر المقدسي (ص٣٨).

٣- قيل لأبي بكر الخوارزمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٨٣هـ) عند موته: ما تشتهي؟ قال: النظر في حواشي الكتب(١).

٤- ابن أبي كدية التميمي القيرواني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥١٢هـ) أغمي عليه عند وفاته، ثم أفاق، فقال لمن حوله ممن يقرأ عليه: داوِموا على ما أنتم عليه، فما لقيتُ إلا خيرًا. ثم مات(٢).

٥- الحافظ علي الفضلي العرشاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٥٧هـ) كان يُقرأ عليه في مرض موته كتاب «الشريعة» للآجرّي، فكان قد يُغشى عليه، ثم يُفيق، فيأمر القارئ بإعادة ما قرأه(٣).

٦- الحجَّار ابن الشحنة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٣٠هـ) في يوم موته قرئ عليه ميعاد من «البخاري»، وتوفي بعد الفراغ من القراءة بقليل(٤).

٧- محمد الولاتي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١١٣٧هـ) لما عجز في مرض وفاته عن إمساك الكتاب، صارت تمسكه له زوجته، فإذا أكمل وجه الورقة قلَبَتْها له(٥).

٨- العلامة الحسن بن رحال التدلاوي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١١٤٠هـ) توفي وهو يقرأ كتاب «الشفا» للقاضي عياض، وقد ابتدأ قراءته وهو مريض، والطلبة يدخلون عليه للقراءة بداره(٦).

٩- الأديب الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٥٦هـ) قرأ جملة من الكتب والمجلات قبل وفاته بسويعات(٧).

١٠- الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٤٢١هـ) يحكي عنه صديقه القديم الشيخ زهير الشاويش رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٤٣٤هـ) فيقول: قبْلَ وفاته بثمان وأربعين ساعة، طلب إحضار كتابه: «صحيح سنن أبي داود»؛ لينظر فيه(٨).

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٤/ ٤١).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤/ ١٩٠).

(٣) السلوك في طبقات العلماء والملوك (١/ ٣٠٤).

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (١/ ١٦٥) ومعجم الشيوخ للسبكي (ص٦٤).

(٥) فتح الشكور (ص ???).

(٦) إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (٣/ ١٧).

(٧) حياة الرافعي - محمد العريان (ص٢٤٠).

(٨) من مقطع مرئي في اليوتيوب.

إشارتان ممنوع التجاوز:

* إن الإعجاب لا ينقضي، حين يُساق لنا خبر أولئك المكافحين رغم العقبات، كمن يقرأ على ضوء القمر أو النار، أو وهو يمشي في الطريق، أو الذي يُقرأ عليه وهو يأكل الطعام، أو من سقط في جُرْفٍ أو خبَطته دابة وهو يقرأ، فإن هذه الطقوس كلها ليست دعوة إلى أن نسلك هذا السلوك؛ فذاك مسلك مَن اضطروا لعِوَزهم، وضيق بِيئتهم، وهو -كذلك- منهج مَن عَمروا أوقاتهم بالقراءة والعلم والتحصيل، حتى لم يتركوا هذه الأوقات العابرة الضائعة، والدقائق القصيرة والضيقة، أما نحن فنملك رصيدًا هائلًا من الأوقات، التي نستطيع أن نقرأ فيها، ونحن مرفَّهون مطمئنون، دون أن نُصابَ بأدنى حر أو قَرٍّ، فضلًا أن نُكْلَم بجرح، أو نخبط جدارًا أو دابة.

* يقول القائل: كيف تريدنا أن نقرأ في أحوال غير مهيأة، وأوقات غير مناسبة؟ فإن قرأنا غير عابئين بالحال والوقت، فسيكون تحصيلنا من الكتاب ضئيلًا، ولن نجني إلا هدر الوقت، وتقليب الصفحات بلا جدوى.

وللجواب عن هذا الإشكال أن يقال:

١- ارجع إلى عبارتين مرَّتا آنفًا، عبارة الإمام أحمد، وعبارة أبي الجهم؛ فإنهما اتفقتا على أن القارئ لا يخلو من فائدة.

٢- اعمل أثناء قراءاتك بوصية الشيخ محمد بن عثمان الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٠٨هـ) حيث قال: لا ينبغي لمن يقرأ كتابًا، أن يتصور أنه يريد قراءته مرة ثانية؛ لأن هذا التصور يمنعه عن فهم جميع الكتاب، بل يتصور أنه لا يعود إليه مرة ثانية أبدًا[١].

٣- لنعترف أن القدرات تختلف، وشغف القراءة متفاوت، فمِن القراء مَن يتكيّف مع الظروف الصعبة، وهذا هو الكمال، ومنهم من يحتاج ليقرأ إلى راحة كاملة، وفراغ تام، ومنهم بينَ بينَ. وقد (عَلِمَ كلُ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ).

أقوال القراء المعاصرين عن طقوسهم في قراءتهم؟ (عبارات مقتضَبة):

القراء المعاصرون، من المثقفين، والشباب النهِمين، ماذا يقولون عن طقوسهم وعاداتهم أثناء

---

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران (ص٤٨٨).

تلذذهم بالقراءة؟

إليك عباراتهم باقتضاب:

١- أقرأ الروايات المرعبة والبوليسية على الفراش!.

٢- يتناقض عندي فحوى الكتاب مع طبيعة المكان، فالمطاردات -مثلًا- للمكان الهادئ.

٣- تروق لي القراءة أمام البحر ذي الموج الهادئ.

٤- أتلذذ بقراءة الأشعار خصوصًا في المتنزهات.

٥- لا يَعنيني المكان، الأهم أن أقرأ ثلاثة كتب، معًا في جلسة واحدة!

٦- قلم رصاص ومشروب هما غاية المطلوب.

٧- أقرأ أثناء رياضة المشي.

٨- أضمُّ كتابي، ثم أضع داخله بعض الورود، وعند انتصافه أودِّعه الوداع الأول.

٩- أَخرج من بيتي، فيُلازمني الكتاب في كل مكان، كملازمة الطفل كَفَّ أبيه في شارع مزدحم.

١٠- لا أقرأ إلا عن طريق القراءة الجماعية، وأنتفع بالمذاكرة والمداوَلة.

١١- أقرأ في كل مكان إلا في مكتبتي؛ فإنها تسرق تركيزي من جمالها.

١٢- تعطير المكان قبل القراءة يفتح شهية عقلي.

١٣- أحد أصحابي من طلبة العلم يخبرني أنه: يعطِّر الكتاب الذي سيقرؤه.

١٤- أجمل طقوس القراءة عندي، هي أن تكون بلا طقوس.

١٥- قال نهِمٌ: أنهيتُ كُتبًا كثيرة خلال انتظاري في دوائر حكومية، أو موعد إقلاع طائرة، أو في المستشفيات؛ فالقراءة عندي لا تشترط أن أجد زمانًا أو مكانًا.

١٦- مثلث السعادة عندي: كتاب، وقهوة، وهدوء.

١٧- القراءة بالمقاهي متعة. ويعلل روَّادها: أنهم يحبون الضوضاء الخفيفة![١].



(١) ربط القراءة بالمقاهي والقهوة تقليد أجنبي حادث، واقتران رِخوٌ باهتُ الأثر، فهو يحوِّل القراءة إلى وسيلة للترف والتشبع، والتباهي، والولَع بالتصوير! فكثير من هؤلاء -لا كلُّهم- متشبِّعون، بل بعضهم لا يقرأ أصلاً، إنما قصارَى شغَفهم تصوير القصة الروائية بجانب كوب قهوة، أو بمقهى.

دليل ألقاب العلماء المتصلة بالعلم ومتعلقاته، وأسباب تلقيباتهم

لئن كان الناس يفتخرون أن يتلقبوا بألقاب العظماء والملوك والشجعان؛ فإن أهل العلم يُفاخِرون بما هو أسمى وأعلى؛ لأن العلم أَولى من الجاه والمنصب، ومن شجاعة الشجعان.

وإذا كان «شبيه الشيء منجذِب إليه» و«مَن أكثر من شيء عُرف به» فإن المشتغلين بالعلم ينجذبون للعلم، ويُعرفون بمتعلقاته، ويلقِّبهم الناس بما يُكثرون منه، وبما يشتهرون به.

ومن الطرائف أن الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٥٠هـ) كان يُقصد في رواية حديث: «نِعْمَ الإدام الخَلّ» لتفرُّده به؛ فكان إذا قُرع بابه، ممن روى لهم الحديث الآنِف، فيقول: من ذا؟ فيقولون: يحيى بن حسان «نِعم الإدام الخل»[1].

ولطيفة أخرى طريفة، وهي أن المبرد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٨٦هـ) إنما لُقِّب بهذا؛ لأن المازني سأله عن دقيقة وعويصة، فأجابه بأحسن جواب، فقال له المازني: قم فأنت المبرِّد - أي المُثْبِت للحق، بما يبرد الكبد[2].

حقًّا: إن أولئك لأقوام تعلقت قلوبهم بالعلوم السامية، حتى بلغت ألقابهم ذُرَاه السامقة.

وقد جمعتُ أثناء قراءتي المتنوعة خلال ثلاثة عقود، بحوثًا طريفة لطيفة، ومنها: «ألقاب العلماء المتصلة بالعلم ومتعلقاته»، فألحقتُ النَّظير إلى نظيره، وكانت قليلة فكثَّرها الله، وإنما السيل اجتماع النُّقَط.

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار (١١/ ٢٠٩).

(٢) معجم الأدباء (٦/ ٢٦٧٩).

فدُونَك الآن ألقابَهم، وقد اتصلتْ بالعلماء، أو بالكتب، أو بفنٍ أو مذهب، أو لاتصافهم بوصفٍ علمي أو انتهاجهم لأسلوب علمي، وقد اختصرتُها في هذا الجدول، الذي عِدَّته مئة وستة وعشرون عالمًا متلقِّبًا:

ألقابهم متصلة بالعلم ومتعلقاته (١٢٦ عالِمًا)

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
١- الحَبر والبحر ابن عباس	لكثرة علمه، وحِدّة فهمه[١]
٢- قُطْرُب (دُوَيبَّة تدِبُّ ولا تَفْتُر)	لملازمته باب سيبويه بالأسحار[٢]
٣- محمد بن حمويه الطهماني	لجمعة حديث إبراهيم بن طهمان[٣]
٤- بَقِيُّ بن مخلد = المِكنسة	لكثرة علمه وحفظه[٤]
٥- هارون بن عبد الله الحمَّال	لكثرة ما حمل من العلم[٥]
٦- أبو جعفر الباقر	لأنه بَقَرَ العلم، أي شقَّه[٦]
٧- المبرِّد (ت٢٨٦هـ)	لأنه المثبت للحق بما يبرد الكبد[٧]
٨- سَحْنُون (بالضم والفتح)	طَائِر ذكي. سَمَّوهُ به؛ لحِدَّة ذهنه[٨]
٩- البسطامي مصنِّفك (ت٨٧٥هـ)	لاشتغاله بالتصنيف في حداثة سنه[٩]
١٠- الحافظ بُندار محمد بن بشار	أي بُندار الحديث. والبُندار: الحافظ[١٠]

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٣/ ١٧٨).
(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص٧٧).
(٣) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (٢/ ٢٩٢).
(٤) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٠٨).
(٥) إكمال تهذيب الكمال (١٢/ ١١٠).
(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٨٧).
(٧) معجم الأدباء (٦/ ٢٦٧٩).
(٨) الوافي بالوفيات (١٨/ ٢٥٩).
(٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٩/ ٤٧٦) ومعجم المؤلفين (٧/ ٢٤٠).
(١٠) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٢/ ١٤٤).

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
١١- الحسن الزنجاني = قِحْف العلم	أي وعاء العلم[١]
١٢- محمد بن يحيى الذُّهلي لقبه الزهري	لجمعِهِ حديث الزهري[٢]
١٣- عبد الله الجعفي البخاري المسندي	لأنه يتتبَّع المسنَد، ويزهد في المُرْسَل[٣]
١٤- المذاكرة = المنذر المرواني (٣٩٣هـ)	كلما لقي أحدًا قال: هل لك في المذاكرة[٤]
١٥- الْبَزَّاز الملقب بالفُوَيرِه	لحسن فَهمه، من الفُرُوهية تصغير فارِه[٥]
١٦- عبد الله الهمذاني الدُّحيمي	لكثرة روايته عن دُحيم[٦]
١٧- البيع الفاسد: الفقيه ابن العريف	لكثرة تكراره هذه المسألة[٧]
١٨- محمد بن زياد اليشكري الميموني	لكثرة روايته عن ميمون بن مهران[٨]
١٩- الفقيه أبو حنيفة الزيلعي	لكثرة نقله عن أبي حنيفة[٩]
٢٠- علي بن نصر الجرجاني	يلقب بأبي حنيفة؛ لإتقانه المذهب[١٠]
٢١- سعيد بن محمد النحوي = نافع	لكثرة ما قرأ بقراءة نافع[١١]
٢٢- إبراهيم المجاهدي(ت٣٣٤هـ)	لكثرة لزومه للمقرئ ابن مجاهد[١٢]

(١) نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ٨٦).
(٢) تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١١/ ٧٨).
(٣) الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٣٦) والعبر في خبر من غبر (١/ ٣١٨).
(٤) نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ١٦٥).
(٥) توضيح المشتبه (٧/ ١٣٢) وغاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٧٢).
(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ٣٠) ونزهة الألباب في الألقاب (٢/ ٢٩١).
(٧) البداية والنهاية ط هجر (١٦/ ٦٧٣).
(٨) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥/ ٦٣) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٣٦١).
(٩) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/ ٢٥٠).
(١٠) المصدر السابق (١/ ٣٨٤).
(١١) التكملة لكتاب الصلة (٤/ ١١٣).
(١٢) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٢/ ١٤٩).

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
٢٣- محمد بن إسماعيل الأصبهاني	يقال له صندوق العلم(١)
٢٤- محمد بن محمد بن زكريا الشاشي	يقال له صندوق العلم(٢)
٢٥- ابن دِيْزِيلَ = له لَقَبان: دَابَّةُ عَفَّانَ وسِيفَنَّة	لملازمته لشيخه عفان. وسِيفَنَّة: طائر يأكلُ كل ورقَ الشجرة، وهو إذا أتى شيخًا يُنْزِفُه(٣)
٢٦- مُصْلِحُ الدِّين الأَماسي(ت٩٣٦هـ)	اشتهر بلقب (حافظ الكتب)(٤)
٢٧- الحارث بن سريج النقال(٢٣٦هـ)	لنقله رسالة الشافعي إلى ابن مهدي(٥)
٢٨- محمد بن عبدالملك التاريخي	لاعتنائه بالتواريخ(٦)
٢٩- نوح بن أبي مريم الجامع	لجمعه فقه أبي حنيفة، أو لجمعه للعلوم(٧)
٣٠- محمد البندنيجي حَنْفَش(٥٣٨هـ)	لكونه حنبليًا فحنفيًا فشافعيًا(٨)
٣١- عبدالقادر البغدادي «حينئذ»	يكثر في بحوثه من قول «حينئذ»(٩)
٣٢- الحسن الجرجاني: كُنْدُوج العلم	أي خزانة العلم(١٠)
٣٣- هلال بن يحيى الرأي (ت٢٤٥هـ)	يشبَّه بربيعة شيخ مالك(١١)
٣٤- النحوي أبو العباس عُقدة	لأجل علمه بتعقيد التصريف والنحو(١٢)

---

(١) تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان (٢/ ١٨٤).
(٢) نزهة الألباب في الألقاب (١/ ٤٢٩).
(٣) العبر في خبر من غبر (١/ ٤٠٣) وطبقات علماء الحديث (٢/ ٣٠٨).
(٤) الأعلام للزركلي (٧/ ٣٢٩).
(٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٤/ ٥٠١).
(٦) الوافي بالوفيات (٤/ ٣٥).
(٧) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ١٧٦).
(٨) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (٢/ ٥٤١).
(٩) تاريخ الإسلام ت بشار (١٥/ ٩٥٠).
(١٠) تاريخ جرجان (ص١٨٤).
(١١) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٢١٠) حاشية.
(١٢) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (٥/ ٢١٩) والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٤/ ٣٦).

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
٣٥- جمال الدين العامري = المدرس	لطول تدريسه نحوًا من خمسين سنة(١)
٣٦- محمدُبن عليٍّ الحاتِميُّ، القشَيْريُّ	لإكبابِه على قراءة «رسالة القُشَيريِّ»(٢)
٣٧- أحمد بن حمدون الأعمشي	لجمعه حديث الأعمش كله وحفظه(٣)
٣٨- ابن الملقن = ابن النحوي	لأنه تعلم عليه، وهو زوج أمه(٤)
٣٩- محمد بن النوجشان السويدي	لأنه رحل إلى سويد بن عبد العزيز(٥)
٤٠- عثمان الطرائفي	لأنه يتتبع طرائف وطُرَف الحديث(٦)
٤١- إسماعيل الصفار المُلَحي	لروايته المُلَح(٧)
٤٢- ابن أبي الخير = سرداب العلم	لكثرة نقله وجَودة معرفته(٨)
٤٣- علي بن دقيق المحبِّري	لحفظه كتاب «المحبِّر»(٩)
٤٤- أحمد الواسطي الوجيزي (٧٢٩هـ)	لحفظه كتاب الوجيز(١٠)
٤٥- ابن الصارم الوجيزي (٦٦٧هـ)	لحفظه كتاب «الوجيز»(١١)
٤٦- محمد البقال الآدمي	لحفظه كتاب«الآدمي»في النحو(١٢)

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (١/ ٣٥٧).
(٢) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٤/ ٥٣٩).
(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٤/ ١٠٤).
(٤) تاريخ ابن حجي (١/ ٥٢٢).
(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٦/ ١٣٥).
(٦) المصدر السابق (٣٨/ ٤٣٣).
(٧) نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ٣١١).
(٨) السلوك في طبقات العلماء والملوك (١/ ٤٢٤).
(٩) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٥/ ٢٨٣).
(١٠) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (١/ ٢٨٨).
(١١) تاريخ الإسلام ت بشار (١٥/ ١٤٩).
(١٢) تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص٢٧١).

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
٤٧- مظفر بن الحسين المقترح	لحفظ كتاب المقترح في المصطلح[(١)]
٤٨- صاعقة (٢٥٥هـ) شيخ البخاري	لقوة حفظه، وحسن مذاكرته[(٢)]
٤٩- أبو الغنائم النَّرْسِي - (ت٥١٠هـ)	لُقِّب بأُبَيٍّ؛ لجودة قراءته[(٣)]
٥٠- محمد بن وهب المِسْعَري	يحرك المسائل = المِسْعر عود تحرك به النار[(٤)]
٥١- الحسين بن عبد الرحمن الغَرِيبِي	غلب عليه طلب الغريب، فنُسب إليه[(٥)]
٥٢- الضرير أحمد بن جعفر الوكيعي	لملازمته لوكيع بن الجراح[(٦)]
٥٣- محمد الطرسوسي الوكيعي	لتتبُّعه حديث وكيع[(٧)]
٥٤- أحمد بن عمر الوكيعي	لِلُزومه وكيعًا[(٨)]
٥٥- زياد بن أيوب	يلقب بشعبة تشبهًا بشعبة بن الحجاج[(٩)]
٥٦- الحسن بن محمد بن سعيد	يلقب بشعبة تشبهًا بشعبة بن الحجاج[(١٠)]
٥٧- أحمد بن الحسين البصري	يلقب بشعبة تشبهًا بشعبة بن الحجاج[(١١)]
٥٨- محمد بن الحسن بن الليث	يلقب بشعبة تشبهًا بشعبة بن الحجاج[(١٢)]

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري (١٢٨/٤٤).
(٢) الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص٢٢١).
(٣) الأعلام للزركلي (٢٧٨/٦).
(٤) المصدر السابق (٣٠٩/٢).
(٥) المصدر السابق (٣٠٣/٢).
(٦) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٤٦/١٤) وتاريخ الإسلام ت تدمري (٣٨/١٥).
(٧) نزهة الألباب في الألقاب (٣١٣/٢).
(٨) المصدر السابق (٣١٣/٢).
(٩) المصدر السابق (٤٠٠/١).
(١٠) المصدر السابق (٤٠٠/١).
(١١) المصدر السابق (٤٠٠/١).
(١٢) المصدر السابق (٤٠٠/١).

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
٥٩- سعيد بن الفضل الثعلبي	يلقب بشعبة تشبهًا بشعبة بن الحجاج[(١)]
٦٠- أحمد بن محمد الزيات	يلقب بشعبة تشبهًا بشعبة بن الحجاج[(٢)]
٦١- محمد بن جعفر الواسطي	يلقب بشعبة تشبهًا بشعبة بن الحجاج[(٣)]
٦٢- أبو بركات ابن السيف الصالحي	لملازمته لصالح البُلْقَيني[(٤)]
٦٣- الفقيه الحنبلي غلام ابن المنّي	لصُحبته وتفقهه على أبي الفتح ابن المنّي[(٥)]
٦٤- يوسف الساهر (ت٢٩٥هـ)	لكثرة سهره في طلب العلم[(٦)]
٦٥- زياد الحضرمي (٢١١هـ) سوسة العلم	لأنه طَلَّاب للعلم[(٧)] والسوسة تلتهِم السن
٦٦- البدر الزركشي (٧٩٤) المنهاجي	لعنايته بمنهاج الطالبين للنووي[(٨)]
٦٧- أحمد بن حزم الإشبيلي = زقيق النحو	لكثرة مباحثته، وحِدَّة أسئلته[(٩)]
٦٨- النحوي ابن عدلان المترجم (٦٦٦هـ)	لمهارته بحل المترجم والألغاز[(١٠)]
٦٩- الفقيه نجم الأئمة البارعي (٦٤٥هـ)	لأنه برع في العلم[(١١)]
٧٠- الملا محمد الأخلاقي (ت١٠٢١هـ)	لأنه كتب «أخلاق علائي» ٤٠ مجلدًا[(١٢)]

---

(١) المصدر السابق (١/ ٤٠٠).
(٢) المصدر السابق (١/ ٤٠٠).
(٣) المصدر السابق (١/ ٤٠٠).
(٤) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ٦٩).
(٥) مجمع الآداب في معجم الألقاب (٢/ ٥٦٢).
(٦) إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص٢٩٠).
فائدة: كان الساهر طبيبًا. وكان يقول: إنما يُنال من النوم ما يحصل منه راحة الجسم، وهو مقدار ثلاث ساعات.
(٧) تهذيب الكمال (٩/ ٥٢٥).
(٨) المنهل العذب الروي للسخاوي (ص١٣).
(٩) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (١/ ٥٨٠).
(١٠) وفيات الأعيان (٢/ ١٧).
(١١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/ ٢٨٥).
(١٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ٢٩٤).

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
٧١- النابلسي الحنبلي = الجنة(٧٩٧هـ)	لأن عنده ما تشتهي أنفس الطلبة، كالجنة(١)
٧٢- مقسم مولى ابن عباس	لم يكن مولاه، وإنما لملازمته له(٢)
٧٣- عبدالكريم المسيري الزيات	لملازمته شيخه سليمان الزيات(٣)
٧٤- سعيد بن وَهْب، يُقال له: القُراد	لشدة ملازمته لعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٤)
٧٥- علي بن سهل العفَّاني	لملازمته عفان بن مسلم(٥)
٧٦- عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجّاجيَ	نسبة لشيخه أبي اسحاق الزَّجَّاج(٦)
٧٧- عبد الوهاب الطوي الهمامي	لملازمته الكمال بن الهمام(٧)
٧٨- الطنبدي = اللازم والملزوم	لشدة ملازمته لشيخه الزفتاوي(٨)
٧٩- ابن فارس الحنفي (ت٨٢٦هـ)	اشتهر بقارئ الهداية(٩)
٨٠- أبو علي اللؤلؤي ورّاق أبي داود	لملازمته، وكتابته سننه بإتقان(١٠)
٨١- محمد بن الطلَب الشنقيطي	لأن الناس ترحل إليه لطلب العلم(١١)
٨٢- السيوطي يلقب بابن الكتب	لأن أمه ولدته بين الكتب(١٢)

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨/ ٥٩٦).
(٢) العبر في خبر من غبر (١/ ٩١).
(٣) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (١/ ٣٣٤).
(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٩/ ٣٦٨).
(٥) ضبط من غبر فيمن قيده ابن حجر (ص٢١١).
(٦) إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ١٦٠).
(٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٥/ ٩٩).
(٨) المصدر السابق (٩/ ١٥٢).
(٩) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢/ ٤١٩).
(١٠) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٥/ ٣٠٧) والورّاق في لغة أهل البصرة: القارئ للناس.
(١١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (ص٩٤).
(١٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص٥١).

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
٨٣- حمدون الأصمعي	لقب بذلك لذكائه وقوة حفظه[١]
٨٤- علي بن أبي زيد الفصيحي	لكثرة إعادته ودرسه «الفصيح»[٢]
٨٥- أحمد الرازي الجوَّالة (٣٧٥هـ)	لكثرة جَوَلانه في البلاد[٣]
٨٦- عبد الله بن لهيعة أبو خريطة	يعلقها في عنقه ليكتب العلم[٤]
٨٧- قيس الأسدي الجوَّال (١٦٨هـ)	لكثرة سماعه ورحلته[٥]
٨٨- محمد بن سهل المرزبان	يلقب بالباحث عن مُعْتاص العلم[٦]
٨٩- أبو منصور الثعالبي (ت٤٣٠هـ)	يلقب بجاحظ أَوَانه[٧]
٩٠- أبو جعفر البلخي الحنفي (٣٦٢هـ)	يلقب: بأبي حنيفة الصغير[٨]
٩١- الطريثيني(٢٢٩هـ) = دار أم سلمة	لأنه جمع حديث أم سلمة[٩]
٩٢- عبد السلام التَّنُوخي (٢٤٠هـ)	يُلقب بسحنون[١٠]
٩٣- عبدالرحمن الدكالي المالكي(٦٩٥هـ)	يُلقب بسحنون[١١]
٩٤- ابن الصفار الأنصاري (٦٣٩هـ)	البَرنامَج؛ لجَمْعِهِ فنون المعارف[١٢]

(١) المقتبس من أنباء الأندلس (ص١٧١).
(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص٢٧٤) والمقتبس من أنباء الأندلس (ص١٧٢).
(٣) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ١٤١).
(٤) المجروحين لابن حبان (٢/ ١١).
(٥) قاله ابن سعد في الطبقات (٦/ ٣٧٧).
(٦) معجم الأدباء (٦/ ٢٥٤٢).
(٧) تاريخ الإسلام ت تدمري (٢٩/ ٢٩٢).
(٨) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٦/ ١٣١).
(٩) طبقات علماء الحديث (٢/ ١١٥) وإكمال تهذيب الكمال (١/ ٣٧).
(١٠) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٦/ ٣٤٢).
(١١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص٣٧٢).
(١٢) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٤/ ٣١٤).

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
٩٥- خضر بك بن جلال (ت٨٦٣هـ)	يلقب بجِرَاب العلم[(١)]
٩٦- العلاء العطّار = مختصر النّووي	لشدَة ملازمته له، واعتنائه بكتبه[(٢)]
٩٧- محمد المغربي (١١٤٠هـ) = قارئ الدرر	لأنه مَهَرَ في كتاب «الدرر والغرر»[(٣)]
٩٨- عبد اللطيف المغربي (ت١١٤٣هـ)	يُدعى بزُفَر لاشتهاره بالفقه[(٤)]
٩٩- الرمجاري = شيخ زلل الفقراء	لتفرده برواية «زلل الفقراء» للسلمي[(٥)]
١٠٠-أبو علي الطومار	صحب أبا الفضل بن طُومار، فلُقِّب به[(٦)]
١٠١- ابن أبي زيد (٣٨٦هـ)	مالك الصغير وقطب المذهب[(٧)]
١٠٢-محمد الرومي الكافيجي(٨٧٩هـ)	لكثرة اشتغاله بـ «الكافية» في النحو[(٨)]
١٠٣-أبو بكر ابن الجبي(٣٥٨هـ)	يلقب بـ سيبويه[(٩)]
١٠٤-عبد الرحمن بن ماذرا	يلقب بـ سيبويه[(١٠)]
١٠٥-محمد بن موسى بن عبد العزيز	يلقب بـ سيبويه[(١١)]
١٠٦-محمد بن عبد العزيز الأصبهاني	يلقب بـ سيبويه[(١٢)]

(١) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢/ ٧٨).
(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨/ ١١٤).
(٣) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٣/ ١٢٣).
(٤) المصدر السابق (٣/ ١٢٣).
(٥) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (ص٩٧٧).
(٦) تاج العروس (١٢/ ٤٣٧).
(٧) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٧/ ١٢).
(٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٩/ ٤٨٨).
(٩) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٤٠٢).
(١٠) نزهة الألباب في الألقاب (١/ ٣٨٢).
(١١) المصدر السابق (١/ ٣٨٢).
(١٢) المصدر السابق (١/ ٣٨٢).

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
١٠٧-الشاعر أحمد بن الحسن	يلقب بـ سيبويه[(١)]
١٠٨-علاء الدين التعجيزي (٧٦٤هـ)	لأنه حفظ «التعجيز» لابن يونس[(٢)]
١٠٩-أبو بكر العسكري	مبرْمان؛ لكثرة سؤاله وملازمته للمبرّد[(٣)]
١١٠- القاضي حسين المروذي	حبر الأمة؛ لسعة علمه[(٤)]
١١١- سلْم بن عمرو الخاسر	لأنه ورث مالًا، فأنفقه على الأدب[(٥)]
١١٢- أحمد السهرندي (ت١٠٣٤هـ)	يلقب بمجدد الألْف الثانية[(٦)]
١١٣- ابن الفرَّاء البَغَوي (ت٥١٠هـ)	محيي السنّة؛ لاشتغاله بها[(٧)]
١١٤- عبد القادر الرافعي (ت١٢٤٨هـ)	أبو حنيفة الصغير[(٨)]
١١٥- أحمد الشوبري (١٠٦٦هـ)	يلقب بأبي حنيفة الصغير[(٩)]
١١٦- الهندي الفَتَني (ت٩٨٦هـ)	يلقب بملك المحدثين[(١٠)]
١١٧- ابن الخَطِيب ذوالعُمْرَين	يصنف ليلًا، ويدير مملكته نهارًا[(١١)]
١١٨- ابن سريج (ت٣٠٦هـ)	الباز الأشهب، وأول ملَقَّب بشيخ الإسلام[(١٢)]

(١) المصدر السابق (١/ ٣٨٢).
(٢) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٤/١٠٨).
(٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ١٨٩) وتاريخ الإسلام (٢٤/ ١٩٦).
(٤) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٨/ ٢٦١).
(٥) معجم الأدباء (٣/ ١٣٨٢). والحق أن يُسمَّى الرابح، لكن أهل الدنيا يفضِّلون المال على العلم!.
(٦) الأعلام للزركلي (١/ ١٤٣).
(٧) المصدر السابق (٢/ ٢٥٩).
(٨) المصدر السابق (٤/ ٤٦).
(٩) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١/ ١٧٤).
(١٠) المصدر السابق (٦/ ١٧٢).
(١١) المصدر السابق (٦/ ٢٣٥) ويقال له -أيضًا- ذو الوزارتين: القلم والسيف. ومؤلفاته تبلغ نحو الستين.
(١٢) طبقات الفقهاء (ص١٠٩).

اسم العالم ولقبه	سبب تسميته بهذا الاسم
١١٩- كعب الأحبار = كعب الحِبَر	بكسر الحاء وفتحها ؛ لكثرة علمه(١)
١٢٠-نظام الدين الشيرازي (١٠١٥هـ)	يلقب بسيد العلماء(٢)
١٢١- محمد الشوبري (١٠٦٩)	يلقب بالشافعي الصغير(٣)
١٢٢-إدريس العراقي الفاسي (١١٨٣)	يلقب بسيوطي زمانه(٤)
١٢٣-محمد أحمد الأنصاري	يلقّب بالبحر؛ لتبحّره في العلوم(٥)
١٢٤-محمد بن حميد المَعْمري	لتتبعه أحاديث معمر(٦)
١٢٥-أبو حنيفة التغلبي الفصيح	لفصاحته(٧)
١٢٦-إسماعيل الطلحي الأصبهاني	لقب بقوّام السنة؛ لشدة اعتنائه بها(٨)



(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٦٩).
(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١/ ١٥٧).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٧٤).
(٤) فهرس الفهارس (٢/ ٨١٩).
(٥) المجموع في ترجمة الشيخ حماد الأنصاري (١/ ٨٤).
(٦) شرح السيوطي على مسلم (٤/ ٢٥٦).
(٧) مجمع الآداب في معجم الألقاب (٣/ ٢٥٣).
(٨) طبقات الشافعيين لابن كثير (ص٥٩١).

المتلقِّبون بلقب «شيخ الإسلام»

هذا اللقب فخم جدًا، ولا يلقَّب به إلا النوادر، ولذا يأنف بعض العلماء المستحقين لهذا اللقب من مناداة الناس لهم به؛ تواضعًا واحتقارًا للنفس في ذات الله.

ولذلك لما قيل للهكاري، الملقب بشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٨٦هـ): أنت شيخ الإسلام. فقال: بل أنا شيخٌ في الإسلام[(١)].

وقد كان العرف على أن لقب «شيخ الإسلام» يطلق على من تصدر للإفتاء، وحلِّ المشكلات فيما شجر بينهم من النزاع والخصام، من الفقهاء العِظام، والفضلاء الفِخام[(٢)].

ومن روائع التعبيرات لدى الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٤٨هـ) أنه لما ترجم للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٤١هـ) قال: هو الإمام حقًا، وشيخ الإسلام صدقًا[(٣)].

وقد أخذها الذهبي من البيهقي، فقد قالها قبله البيهقي في حق أبي عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٤٩هـ)[(٤)].

فهذا الوصف فخم المحتوى، ورفيع المستوى، لا يطلق -كما أسلفتُ- إلا على نوادر من الأئمة المحققين، ولكن تساهَل بعض المترجِين والمؤرخين بإطلاقها على من تولى منصبًا دينيًا رفيعًا!

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٢٠).

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص٢٤١).

(٣) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١/ ١٧٧).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٩/ ٥).

وهذا السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٠٢هـ) قد قال متأسفًا: وابتُذِلَتْ هذه اللفظة، فوُصِف بها على رأس المئة الثامنة، وما بعد ذلك مَنْ لا يُحصَى كثرةً، حتى صارت لقبًا لكلِّ مَن ولِيَ القضاء الأكبر، ولو كان عاريًا عن العلم والسنّ، وغيرهما![1].

بل جاء اللكنوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٠٤هـ) بعده بأربعة قرون فعلَّق بأسىً قائلًا: ثم صار الآن لقبًا لمن تولى منصب الفتوى، وإن عَرِيَ عن لباس العلم والتقوى[2].

وإذا أطلق لقب «شيخ الإسلام» مجرَّدًا انصرف الذهن مباشرة لشخص محدد، ألا وهو شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٢٨هـ). حتى لقد قال عنه ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٢هـ): الشيخ تقي الدين ابن تيمية أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإسلام باق إلى الآن على الألسنة الزكية، ويستمر غدًا لما كان بالأمس[3].

وبرغم استحقاق ابن تيمية لهذا اللقب الفخم بجدارة؛ إلا أنك تجده يحقر نفسه في ذات الله، وهكذا يكون العلماء الربانيون، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

فقد نقل عنه تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٥١هـ) أنه كان يقول كثيرًا: ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا في شيء، وكان كثيرًا ما يتمثَّل بهذا البيت:

أنا المُكَدِّي وابن المُكَدِّي ... وهكذا كان أبي وجدي

وكان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: واللهِ إني إلى الآن أجدِّد إسلامي كل وقت، وما أسلمتُ بعدُ إسلامًا جيدًا. ومن نظمه:

---

(١) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١/ ٦٨).

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص٢٤٢).

إضافة: من العجيب أن السخاوي قد ذكر ثلاثة رجال، ضمن مَن وصَفهم بـ: «شيخ الإسلام» ولكن عند الرجوع لتراجم هؤلاء الثلاثة وجدتُ أنهم مجهولون، بل أشد! وهم:

* محمد بن محمد بن محمد الحُلْمِي: لم أجد له ترجمة!

* مسعود بن شَيْبة بن الحُسين السِّندي: قال عنه في «لسان الميزان»: مجهول، لا يُعرف عمن أخذ العلم! ولا من أخذ عنه. له مختصر سماه «التعليم» كذب فيه على مالك وعلى الشافعي كذبًا قبيحًا، فيه ازدراء بالأنبياء!

* المطهّر بن سليمان الزَّنْجاني: قال عنه الدارقطني: المطهر بن سليمان. كذاب!.

انظر: الجواهر والدرر (١/ ٦٨) ولسان الميزان (٨/ ٤٦) وتاريخ بغداد (١٥/ ٢٩٣).

(٣) تقريظ لابن حجر على الرد الوافر (ص١٢).

أنـا الـفـقـيـر إلـى رب الـبـريـاتِ أنا المُسيكين في مجموع حالاتي[1]

وابن تيمية قد شاركه في هذا التلقيب جماعة قليلون قبله وبعده، وقد اجتهدت وجمعتُ سبعين منهم، وهم كما يلي على الترتيب الزمني:

١- الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت١١هـ).

٢- الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٢٣هـ)[2].

٣- ابنه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٧٨هـ)[3].

٤- عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٨١هـ).

٥- أبو الوليد الطيالسي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٢٧هـ).

٦- أحمد بن يونس اليربوعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٢٧هـ).

٧- أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٤١هـ).

٨- ابن سريج رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٠٦هـ).

٩- أبو بكر الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٧١هـ).

١٠- أبو سعيد السِّجْزِي الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٧٣هـ).

١١- الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٣٨٥هـ).

١٢- أبو حامد الإسفراييني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٠٦هـ).

١٣- طاهر بن محمد البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤١١هـ).

١٤- أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٣٠هـ).

١٥- محمد بن مهران الجوني رَحِمَهُ اللَّهُ (بعد ٤٤٢هـ).

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٢٠).

(٢) وصفهما بذلك عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما قال: حبيبايَ وعمَّايَ أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إماما الهدى، وشيخا الإسلام. رواه ابن عساكر بإسناده في تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٨٢). وقد فات ذلك السخاويَ في الجواهر والدرر (١/ ٦٦) حينما نَسَبه للمحب الطبري في «الرياض النضرة» ثم قال: ذكره بلا إسناد!.
ومن جميل التعبيرات قول الذهبي -كما في الجواهر والدرر (١/ ٦٦): وشيخُ الإسلام إنما هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ثبَّت الزكاة، وقاتَل أهل الردَّة، فاعرِفه.

(٣) وصفه بذلك الذهبي في السير (٣/ ٢٠٤). فعلق الشيخ بكر أبو زيد في معجم المناهي اللفظية (ص٣١٣) قائلاً: ولعله الصحابي الوحيد الذي نعَتَهُ الذهبي بذلك. قلت: بل هو المؤكد بعد التتبع.

١٦- أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٤٩هـ).

١٧- أبو بكر البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٥٨هـ).

١٨- أبو الحسن علي السُّغدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٦١هـ).

١٩- أبو إسحاق الشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٧٦هـ).

٢٠- أبو المعالي الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٧٨هـ).

٢١- أبو إسماعيل الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٨١هـ).

٢٢- أبو نصر ابن صاعد الصاعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٨٢هـ).

٢٣- أبو الحسن الهكاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٨٦هـ).

٢٤- أبو سعيد، محمد بن صاعد الصاعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٢٩هـ).

٢٥- علي بن محمد بن إسماعيل الإسبيجابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٣٥هـ).

٢٦- محمد الخلمي المعروف بدهقان خلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٤٧هـ).

٢٧- أبو المحامد الساغرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٥٥هـ).

٢٨- ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٧١هـ).

٢٩- أبو طاهر السلفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٧٦هـ).

٣٠- محمود الأوزجندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٩٢هـ).

٣١- برهان الدين الفَرْغاني المرغيناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٩٣هـ).

٣٢- ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٩٧هـ).

٣٣- فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٠٦هـ).

٣٤- الموفق ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٢٠هـ).

٣٥- ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٤٣هـ).

٣٦- سديد بن محمد الخيَّاطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٥٨هـ)[1].

٣٧- العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٦٠هـ).

---

(١) في الجواهر والدرر للسخاوي (١/ ٦٧): الحنَّاطي. والصواب ما ضبطه شيخه ابن حجر أعلاه، أنه من الخياطة، كما في تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (٢/ ٥١٨).

٣٨- النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٧٦هـ).

٣٩- محمود بن عمر الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٧٧هـ).

٤٠- عبد الرحمن ابن أبي عمر المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٨٢هـ).

٤١- أبو محمد الفزاري الفركاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٩٠هـ).

٤٢- ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٠٢هـ).

٤٣- تقي الدين السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٥٦هـ).

٤٤- تاج الدين السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٧١هـ).

٤٥- ابن عرفة التونسي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٣هـ).

٤٦- سراج الدين البلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٠٥هـ).

٤٧- شهاب الدين الغزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٢٢هـ).

٤٨- البُرزلي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٤٤هـ).

٤٩- ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٢هـ).

٥٠- شرف الدين المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٧١هـ).

٥١- التفتازاني الحفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٨٧هـ).

٥٢- الكمال بن أبي شريف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٠٦هـ).

٥٣- جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩١١هـ).

٥٤- زكريا الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٢٦هـ).

٥٥- ابن عِرَاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٣٣هـ).

٥٦- ابن كمال باشا رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٤٠هـ).

٥٧- محمد الكومي التونسي، الملقب بمَغْوش رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٤٧هـ).

٥٨- أبو العباس الطبنداوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٤٨هـ).

٥٩- شهاب الدين الرملي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٥٧هـ).

٦٠- ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٧٤هـ).

٦١- أبو السعود أفندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٨٢هـ).

٦٢- محمد العربيّ الفاسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٥٢هـ).

٦٣- ابن النعمان الشقيري الضمدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ١٠٦٨هـ).

٦٤- أحمد بن محمد الأَنْقَرَوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠٩٨هـ).

٦٥- محمد مراد السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد ١٢٠٢هـ).

٦٦- محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٠٦هـ).

٦٧- محمد عابد السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٥٧هـ).

٦٨- بيرم التونسي الرابع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٢٧٨هـ).

٦٩- عبد الرحمن المعلِّمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٨٦هـ).

٧٠- محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٩٣هـ).

استنباطات:

* يلاحظ أن القرن الخامس هو أكثر القرون تلقيبًا بهذا اللقب.
* المعاصرون لشيخ الإسلام ابن تيمية، والذين لُقِّبوا بهذا اللقب، كانوا خمسة علماء، ومنهم الإمامان: النووي وابن دقيق.
* في القرن الثاني عشر لم أجِدْ أحدًا تلقّب بهذا اللقب.



مصطلحات علمية، وأسماء أدوات قديمة تستعمل في العِلم والنَّسخ[١]

المصطلح أو الأداة	معناه
١- القِمَطْر	خِزانة الأوراق والكتب
٢- الدَّفْتَر	هي الكراريس، يقال دَفْتَرٌ، ودِفْتَرٌ، وتَفْتَرٌ؛ ثلاث لغات[٢]
٣- الكاغِد	الورَق
٤- الرَّق	الورَق من الجلود خاصة
٥- المِداد والمِحْبرة	الحِبر وعُلبته
٦- اليَراع	القَلم، أو القَصَب الذي يُصنع منه القلم
٧- الدُّسْت	حِزمةٌ من الورق وغيره تبلغ ١٢ قطعة (الدَّرْزَن)
٨- شَباة القلم	طرَف القلم؛ كناية عن البدء بالكتابة
٩- قِطَّة القلم	مكان قَطْع رأس القلم
١٠- المِسْقاة	آلة لطيفة تتخذ لصب الماء في المحبرة
١١- المِلْزَمَة	القِطعة من الكتاب. وتتكوّن من ٨ صفحات أو ١٦ أو ٣٢

(١) في صبح الأعشى للقلقشندي إفاضة بإسهاب، في ذكر تلك المصطلحات والأدوات. فانظرها مبسوطة في المجلد الثالث منه خاصة.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٦١) والمنتخب من كلام العرب (ص٥٣٩).

المصطلح أو الأداة	معناه
١٢- بيت الكتُب	غرفة ورفوف المكتبة أو هي الخزانة
١٣- الخِزانة	مكان حِفظ الكتب
١٤- المكتب	موضع الكتابة وتدريس الأطفال
١٥- الناسخ	المُمتهِن كتابة الكُتب حتى صارت صنعتَه
١٦- الورّاق	صانع الوَرَق وبائعه، وبائع الكُتب
١٧- السمَاعات	سَمَاع الراوي من لفظ شيخه، والشيخ من شيخه وهكذا
١٨- الأجزاء	جمع مرويات راوٍ واحد
١٩- الطِباق	كتابة أسماء الحاضرين مجلس قراءة الكتاب بطبقاتهم
٢٠- الإقراء	أن يَقرأ التلميذ على شيخه؛ ليُقوِّمه ويُجِيزه
٢١- الإجازة	إذن الشيخ للتلميذ أن يروي من مسموعاته أو مؤلفاته
٢٢- المُذاكَرة	المُطارَحات والمُباحَثات العلمية للإفادة وإتقان العلم
٢٣- المُناظَرة	ما يقع بين النظيرَين إحقاقًا للحق، وإبطالًا للباطل
٢٤- المُدارَسة	قراءة بعضهم على بعض؛ تصحيحًا لألفاظه، أو كشفًا لمعانيه





الخاتمة

ها قد حططتَ الرحال، بعد رحلة ماتعة نافعة، وتَطْواف على عجائب أغلى من النجائب، وقد أفشيتُ وفتَّشتُ لك عن أسرار من سِيَر العلماء مع العلم، من خلال ثلاث مئة وأربعين كتابًا ومرجعًا، أفدتُ منها بأعجبَ ما فيها.

وإذا كان الرحَّالة يضربون طول الأرض وعرضها؛ لاستكشاف آثار قديمة، أو الوصول لأماكن خطِرة وعِرة غير مأهولة، لينظروا ثم ينقلوا عجائب ما رأَوا، ويكتشفوا أسرار ما خفيَ، فكيف الحال بمن يقرأ سِيَر العلماء مع العلم؟! فالعجائب أعجب، والأسرار أجذب.

وتدوين وقراءة تلك العجائب والأسرار، يثمر فوائد؛ قطوفها دانية الثمار، منها:

١- تنشيطُ المُتَوَاني؛ ليقتدِيَ بأولئك العلماء الأعلام، وليعرف مقدار نصَبهم في سبيل العلم، وليَتلافَى ما بقي من عُمره.

٢- أن الاطِّلاع على عجائبهم وأسرارهم، يزيد في عُمُر المطَّلع؛ لأنه أضاف إلى خبرته خبرات، وزاد من علمه معلومات:

إذا عَرَفَ الإنسانُ أحوالَ مَن مَضى ... تَوهَّمْتَهُ قد عاشَ من أولِ الدهرِ[(١)]

٣- أنَّ المُطَّلعَ على عجائب وأسرار أولئك، يجعله كأنه قد عاصَرَهم، وأنه عندما يُفكر في أحوالهم، أو يَذكُرُهم، فكأنه مُشاهِدُهم، ومُحاضِرُهم:

فإنني إنْ لم أرَ الديارَ بعَيني ... فلَعلِّيْ أرى الديارَ بِسَمْعيْ[(٢)]

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (١/ ٤).

(٢) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (١/ ٣٦).

٤- أن قراءتها داخل ضمن السَّير في الأرض، المنصوص والمخصوص بقول ذي الملكوت والجبروت: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩].

فاللهم ارزُقنا نظَرًا يَزيدُنا تعجبًا واعتبارًا، وسَيرًا في الأرض يُطلِعُنا أسرارًا، وعِلمًا يُفِيدُنا ادِّكارًا.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه.

عجائب وأسرار من سير العلماء مع العلم

راشد بن عبد الرحمن بن زيد البداح

